تاريخ صنعاء الحضاري القديم

تأليف:
محمد حسين الفرح





إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء











نبذة عن المؤلف:



محمد حسين الفرح (١٩٥٤-٢٠٠٥م) هو "محمد بن حسين بن محمد بن قائد بن سعد بن محسن بن محمد بن محمد بن محسن بن عبد الله بن حسين بن أحمد بن علي الفرح".

محمد حسين الفرح من آل الفرح بقرية الأحلب منطقة عمار بمحافظة إب. أنهى دراسته الثانوية بصنعاء عام ١٩٧٦م وتخرج من جامعة صنعاء كلية الشريعة والقانون بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف في مايو ١٩٨١م. تولى منصب مدير عام التعاونيات والجمعيات بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل من عام ١٩٧٧- ١٩٨٦م، ثم مدير عام الوحدات الإدارية والعمل الشعبي برئاسة الوزراء إلى عام ١٩٩٣م ورئاسة الفريق الفني باللجنة العليا للانتخابات عام ٩٢-٩٣م وعام ١٩٩٧م. ثم عين (مستشاراً للجنة العليا للانتخابات بدرجة وزير) بموجب القرار الجمهوري رقم ٢٨٣ في ١٩٩٩/٨/٨م. حصل على وسام التعاون من رئيس الجمهورية العربية اليمنية في ١٩٧٩/١/٢٥م وحصل على وسام المؤرخ العربي من (اتحاد المؤرخين العرب) في ٢٣/فبراير/١٩٨٧م. قام بنشر الكثير من المقالات والدراسات الأدبية والتاريخية في الصحف والمجالات اليمنية والعربية منذ عام ١٩٨١م.

تاريخ صنعاء الحضاري القديم

تأليف

محمد حسين الفرح



إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء

١٤٢٥هـ - 2004 م

لوحة الغلاف: للفنانة آمنة النصيري

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٢٠٠٤/٣٦)

الناشر

الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة

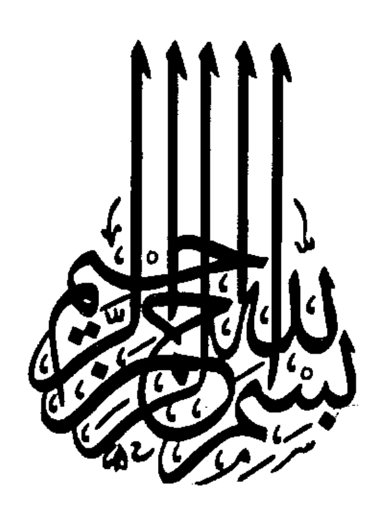
صنعاء الحصبة - ص.ب. (36)-(237)

هاتف: 235114 - فاكس: 235113

بريد الكتروني: moc@y.net.ye

من بهاء صنعاءً.. وتجليات عبقها.. في عام تتويجها عاصمةً للثقافة العربية.. يأتي هذا الاحتفاءُ بمجد الكلمة.. وجلال أنوارها.
في بدء الوعي الإنساني كانت الكلمة..
وعلى رأس فعاليات هذا العام الاستثنائي تأتي هذه الإصدارات.. حدثاً يتوج صنعاء فضاءً شاسعاً للثقافة والتاريخ والجمال والخصوصية.

خالد عبد الله الرويشان
وزير الثقافة والسياحة



مُقدمة المؤلف

إن مدينة صنعاء ذات أهمية تاريخية حضارية كبيرة ليس في تاريخ اليمن الحضاري القديم فحسب، بل في التاريخ الحضاري القديم للأمة العربية والمنطقة كلها أيضاً.

وهذا الكتاب «تاريخ صنعاء الحضاري القديم» والذي يتزامن صدوره مع اختيار صنعاء عاصمة للثقافة العربية ـ عام ٢٠٠٤م ـ هو أول كتاب يستند إلى معطيات الآثار والنقوش والمصادر التاريخية في تبيين البناء اليقين عن تاريخ صنعاء منذ زمن «سام بن نوح» وزمن «أزال بن قحطان» ـ في الألف الخامس قبل الميلاد ـ إلى عهد سيف بن ذي يزن ـ في القرن السادس بعد الميلاد ـ.

ويؤكد هذا الكتاب صحة ما ذكره علماء المؤرخين العرب الأوائل ومنهم الحسن بن أحمد الهمداني الذي قال: «صنعاء أقدم مدينة في الأرض» وأن «أزال بن قحطان هو الذي بنى صنعاء وباسمه سُميت أزال» وقد جاء ذكر أزال بن قحطان في التوراة باسم «أوزال بن قحطان» وكان زمنه في الألف الخامس قبل الميلاد الذي حددته التنقيبات الأثرية للبعثة الإيطالية زمناً لتأسيس أوائل المدن التي تم كشف أطلالها في موقع وادي يناعم وموقع بين حدين بمحافظة صنعاء وكذلك آثار «عصر الحضارة البرونزية النحاسية في اليمن» بالألف الخامس إلى الألف الثالث قبل الميلاد، ويعطينا ذلك الأساس المادي بأن (صنعاء أقدم مدينة في الأرض) أو بأن (صنعاء من أقدم المدن في الأرض)، وأنه كما قال ابن خلدون «صنعاء أول مدينة أُختطت باليمن. . وكانت تُسمّى أزال من الأولية بلغتهم».

وكانت مدينة أزال ثاني مدينة رئيسية باليمن في الألف الثاني قبل الميلاد حيث جاء ذكرها في أنباء خمسة ملوك من ذلك الزمن بكتب

التاريخ التراثية منهم الملك «الضحاك سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس» الذي جاء في تاريخ ابن خلدون وفي كتاب مروج الذهب للمسعودي أن «البيت غُمدان بصنعاء بناه الملك الضحاك على اسم كوكب الزهرة» وكان غُمدان في ذلك الزمن معبداً ضخماً بمدينة أزال ولم يكن قصراً، واستمر كذلك إلى عصر الملك الرائش الذي ذكر المؤرخون معاصرته للنبي موسى عليه السلام في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وقد تم العثور في صنعاء وغيرها على آثار تؤكد معالم الحضارة ووجود مدينة أزال في ذلك الزمن التليد.

ثم إن من أهم ما يكشفه ويؤكده هذا الكتاب عن تاريخ صنعاء هو أن مدينة صنعاء بُنيت كمدينة اسمها صنعان في عهد «هَلْكْ أمر بن كرب إل وتار يُهنعم ملك سبأ وذي ريدان» وهو الذي بناها وسمّاها «صنعان» في القرن الحادي عشر ق. م. فاسم صنعاء كان في الأصل (صنعان) وقد جاء ذكرها بلفظ (صنعن = صنعان) في نقوش ملوك سبأ التبابعة ومنهم «إل شرح يحضب» الذي قام ببناء وتعلية قصر غُمدان العظيم بصنعاء والملك «شعرام أوتر» الذي زاد في بنيان غُمدان وقام ببناء السور السبئي القديم لصنعاء في القرن التاسع ق. م. ومما يُعزز أن اسم صنعاء كان (صنعان) أن النسبة إلى صنعاء كانت وما تزال (صنعاني) وليس (صنعاوي) فهذه النسبة إلى صنعاء بلفظ صنعاني هي مما بقي في ذاكرة التاريخ والشعب من الاسم الأقدم صنعان في عصور ملوك سبأ التبابعة بالألف الأول قبل الميلاد والذين استقصيتُ نقوشهم وأنباء صنعاء وغُمدان في عصورهم حيث لم تكن صنعاء عاصمة دولة اليمن (سبأ) ومقر ملوك سبأ التبابعة وكذلك لم تكن مدينة غير هامة وإنما كانت ثالث ثلاث مدن رئيسية في كل منها قصر عظيم وهي مدينة مأرب العاصمة وقصرها سَلْحِين ـ بأرض مأرب ـ ومدينة ظفار وقصرها ريدان بمناطق حِمْيَر ـ في محافظة إب حالياً ـ ومدينة صنعاء والقصر غُمدان ـ في وسط اليمن، وكان ملوك سبأ التبابعة يُقيمون فترة في مأرب وفترة في ظفار وفترة في صنعاء وقصر غُمدان العظيم.

ثم إن من أهم ما يكشفه ويؤكده هذا الكتاب أن مدينة صنعاء كانت

عاصمة اليمن في العصر الذهبي للدولة الحميرية وملوكها التبابعة منذ أوائل القرن الرابع الميلادي حتى أواخر القرن السادس الميلادي، فقد شاع القول والظن بأن العاصمة كانت مدينة ظفار، وقد كانت ظفار عاصمة للدولة الحميرية بالفعل إلا أنه منذ عهد الملك (ملشان أريم) أصبحت صنعاء هي العاصمة. وكان قصر غُمدان هو مقر الملوك الحميريين التبابعة بحيث وكما قال ابن خلدون أن «صنعاء هي قاعدة التبابعة قبل الإسلام.» ـ أي عاصمة ومقر الملوك التبابعة للدولة الحميرية ـ بينما كانت ظفار المدينة الرئيسية الثانية، وقد بلغ قصر غُمدان ذروة العظمة والارتفاع في عصر ملوك حِمْيَر التبابعة ومنهم الملك حسان بن عمرو ذي غيمان الذي فيه قال علقمةُ بن ذي جَدَنْ الحميري:

قد كان حسان في ذؤابة غُمدانْ ... قريراً بعيشٍ مَنْ رَغدا
يخدمه من سَرَاة حِمْيَر ألفانْ ... قياماً لن يقعدوا أبدا
إن سَارَ ساروا حواليه صَفّان ... ولا يبعدون إذا بعدا

والملك أسعد تُبّع الثاني بن حسان وهو آخر من قام بتعلية قصر غُمدان بصنعاء ـ في القرن الخامس الميلادي ـ وكانت صنعاء في عهده عاصمة اليمن وكل الجزيرة العربية، وفيه قال حسان بن ثابت الأنصاري:

وأسعد كان الناس تحت سيوفه ... حَوَاهُم بمُلْكٍ شامخ ليس يُقْهَرُ
تَواضَعُ أشراف البريّة كلها ... إذا ذُكِرَتْ أشرافُها الصِيدُ حِمْيَرُ

وقال ربيع بن ضبع الفزاري الجاهلي يذكر ما بلغه قصر غُمدان في ذلك العصر:

وغُمدان إذْ غُمدان لا قصر مثله ... زهاءً وتشييداً يُحاذي الكواكبا

واستمرت صنعاء هي العاصمة ومقر ملوك الدولة الحميرية إلى عهد الملك سيف بن ذي يزن الحميري ـ بالنصف الثاني من القرن السادس الميلادي ـ وكان ممن وفد إليه بصنعاء والقصر غمدان الشاعر أمية بن أبي الصِّلت القائل لسيف:

فاشربْ هنيئاً عليك التاج مرْتَفَقاً ... في رأس غُمدان داراً منك محلالا

كما وفد إلى سيف بن ذي يزن بصنعاء ـ عام ٥٧٢م ـ وفد مشيخة

قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فأخبره وبشره سيف بن ذي يزن بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام في قصر غُمدان بصنعاء، وقد اختتمتُ الكتاب بذكر بناء الوفد وتبشير سيف بن ذي يزن برسول اللّه ﷺ إذْ أنه بعد وفاة سيف بن ذي يزن تولى الحكم ابنه (معدي كرب) أربع سنين وهو آخر ملوك الدولة الحميرية التبابعة وآخر ملوك تاريخ اليمن الحضاري التليد، وبذلك اكتمل تاريخ صنعاء الحضاري القديم الذي ـ بالوثائق والدلائل ـ يؤرخ له هذا الكتاب.

والله الموفق

محمد حسين الفرح

صنعاء أقدم مدينة في الأرض

منذ زمن بعيد في الماضي كانت في موضع صنعاء مدينة من أقدم المدن في تأريخ الإنسانية وهي مدينة أزال، واستمرت مدينة أزال ـ زهاء أربعة آلاف سنة ـ ثم حلّت محلها وبُنيت في مكانها مدينة صنعاء، بناها وسمّاها صنعاء الزعيم السبئي (هلك أمر بن كرب إل وتار يُهَنْعم ملك سبأ، وذي ريدان) كما جاء في النقش المسند (رقم G.I.A 542) والذي استناداً إليه أيضاً قال د. محمد بافقيه: «قامت صنعاء مدينة تتقاسمها سبأ وفيشان، أقامها ملك اسمه هلك أمر بن كرب إل وتر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان»(١) وقد كان الملك (هلك أمر) من ملوك سبأ التبابعة القدماء في أواسط القرن الحادي عشر قبل الميلاد ـ كما سيأتي ـ ولكن المدينة الأقدم في صنعاء وهي مدينة أزال تأسست قبل زمن (هلك أمر) بنحو أربعة آلاف سنة في عهد أزال بن قحطان، إلا أن بعض المؤرخين الأوائل يُرجع بتأريخ صنعاء إلى أبعد من ذلك بكثير، إلى زمن سام بن نوح.

أولًا

التأسيس الأسطوري لصنعاء في زمن سام بن نوح

قال الحسن بن أحمد الهمداني في الصفة: «صنعاء أقدم مدينة في الأرض لأن سام بن نوح الذي أسَّها»(٢) وقال في الإكليل «أزال بن قحطان

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص٦٠/ ٢.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٨٢.

هو الذي بَنَى صنعاء»[١]. وكون صنعاء أقدم مدينة في الأرض ـ أو من أقدم المدن في الأرض ـ يتحقق ببناء أزال بن قحطان إياها، ولكن التأسيس الأسطوري لصنعاء في زمن سام بن نوح لا بد أن له أصل.

لقد ذكر الهمداني في الإكليل وكذلك ذكر الرازي ما يلي: «إن سام بن نوح اجتوى بعد وفاة أبيه السكنى في أرض الشمال، فأقْبَلَ طالعاً في الجنوب يرتاد أطيب البلاد حتى صار إلى الإقليم الأول[٢] فوجد اليمن أطيبه مسكناً، وارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيب ماءً بعد المدة الطويلة، فوضع مقرانة (وهو الخيط الذي يُقدر به البناء) في ناحية فجّ عضدان[٣] في غربي حقل صنعاء، فبنى الظبر[٤] فلما ارتفع بعث اللّه طائراً فاختطف المقرانة، أي الخيط، فطار به، وسام يتبعه لينظر أين يقع، فأمَّ الطائر إلى جبوب النعيم في سفح جبل نُقم، فوقع بها، وطرحها على حرّة غُمدان، فلمَّا قرَّت المقرانة على حرّة غُمدان، علم سام أن قد أُمر بالبناء هناك، فأسَّ غُمدان واحتفر بئره وتُسمى كرامة وهي سقاء إلى اليوم ولكنها أجاج»[٥]. قال الرازي «قال (ابن عبد الوارث): فبُنيت صنعاء بين الجبلين جبل نُقُم وجبل عيبان»[٥]. ثم ذكر الرازي نفس ذلك الخبر عن المقرانة والطائر وتأسيس غمدان وصنعاء بأنه في عهد وعلى يد أزال بن قحطان ـ كما سيأتي ـ بما يعني وجود قولين أحدهما أن الذي وقع له ذلك وأسس صنعاء هو سام بن نوح، وثانيهما أن الذي وقع له ذلك وأسس صنعاء هو أزال بن قحطان، وقد ذكر الهمداني ذلك بقوله في الإكليل: «أزال بن قحطان هو الذي بنى صنعاء» [ص ٢٠٤/ ١].

قال الهمداني: «وقال أحمد بن عيسى الرداعي في قصيدته

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٠٤ جـ١.

(٢) الإقليم الأول يشمل جنوب بلاد السند والخليج العربي والجزيرة العربية وغيرها، ووسط هذا الإقليم مدينة سبأ بأرض اليمن.

(٣) فج عضدان هو فج عطان بصنعاء حالياً.

(٤) قال الهمداني: الظبر بالظاء وهو حرف الجبل وحرف البناء.

(٥) الإكليل ـ الهمداني ـ ص٤ جـ ٨ ـ وتأريخ مدينة صنعاء ـ الرازي ـ ص١٦.

المشهورة التي يصف محجَّة اليمن إلى مكة وهي يتيمة لا أخت لها:

صنعاء ذات الدُور والآطام ... والقدم الأقدم ذي القُدَّام
والعزِّ عن ذي السطوة الغشام ... أُسَّتْ بعلم لابن نوح سامِ
بعلم ربِ ملكٍ علام ... إذْ رادها سام بلا توهام
(في حقلها العام وبعض العام) ... ما بين سَفْحَيّ نُقُم النقام
وبين عيبان المنيع السامي ... فأسَّها في سالف الأيام[١]
فهي بقول العلم غير الشّكّ ... محتدم العلم ودار المُلكِ
وعصمة المأزول حتى الدّكِ ... أما ومجرى ماخرات الفلك[٢]
أَليةً ما شبتها بالإفك ... لقد عَلّتْ صنعاءُ دارَ الشرك
في الدهر عن عزّ معين مشكي ... وأصبحت معدن أهل النسك[١]
سقيا لصنعاء بجود حشْك ... واردفت عزاً رفيعَ السمك
بلاد مُلْكٍ ضَلّ مَنْ يقيسُ ... أرضاً بصنعاء لها تأسيسُ
ما لم يُعدَّ الحرمُ الأنيسُ ... أرض بها غُمدان والقليسُ
بناهما ذو النجدة الرئيس ... تبَّعُ هَلْكٍ، وبَنَتْ بلقيسُ
فهو البناء الأقدم القدموسُ ... بقول صدق ما به تلبيسُ
إن صَرُحتْ شعواء دردبيس ... والعزّ فيها والنَّدَى والكيس

قال الهمداني «ويروى: يحضب شَرْح وبَنَتْ بلقيس»[٣] وقد جاء في الأصل المطبوع (تُبّع ملك) وهو تصحيف من الناسخين، والصواب: «بناهما ذو النجدة الرئيس تُبّع هَلْك» وهو الملك (هلك أمر بن كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ وذي ريدان) الذي قام ببناء صنعاء في مكان مدينة أزال بالقرن الحادي عشر ق.م. ـ كما سيأتي ـ وقول الهمداني (ويروى: يحضب شَرْح) يعني (إل شَرْح يَحضُب ملك سبأ وذي ريدان) الذي قام

---

(١) الآطام: الحصون المرتفعة. ونقم: جبل صنعاء الشرقي، وعيبان جبل صنعاء الغربي.

(٢) قال الهمداني: المأزول من الأزل الخائف. ويقول: إنها علت دور الشرك في الجاهلية وعلت في الإسلام بنسك أهلها.

(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٠٨.

ببناء قصر غمدان فوق البناء الأقدم ـ كما سيأتي ـ فصنعاء وغمدان أقدم من هلك أمر وإل شرح يَحضُب. وقال الحسن الهمداني في أبيات له عن صنعاء:

أرض تخيّرها سامٌ وأوطنها   وأسّ غُمدان فيها بعدما احتفرا
أمُّ العيون فلا عينٌ تَقدَّمُها   ولا علا حجر من قبلها حجرا
لا القيظ يكمل فيها فصل ساعته   ولا الشتاء يُمسّيها إذا قصرا

ونرى أن أصل القول بتأسيس سام بن نوح لمدينة صنعاء هو أن سام بن نوح والذين معه من أبناء سام استقروا في صنعاء ولم تكن مدينة في ذلك الزمن وإنما استقروا في مكان من كهوف جبل نُقم فكان سام والذين معه أقدم من سكنوا منطقة كهوف وسفح جبل نُقم بصنعاء في العصر الحجري، ولذلك تم نسبة تأسيس صنعاء إليه، فزمن سام بن نوح يعود إلى ما قبل الألف العاشر قبل الميلاد، وهو زمن سابق لتأسيس أوائل المدن في تأريخ الإنسانية بالألف الخامس قبل الميلاد.

ومن المفيد أن نذكر هنا أن مسيرة الحياة الإنسانية في اليمن قد تواصلت في العصر الحجري وانتشر قدماء اليمنيين من ذرية وسلالة سام في أرجاء البلاد وعاشوا حياة الكهوف والقنص والصيد في العصر الحجري ثم انتقلوا إلى عصر الحضارة الزراعية وتربية واستخدام الحيوانات وتأسيس القرى والتجمعات السكانية الزراعية منذ الألف التاسع قبل الميلاد، وقد دلت الدراسات الجيمورفولوجية والمناخية على أنه ـ وكما يذكر د. أحمد سوسة ـ «كان يسود جنوب الجزيرة العربية مناخ دافىء تكثر فيه الأمطار، وكانت الثمار البرية والقمح والشعير ينبتان بشكل طبيعي. وهناك دلائل على أن الماشية بما فيها الجاموس والمعز والشاة دُجنت واستُخدمت اقتصادياً في اليمن قبل أن تُدجن في مصر والعراق. والأرجح إن انتقال سكان الجزيرة العربية من طور القنص والصيد إلى الفلاحة والزراعة والري قد تم خلال العشرة آلاف سنة الأخيرة من دورة ورم الجليدية. وبذا يكون العرب ـ الذين أُطلق عليهم اسم ساميين خطأً ـ أولُ من اخترع الزراعة التي تعتمد على الريّ، وأول وأقدم من مارس الفلاحة والزراعة. ولما كانت الزراعة والريّ عماد الحضارة القديمة فالعرب إذاً هم مؤسسو

الحضارة الإنسانية في أقدم مراحلها. وهذا يُفسر كيف استطاع الذين هاجروا من الجزيرة العربية إلى بلاد الهلال الخصيب أن يؤسسوا أقدم الحضارات في مستوطناتهم في وادي الرافدين فقد كانوا مزودين بخبرة فنية في الزراعة التي تعتمد على الري اكتسبوها في موطنهم الأول جنوب الجزيرة العربية فنقلوا حضارتهم إلى عالمهم الجديد»[١].

وقد دلت وتدل التنقيبات الأثرية في اليمن على أن عصر الحضارة الزراعية بدأ منذ مطلع الألف التاسع قبل الميلاد، وأن عصر الحضارة البرونزية وأوائل المدن في التأريخ بدأ في اليمن منذ الألف الخامس قبل الميلاد. وقد أدلى البروفيسور ادموند بوخنر رئيس معهد الآثار الألماني في برلين بتصريح هام ـ عام ١٩٨٦م ـ قال فيه ما يلي نصه: ـ

«إن اليمن من الأقطار الهامة للأبحاث الأثرية نظراً لوجود أقدم الحضارات فيها. وكان اعتقادنا في الماضي أن أقدم المراكز الحضارية في العالم هي مصر وبلاد الرافدين أما الآن فقد اتضح أن اليمن من أقدم المراكز الحضارية في العالم»[٢].

ونذكر هنا النقاط والمحطات الرئيسية في مسيرة الحضارة الأقدم في اليمن حتى بناء أوائل المدن في التأريخ ـ ومنها مدينة أزال (صنعاء الأقدم) ـ في الألف الخامس قبل الميلاد. وتلك النقاط هي: ـ

★ ـ إن عصر الحضارة الزراعية بدأ في اليمن منذ مطلع الألف التاسع قبل الميلاد (٩٠٠٠ق.م.) حيث انتقل سكان اليمن القدماء من طور القنص والصيد إلى الفلاحة والزراعة وتربية واستخدام الماشية وبناء القرى والتجمعات السكانية الزراعية. واستمر ذلك العصر إلى مطلع الألف الخامس ق.م.

★ ـ وكان سكان اليمن آنذاك هم قبيلة عاد وإخوانهم من قبائل العرب العاربة الساميين الأوائل وقد سمّاهم ابن خلدون (الطبقة الأولى من

(١) حضارة الرافدين ـ د. أحمد سوسة ـ ص ٥٨ ـ دار الحرية ـ بغداد ـ ١٩٨٠م.
(٢) تصريحات إدموند بوخنر ـ صحيفة الثورة ـ صنعاء ـ عدد ١٢/ ٤/ ١٩٨٦م.

العرب العاربة) وقال عنهم ما يلي: «هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح وأعظمهم قدرة وأشدهم قوة وآثاراً في الأرض، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم يمتنع إطلاعنا عليها لتطاول الأحقاب ودروسها إلا ما يقصه علينا الكتّاب أو يؤثر عن الأنبياء بوحي اللّه إليهم. وهؤلاء العرب العاربة شعوب كثيرة منهم: عاد، وثمود، وأميم، والعمالقة، وعبيل، وعبد ضخم، وجرهم، وحضرموت، وحضور، والسلفات..»[١].

وقد انتقلت تلك الأمة من العرب العاربة الساميين الأوائل في أرجاء اليمن إلى الحضارة الزراعية ـ منذ مطلع الألف التاسع ق.م ـ بزعامة قبيلة عاد. قال ابن خلدون: «عاد: هم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام وكانت مواطنهم بأحقاف الرمل» وقال: «رمال الأحقاف بحضرموت وكانت مواطن عاد. وكانت حضرموت لعاد مع الشِّحْر وعمان»[١]. وقال ابن كثير: «كانت عاد تسكن الأحقاف وهي جبال الرمل باليمن بين عمان وحضرموت وفي أرض مُطِلّة على البحر يُقال لها الشحر»[٢]. وجاء في الإكليل «أن قبيلة عاد ملأت جانباً من الأرض وتفخذت وصارت إحدى عشرة قبيلة، وهي على ما سمعنا: العبود، والخلود ومخلد ـ وهم رهط هود النبي المرسل ـ وبنو معبد، وزمر، وزمل، وضد، وضمود، وجاهد، ومناف، وسَوْد»[٣]. وكانت عاد تتزعم بقية قبائل العرب العاربة في أرجاء اليمن، بل وقال ابن خلدون ما يلي: ـ

«صنعاء أول مدينة أُختطت باليمن، وبَنَتْها فيما يُقال عاد، وكانت تُسمَّى أزال من الأولية بلغتهم»[٤].

وكانت حضارة عاد أقدم حضارة في تأريخ الإنسانية بعد طوفان نوح، والدليل على ذلك قول اللّه تعالى في القرآن الكريم عن قبيلة عاد لما بعث إليهم النبي هود عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ

(١) تأريخ ابن خلدون ـ ص٤٥ جـ٢ـ وص٢٢٣ جـ٤.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٢٠ جـ٢.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٦١ جـ١.
(٤) تأريخ ابن خلدون ـ ص٢٢٢ جـ٢.

وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١] [الأعراف: ٦٩]. وقد كانت الزراعة وتربية واستخدام الماشية (الأنعام) وبناء القرى والآطام هي المعالم الرئيسية للحضارة باليمن منذ الألف التاسع ق.م. وهي نفس المعالم التي ذكرها اللّه تعالى عن قوم عاد حيث قال اللّه تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٤]. وقال تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩] ـ صدق اللّه العظيم ـ[٢]. وقد بعث اللّه إلى قبيلة عاد في مركزهم الرئيسي بمنطقة الأحقاف النبي اليمني العربي السامي الأول هود عليه السلام وهو والد قحطان، وقد جاء في صحيح ابن حبان أن أبا ذر الغفاري سأل النبي محمد ﷺ عن أنبياء العرب فقال: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر»[٢]. قال الحسن الهمداني: «افترق الناس في نسب هود خمس فرق، ففرقة قالت: قحطان بن هود بن عبد اللّه بن رياح بن خلد بن الخلود وهو مخلد بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح.. وقال أبو نصر اليهري: الناس يغلطون في عابر وهو: هود بن أيمن بن حلجم بن أبضم بن عوضين بن شداد بن عاد بن الهاد بن عاد بن عوص بن إرم بن عوص بن عابر بن شالخ بن إرفخشد بن سام. وقال آخرون، وهم جُلّ قحطان: هو قحطان بن عابر بن إرفخشذ بن سام، ثم افترقت هذه الفرقة فقال أقلها: قحطان بن عابر بن شالخ بن إرفخشذ، وليس عابر بهود المرسل. وقال أكثر هذه الفرقة: «بل هو قحطان بن عابر، وعابر هو النبي هود المرسل»[٣]. ولما أهلك اللّه قبيلة عاد بمنطقة الأحقاف نجا النبيّ هود والذين معه وبينهم ابنه (قحطان بن هود) ومات النبيّ هود في شرق وادي حضرموت حيث ما يزال قبره معروفاً حتى اليوم.

★ ـ وقد تواصلت مسيرة عصر الحضارة الزراعية في اليمن بعد عاد وتكونت وانتشرت قبائل قحطان في أرجاء اليمن ـ ما بين الألف الثامن

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٢٢ جـ٢.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٦١ جـ١.

والألف الخامس قبل الميلاد ـ وقد جاء ذكر قحطان في سِفر التكوين بكتاب التوراة باسم (يقطن) أو (يقطان) وأنه «يقطن بن عابر بن شالخ بن إرفخشذ بن سام»[١]. ويتفق العلماء من المؤرخين قديماً وحديثاً على أن يقطن هو قحطان. قال ابن خلدون «قحطان هو معرب يقطن وهو الصحيح». وقد سلف ذكر أن (عابر هو النبي هود) ولكن نسبه في التوراة جاء مختصراً فالصواب أن بين قحطان وسام أكثر من عشرين جيلاً، وقد دلّت وقدّرت بعض الدراسات أنه «كان قحطان من رجال الألف السابع أو الألف الثامن قبل الميلاد»[٢]. وقد جاء في سِفر التكوين بالتوراة ما يلي نصه: ـ

«أنجب يقطان بن عابر ثلاثة عشر ولداً، وهم: مود وشالف وحضرموت وأوزال وأوفير وشيبا ويارح وهدورام ودقلة وعوبال وأبيمال وحويلة ويوباب.. جميع هؤلاء بنو يقطان ومساكنهم من ميشا حينما تجيء حتى سفار جبل المشرق»[١].

وجاء في كتاب الأمم السامية تفسيراً لذلك ما يلي نصه: «المراد بـ (من ميشا حتى سفار) أي المقاطعات الواقعة في الجنوب ـ والجنوب ـ الشرقي من جزيرة العرب، وكانت القبائل الثلاث عشرة المنحدرة من قحطان تقيم بتلك المقاطعات، ومنها حضرموت التي سمّيت بلاد حضرموت بها، وأوفير وكانت تسكن مرفأ بحرياً اشتهر في التأريخ القديم، وحويلة والمراد بحويلة بلاد الأحقاف والبلاد الرملية وكانت إقليماً يحيط به نهر تُسمِّيه التوراة نهر فيشون، وقبيلة شيبا وهي سبأ التي تنتسب إليها الدولة السبئية»[٣].

ويتبين من ذلك أن القبائل الثلاث عشرة المنحدرة من قحطان انتشرت في أرجاء اليمن من ميشا ـ وهي المخاء على ساحل البحر الأحمر غرباً ـ وحتى سفار وهي ظفار عُمان شرقاً. وقد تم ذلك الانتشار والتفخذ والتكون لبني قحطان حتى صاروا ثلاث عشرة قبيلة خلال أجيال كثيرة

(١) التوراة ـ سِفر التكوين ـ الإصحاح الحادي عشر.
(٢) اليمن الإنسان والحضارة ـ عبد الله الشماجي ـ ص٣٥.
(٣) الأمم السامية ـ حامد عبد القادر ـ ص٨٤.

وفترة زمنية طويلة ـ منذ الألف الثامن والألف السابع قبل الميلاد حتى الألف الخامس قبل الميلاد ـ فالذين ذكرتهم التوراة بأنهم أبناء قحطان هم قبائل قحطان، وقد لا يكون أكثرهم أبناء مباشرين لقحطان لأن طبيعة النمو تدل على أن بني قحطان تكاثروا خلال عشرات القرون وتناسلت قبائلهم وما زال جمعهم يشتد وينمو إلى زمن يعرب بن قحطان وأزال بن قحطان وهما من سلالة قحطان، أما جعلهما أبناء قحطان فهو من قبيل اتصال نسبهما بقحطان لا أنهما إبناه بلا فاصل. وقد عاصر بنو قحطان خلال زمن التكوين والانتشار إخوانهم من قبائل العرب العاربة الساميين الأوائل بأرجاء اليمن ومنهم العمالقة وكنعان وأشوذ ولاوذ وفاران وأميم وعبد ضخم وبني مطر وغيرهم. قال ابن خلدون: «وكان بنو قحطان معاصرين لإخوانهم من العرب العاربة ومظاهرين لهم على أمورهم، ولم يزالوا مجتمعين في مجالات البادية، مُبعدين عن رتبة المُلك وترفهه الذي كان لأولئك، فأصبحوا بمنجاة من الهرم الذي يسوق إليه الترف والنظارة، فتشعبت في أرض الفضاء فصائلهم وتعدّد في جو القفر أفخاذهم وعشائرهم ونما عددهم، وكثر إخوانهم من العرب العاربة في آخر ذلك الجيل فزاحمهم بنو قحطان بمناكبهم واستجدوا خلق الدولة لبني قحطان»[١]. وذلك بزعامة يعرب بن قحطان شقيق أزال بن قحطان في مطلع الألف الخامس ق.م.

ثانياً

بناء أزال بن قحطان لمدينة أزال وهي صنعاء الأقدم

لقد دلت التنقيبات الأثرية على أن عصر الحضارة البرونزية وبناء أوائل المدن في اليمن بدأ في مطلع الألف الخامس ق.م. فقد أسفرت تنقيبات أثرية قامت بها البعثة الأثرية الإيطالية عن كشف أطلال مدينة في موقع وادي يناعم بمنطقة الأعروش في خولان بين صنعاء ومأرب ويعود زمن بناء تلك المدينة إلى مطلع الألف الخامس ق.م. ـ أي إلى عام

(١) تأريخ ابن خلدون ـ ص٤٧ جـ٢.

٠٠ ٠ ق.م . ـ واستمرت إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وكذلك فقد كشفت البعثة الإيطالية موقع مدينة أخرى في نفس المنطقة وهو (موقع بين حديجة) وموقع ثالث في المسنة ـ بالبيضاء ـ ويعود زمن تلك المدن والمواقع إلى الألف الخامس والألف الرابع ق.م. وتم العثور فيها على أدوات مصنوعة من البرونز والنحاس والمعادن، وقد كتب البروفيسور اليساندرو دي ميقريت رئيس البعثة الأثرية الإيطالية دراسة عن مكتشفات وآثار تلك المدن والمواقع بعنوان: ـ

«حضارة العصر البرونزي النحاسي في جنوب الجزيرة العربية»(١).

إن بداية حضارة العصر البرونزي وتأسيس أوائل المدن في مطلع الألف الخامس ق.م. يعطينا الأساس لإدراك أن ذلك اقترن بوحدة قبائل قحطان بزعامة يعرب بن قحطان حيث كما ذكر ابن خلدون: «استجدوا خلق الدولة لبني قحطان، فكان يعرب بن قحطان من أعاظم ملوك العرب، وهو الذي مَلَكَ بلاد اليمن ـ كلها ـ وَغَلَب عليها قوم عاد ـ [أي الأمة الأولى من العرب العاربة] ـ وغَلَبَ العمالقة على الحجاز، وولى أخوته على جميع أعمالهم، فولّى جرهم بن قحطان على الحجاز، وحضرموت بن قحطان على جبال الشُّحر وحضرموت، وعُمان بن قحطان على عُمان»(٢). ومؤدى ذلك أن حضرموت وجرهم وعُمان ليسوا أبناء مباشرين لقحطان مثلهم في ذلك مثل يعرب بن قحطان وأزال بن قحطان، وإنما هُم من سلالة قحطان لأن زمنهم في أوائل الألف الخامس ق.م. حيث بدأ العصر البرونزي وتأسست أوائل المدن وقامت أول دولة في التأريخ بزعامة يعرب بن قحطان. قال ابن خلدون: «قال ابن هشام: إن يعرب بن قحطان كان يُسمى يمناً وبه سُمّيت اليمن»(٢) ـ أي أن اسمه كان يتكون من كلمتين (يعرب يمن) ـ اسم ونعت ـ مثل اسم (ياسر ينعم) و (إل شَرْح يَحضُب) وكثير من ملوك اليمن، فلما توحدت قبائل ومناطق البلاد بزعامة (يعرب يمن بن قحطان) سُميت الدولة والبلاد باسمه (يمن).

---

(١) حضارة العصر البرونزي في جنوب الجزيرة العربية ـ اليساندرو دي ميقريت ـ ١٩٨٤م.

(٢) تأريخ ابن خلدون ـ ص٤٧ جـ٢.

لأنه لم يكن لهذه البلاد اسم جامع من قبل وإنما كانت كل منطقة تُسمى باسم القبيلة التي تسكنها، فلما استجدّ بنو قحطان خلق الدولة بزعامة يعرب يمن بن قحطان سُميت الدولة والبلاد باسمه (يمن) وقد جاء في الإكليل أن من أبناء قحطان «يامن بن قحطان، وبه سُمّي اليمن»[١]. وهو نفسه يعرب بن قحطان.

وولّى يعرب بن قحطان أخوته على جميع أعمال ومقاطعات اليمن الثلاثة عشر ومنهم أزال بن قحطان الذي قام ببناء مدينة أزال، وهو «أوزال بن يقطان» في التوراة. قال الحسن الهمداني في الإكليل: «قرأتُ في السجل الأول... أزال بن قحطان وهو الذي بنى صنعاء»[٢]. وقال الرازي: «قال أبو محمد: حدثني حَفْص بن أبي الدغيش قال: حدثني إبراهيم بن أبي شيبة، قال: كان ليقطن بن عابر أربعة عشر ابناً سُميت القرى بأسمائهم منهم: أزال، وهي صنعاء، ومنهم عُفار وهي غيمان، ومنهم دقلة وهي يكلا»[٣]. ـ أي أن أزال سُميت باسم أزال بن يقطن وهي صنعاء. وقد ذكر الرازي أيضاً: اسم يعرب بلفظ «يعرب بن قحطان بن عابر»[٣]. أي أن يقطن هو قحطان، فيكون كذلك أزال بن يقطن هو «أزال بن قحطان بن عابر» وهو كما في الإكليل «أزال بن قحطان بن هود»[٢] قال الرازي: «قال أبو محمد: حدثني إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثني إسحاق بن منقار عن أبي عياش قال: كان رجل يُقال له أزال، أراد أن يبني صنعاء عند المِقْرانة من طرف جبل نُقُم مما يلي طريق صنعاء، فعكم ثوراً فصرعه، فجاء حداء فخطف الشفرة، فما زال أزال يتبع الحداء حتى طرح الشفرة على رأس غُمدان، فأمر أزال بالثور فَفُسخ ثم نحره على رأس غُمدان، وابتنى غُمدانا»[٣]. وهذا الخبر هو الذي سبق نسبته إلى سام بن نوح، والصحيح أنه أزال بن قحطان وأنه «..لمّا قرّت المقرانة ـ وهي خيط البناء ـ على حَرّة غُمدان، أمر أزال بن قحطان بنحر ثور» قرباناً للّه ـ وبدأ ببناء المدينة في ذلك المكان،

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩٢ جـ١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٠٤ وص١٩٢ جـ١.
(٣) تأريخ مدينة صنعاء ـ الرازي ـ ص١٤ وص١٠.

فبُنيت أزال في سفح جبل نُقم بين الجبلين جبل نُقم وجبل عيبان.

وتدل القرائن على ما يلي:

- إن أزال بن قحطان هو شقيق يعرب بن قحطان، وبالتالي يكون زمن أزال بن قحطان وبناء مدينة أزال عندما استجد بنو قحطان خلق الدولة بزعامة يعرب بن قحطان، وولى يعرب أخوته على جميع أعمال ـ أو مقاطعات ـ اليمن، فسُمّيت تلك الأعمال بأسمائهم وتأسست فيها أوائل المدن في التأريخ، وذلك في بداية عصر الحضارة البرونزية النحاسية باليمن في أوائل الألف الخامس قبل الميلاد. وكان من أخوة يعرب الذين ولّاهم على الأعمال: حضرموت بن قحطان وباسمه سُمّي وادي حضرموت، وسبأ بن قحطان المذكور في التوراة بلفظ (شيبا بن يقطن) وجاء في تأريخ الرازي أنه «سُمّيت سبأ على سبأ بن يقطن بن عابر»[(١)] ويعفر بن قحطان وهو (أوفير) في التوراة، وقد ذكره الهمداني بلفظ (يعفر بن قحطان) وباسم ابنه (المعافر بن يعفر) سُميت بلاد المعافر وهي منطقة تعز إلى المخاء بساحل البحر الأحمر وهي أوفير في التوراة. وجاء في التوراة (شالف.. وهدورام، ودقله، وعوبال) وهم في الإكليل (السّلف بن قحطان، وحضورا، ويكلى بن قحطان، وعُبيل»[(٢)]. وكان من أهمهم أزال وهو (أوزال) في التوراة وهو في السجل الأول ـ كما ذكر الهمداني ـ «أزال بن قحطان وهو الذي بنى مدينة أزال وهي صنعاء». وقد قال ابن خلدون: «صنعاء أول مدينة أُختطت باليمن». وقال الهمداني «مدينة صنعاء هي أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها.. وكان اسمها أزال.. وصنعاء أقدم مدن الأرض..»[(٣)] ويتحقق كونها (أول مدينة أُختطت باليمن) وكونها (أقدم مدن الأرض) بأن الذي بناها أزال بن قحطان شقيق يعرب بن قحطان في بداية عصر الحضارة البرونزية وتأسيس أوائل المدن باليمن حيث تم أيضاً بناء مدينة موقع وادي يناعم في خولان بين صنعاء ومأرب.

---

(١) تأريخ مدينة صنعاء ـ الرازي ـ ص١٤ وص١٠.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٠٤ وص١٩٢ جـ١.

(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨.

ـ ويمكن القول أن مدينة أزال كانت مثل مدينة موقع وادي يناعم التي كشفت أطلالها تنقيبات البعثة الأثرية الإيطالية ـ في أغسطس ١٩٨٤م ـ وحددت البعثة الأثرية زمن تشييدها بأوائل الألف الخامس قبل الميلاد وأنها استمرت في الألف الخامس والألف الرابع ق.م. وتعطينا آثار مدينة موقع وادي يناعم فكرة عن مدينة أزال (صنعاء) في ذلك الزمن. فقد ذكر البروفيسور اليساندرو دي ميقريت رئيس البعثة الأثرية الإيطالية أن مدينة موقع وادي يناعم: «تُمثل بداية المجتمعات المعقدة التي تُمثل مرحلة الانتقال من مجرد مجتمع القرية الزراعي إلى مجتمع مركز متعدد الوظائف والنشاطات» ـ وتوجد فيها ـ « . . مباني كبيرة مشيدة من كتل حجرية ضخمة. . ومبنى كبير مخصص للطقوس الدينية لكافة أفراد المدينة». أما بيوت المواطنين فيتكون كل منها من غرفتين متجاورتين تطلان على ساحة تابعة للبيت فيها مخزن للحبوب وحفرة للطهي. وقد شُيدت البيوت على قواعد من كتل جرانيتيه. . وبُنيت الجدران والعتبات من الأحجار وكذلك الفواصل ومحيط مخزن الحبوب. ويتنوع حجم وشكل البيوت فمنها: بيوت كبيرة لها عمودان في الوسط يحملان السقف، وهي بيوت مستطيلة الشكل وبعضها بيضاوي الشكل ـ وربما كانت لكبار القوم ـ أما البيوت العادية فليس لها أعمدة وبعضها دائري الشكل وبعضها بيضاوي الشكل. وتدل عظام الحيوانات في حفر الطهي ـ كما ذكر دي ميقريت ـ «على تربية الثيران والأغنام والظآن ومواشي أخرى. وتدل انطباعات الحبوب على الأدوات الفخارية على زراعة الذرة والشعير والقمح والشوفان والسرغوم (نوع من الذرة) والدخن»[١].

وتعطينا نتائج التنقيبات الأثرية الدليل المادي واليقين الأساسي بما أشار إليه البروفيسور إدموند بوخنر رئيس معهد الآثار الألماني في برلين حيث قال: «إن اليمن من الأقطار الهامة للأبحاث الأثرية نظراً لوجود أقدم الحضارات فيها، وكان اعتقادنا في الماضي أن أقدم المراكز الحضارية في العالم هي مصر وبلاد الرافدين، أما الآن فقد اتضح أن اليمن من أقدم

---

(١) حضارة العصر البرونزي في جنوب الجزيرة العربية ـ إليساندرو دي ميقريت.

المراكز الحضارية في العالم»[١]. والمقصود بذلك عصر الحضارة البرونزية في اليمن منذ مطلع الألف الخامس ق.م. وفي الألف الخامس والألف الرابع ق.م. حيث دلت وتدل التنقيبات والمكتشفات الأثرية على أن من معالم الحضارة اليمنية في ذلك الزمن: ـ

١ ـ بناء ووجود أوائل المدن في تأريخ الإنسانية باليمن منذ أوائل الألف الخامس ق.م. مثل مدينة موقع وادي يناعم وكذلك أطلال موقع بين حدين وموقع المسنة وهي قرائن آثارية على وجود مدينة أزال (صنعاء) لأنها (أول مدينة أُختطت باليمن) وذلك في زمن يعرب بن قحطان وأزال بن قحطان في بداية ذلك العصر بأوائل الألف الخامس ق.م. وبما أن أوائل المدن في بلاد الرافدين ومصر ظهرت منذ عام ٣٥٠٠ق.م. فإن أرض اليمن هي أقدم المراكز الحضارية التي تأسست فيها أوائل المدن في تأريخ الإنسانية، وهذا يؤكد صحة قول الحسن الهمداني «أن صنعاء أقدم مدن الأرض» وصحة قول ابن عيسى الرداعي: ـ

بلاد مُلْكٍ ضَلّ مَنْ يقيسُ أرضاً بصنعاء لها تأسيسُ

٢ ـ وكان اليمن مهد ابتكار واستخدام البرونز والنحاس والمعادن، وقد تم العثور على أدوات تدل على ذلك في موقع مدينة وادي يناعم ومواقع أخرى تعود إلى الألف الخامس والألف الرابع ق.م. ومنها ـ كما ذكر البروفيسور إليساندرو دي ميقريت ـ «منقاش من البرونز له مقدمة عريضة ومقبض مربع القطاع ـ من موقع النجد الأبيض ـ وأداة برونزية وهي عبارة عن مخرز من البرونز ذي رأسين أحدهما حاد والآخر مسطح ـ من موقع النجد الأبيض ـ وجزء من أداة برونزية ـ من موقع وادي حورة ـ وقطعة من حلية متدلية من المرمر تشير آثارها إلى استعمال آلة معدنية ـ من موقع وادي يناعم ـ وخزازات عقود من العقيق ـ من موقع المسنة ـ»[٢]. وبما أن معرفة المعادن وخاصة النحاس في مصر وبلاد الرافدين كان بعد عام ٣٥٠٠ق.م. فإن ذلك

(١) تصريحات إدموند بوخنر ـ صحيفة الثورة ـ عدد ١٢/ ٤/ ١٩٨٦م.

(٢) حضارة العصر البرونزي في جنوب الجزيرة العربية ـ إليساندرو دي ميقريت.

يدل على أن معرفة واستخدام المعادن ومنها البرونز والنحاس تم في اليمن قبل مصر وبلاد الرافدين بل وانتقل إليها من اليمن.

٣ ـ وكان اليمن مهد استئناس وتربية الماشية وتؤكد مواقع العصر البرونزي ـ وكما ذكر دي ميقريت ـ «تربية الثيران والأغنام والظآن ومواشي أخرى». وكذلك تؤكد النشاط الزراعي وتنوع الإنتاج الزراعي حيث «تدل انطباعات الحبوب على الأدوات الفخارية على زراعة الذرة والقمح والشعير والشوفان والسرغوم والدُخن».

٤ ـ وقد تم العثور في موقع مدينة وادي يناعم على (١٤٢) أداة من أدوات طحن وتحويل الحبوب كما تم العثور على كميات أخرى في مواقع بين حدين والمسنة وغيرها. وقال البروفيسيور دي ميقريت عن ذلك ما يلي: «إن معظم الأدوات المكتشفة هي جزء من أدوات خاصة بعمليات حصاد الحبوب وتحويل منتجات الحبوب، وهذا بكل تأكيد صحيح بالنسبة لأحجار الرحى الضخمة ذات السطح المقعر والقدرة العالية على الكشط وهي مصنوعة من صخر التراكيت.. وهناك أنواع أخرى أكثر تقدماً وتطوراً تتمثل في أحجار الرحى الصغيرة ذات الشكل البيضاوي والمصنوعة من حجر الجرانيت الناعم والحجر الرملي، بالإضافة إلى الهاونات المتطورة المصنوعة من نفس المادة والمستخدمة مع المدقات المصنوعة من حجر البازلت الأسود.. وبعض الأدوات ذات صناعة محكمة ومُتقنة إلى حد كبير»[١].

٥ ـ وتم العثور في موقع وادي يناعم وموقع بين حدين ـ بمحافظة صنعاء ـ على أواني فخارية، منها ـ كما ذكر دي ميقريت ـ «أواني فخارية معمولة بالعجلة اليدوية (أي التي تُدار باليد) وهي متنوعة، منها أواني مزخرفة بحزوز جميلة على أشكال مثلثات عند الفوهة، وأواني عليها حزوز مستقيمة عند الفوهة ذات حواف مختلفة منها المائج إلى الخارج الثخين ومنها الرقيق ذو الحافة المستقيمة وهي ذات لون أحمر رقيق». والنوع الثاني: «أواني فخارية متنوعة مصنوعة بالعجلة

(١) حضارة العصر البرونزي في جنوب الجزيرة العربية ـ إليساندرو دي ميقريت.

السريعة، منها الأواني ذات الشكل اللّبني الثخين المعثور عليها في موقع وادي يناعم، وأواني متنوعة من موقع بين حدين منها الأحمر الرقيق المعمول بالعجلة السريعة ومنها اللّبني الرقيق، والمحروق الخشن»[١]. ويتبين من ذلك أيضاً أن تطوير صناعة الأواني الفخارية بابتكار واستخدام العجلة السريعة كان في اليمن، فقد ظهر وبدأ استخدام العجلة السريعة في صناعة الأواني الفخارية باليمن منذ الألف الخامس ق.م. بينما بدأ ذلك في بلاد الرافدين عام ٣٥٠٠ق.م.. بل وانتقل إليها من اليمن مع المعارف الحضارية التي نقلها معهم الذين هاجروا من جنوب الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين والشام عام ٣٥٠٠ق.م. حيث أنهم ـ وكما ذكر د. أحمد سوسة ـ «كانوا مزودين بخبرة فنية في الزراعة التي تعتمد على الري اكتسبوها في موطنهم الأول جنوب الجزيرة العربية فنقلوا حضارتهم إلى عالمهم الجديد في بلاد الرافدين»[٢].

٦ ـ وكذلك كان اليمن مهد بناء أوائل السدود في تأريخ الإنسانية، ومنها (سد موقع النجاد) الذي كشفته البعثة الأثرية الإيطالية وقال عنه البروفيسور دي ميقريت «إن سد موقع وادي النجاد كان لمنع الآثار السلبية للفيضانات ولمنع الرسوبيات الخصبة من أن تجرف عبر الوادي»[١] وكذلك فإن «نتائج المسح الأثري الذي قامت به البعثة الألمانية في وادي ذنة حيث يقع سد مأرب قد دلت على وجود حضارة وتقنية الري منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وقال د. برونر عضو البعثة الأثرية الألمانية: إن ترسبات وسائل الري تدل على أن تأريخ الري في وادي ذنة يعود إلى منتصف الألف الثالث ق.م.». وقد كشفت تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية ـ سنة ١٩٨٨ م ـ منشأة من منشآت سد مأرب الأقدم وهي منشأة لتخزين المياه حيث كما يذكر الباحث الألماني كلاوس شيبمان «إن الدراسات مِن قِبَل ـ العالم ـ فاجنر Wagner أرخت هذا الخزان المائي بأواسط الألف الثالث قبل الميلاد»[٣].

---

(١) حضارة العصر البرونزي في جنوب الجزيرة العربية ـ إليساندرو دي ميقريت.

(٢) حضارة الرافدين ـ أحمد سوسة ـ ص٨٩.

(٣) ممالك جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٦.

٧ ـ وكان التحنيط، معروفاً في اليمن منذ الألف الرابع وفي الألف الثالث قبل الميلاد، فقد تم العثور في ناووس بجبل الغراس ـ في محافظة صنعاء ـ على خمس مومياءات يمنية، وتم فحص عينات منها في المختبر الفيزيائي الهولندي بهولندا بإشراف جامعة أوترخت (Utrecht) الهولندية، وأسفر الفحص بأشعة الكربون ١٤ عن نتائج قال مدير المختبر الفيزيائي الهولندي: «إنها نتائج تدعو إلى الدهشة وتبوح بمعلومات كثيرة. منها أن زمن المومياء الأقدم يعود إلى الفترة من عام ٣٠٢٠ق.م .ـ ٢٧٩٥ق.م. وإن زمن المومياء التالية يعود إلى الفترة من ١٢٦٥ق.م .ـ ٩٨٠ق.م.»[(١)]. وذلك يعني وجود التحنيط في اليمن منذ الألف الرابع قبل الميلاد وفي الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد.

ويتبين من مجمل الدلائل والشواهد سالفة الذكر أن بناء مدينة أزال (وهي صنعاء الأقدم) في زمن أزال بن قحطان ووجودها منذ أوائل الألف الخامس قبل الميلاد وفي الألف الرابع والألف الثالث قبل الميلاد هو جزء من كل المعالم سالفة الذكر للحضارة اليمنية في ذلك الزمن، أي تأسيس ووجود أوائل المدن، ومعرفة واستخدام البرونز والنحاس والمعادن، وتربية واستخدام الحيوانات، وازدهار الزراعة والإنتاج الزراعي، وصناعة أدوات تحويل الحبوب، وتطوير صناعة الأواني الفخارية، واستخدام تقنية ووسائل الري، وبناء أوائل السدود، ووجود معبد في كل مدينة لممارسة الطقوس الدينية لكافة أفراد المدينة، ومعرفة واستخدام التحنيط.

(١) تقرير المختبر الفيزيائي الهولندي ـ مجلة الاتحاد ـ أبو ظبي ـ عدد ٢٣/ ١١/ ١٩٨٨م.

أنباء مدينة أزال
والبيت غُمدان في الألف الثاني ق.م.

شهدت مدينة أزال تطوراً هامًا في الألف الثاني قبل الميلاد حيث أصبحت أزال المدينة الرئيسية الثانية باليمن ومقرًا للملوك وتم تشييد البيت غُمدان (قصر غمدان) فيها، وذلك في عصر دولة سبأ الأقدم التي كانت عاصمتها مدينة سبأ في أرض مأرب، فقد ذكر علماء المؤرخين العرب الأوائل مدينة صنعاء (أزال) والقصر غمدان في أنباء أربعة ملوك حكموا في الألف الثاني قبل الميلاد كما تم العثور في صنعاء على آثار تعود إلى أواسط الألف الثاني ق.م. ونذكر هنا ما يلي: -

أولًا

وائل بن حِمْيَر..
أول ملك يقيم في صنعاء

هو الملك وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس ملك سبأ. قال ابن خلدون: «مَلَكَ عبد شمس - وهو سبأ - وبنى مدينة سبأ وسد مأرب.. ولما هَلَكَ سبأ - عبد شمس - قام بالمُلك بعده ابنه حمير، وقيل هو أول من تتوج بالذهب.. ومَلَكَ بعد حمير ابنه وائل، وتغلب أخوه مالك بن حمير على عُمان»[1] وقال: «كان أول من نزل بالشِّحر من القحطانية مالك بن حمير، خرج على أخيه وائل وهو ملك بقصر غمدان»[2]. ومؤدى ذلك أن الملك وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس اتخذ مدينة أزال وهي صنعاء مقرًا له، وهو أول من فعل ذلك من الملوك لأن زمنه في

(١) تأريخ ابن خلدون - ص ٤٨ جـ٢.
(٢) تأريخ ابن خلدون - ص٢٢٥ جـ٤.

القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ويستلزم ذلك تبيين التالي: ـ

١ ـ أن سبأ عبد شمس الذي بنى سد مأرب العرم هو سبأ عبد شمس بن وائل بن الغوث وكان من أعاظم الملوك. وقد ذكر نشوان الحميري عن مصادره الأقدم: «أن الملك وائل بن الغوث استكملت جزيرة العرب طاعة له وإجابة.. فلما توفي وائل بن الغوث قام بمقامه ابنه عبد شمس، فعاش في أهل عصره ميمون الطائر نظر الأيام، لا تزداد به الرئاسة إلا جِدَّة، ولا تطويه الليالي إلا عن ادّخار لعدّة واستعداد لنجدة.. وعاش النبي إبراهيم عليه السلام مدى عمر هؤلاء الثلاثة»[١]. أي الغوث ووائل وعبد شمس بن وائل.. وقال الحسن الهمداني في الإكليل: «كان النبي إبراهيم في عصر عبد شمس بن وائل.. وكان بين موت النبي إبراهيم وبناء سليمان مسجد بيت المقدس ألفاً ومائة سنة وإحدى وأربعين سنة وذلك في عصر بلقيس»[٢]. ويتبين من ذلك أن عهد الملك سبأ عبد شمس بن وائل كان عام٢١٠٠ قبل الميلاد لأن الدراسات حددت أن بناء النبي سليمان لبيت المقدس ـ المعروف بهيكل سليمان ـ كان عام ٩٥٩ق.م.[٣]. وبإضافة (١١٤١ سنة) إلى ذلك العام يتبين أن عهد سبأ عبد شمس كان عام ٢١٠٠ق.م، وقد حكم خمس وثمانين سنة وكانت مدينة سبأ التليدة في أرض مأرب هي العاصمة في عهده وقام بتشييد سد مأرب العظيم الأقدم ومات قبل أن يتمّه فأتمّه ابنه حمير بن سبأ عبد شمس كما ذكر ذلك ابن خلدون. ومؤدى ذلك أن تشييد سد مأرب الأقدم كان ما بين سنة (٢٠٥٠ق.م. ـ ١٩٩٠ق.م.) وإن سد مأرب كان موجوداً ودولة سبأ كانت موجودة في الألف الثاني قبل الميلاد.

لقد كان المستشرقون والدارسون يعتقدون أن تأريخ دولة سبأ وسد مأرب لا يرجع إلى ما قبل أواسط الألف الأول ق.م. ولكن التنقيبات والمكتشفات الأثرية أثبتت خطأ ذلك الاعتقاد حيث أسفرت تنقيبات أثرية

---

(١) السيرة الجامعة ـ نشوان الحميري ـ ص٤٢.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٠٠ جـ١.

(٣) الشعوب والحضارات ـ ترادكسيم ـ ص٣٤.

قامت بها بعثة أثرية أميركية عام ١٩٨٦م برئاسة الدكتور جيمس ساور من جامعة بنسلفانيا عن العثور على لقى أثرية سبئية في وادي الجوبة بمأرب «يعود زمنها إلى القرن الرابع عشر والقرن الثالث عشر ق.م». وقال د. جيمس ساور: «إن هذه المكتشفات الأثرية تُبرهن بأن سبأ أقدم مما اعتقده العلماء»[١] . ـ أي علماء المستشرقين، لأنها تبرهن بأن دولة سبأ كانت موجودة في الألف الثاني ق.م .ـ وكذلك فقد أسفرت تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية في موقع سد مأرب ـ عام ١٩٨٨ م ـ عن كشف: «أن المنشآت الأقدم في سد مأرب يعود زمنها إلى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد»[٢] . ويتبين من ذلك صحة ما ذكره علماء المؤرخين العرب الأوائل عن تشييد سد مأرب في عهد سبأ عبد شمس وحمير بن سبأ وصحة التحديد السالف لعهدهما وتشييدهما سد مأرب ما بين عام ٢٠٥٠ و١٩٩٠ق.م. وإن سد مأرب العظيم الأقدم كان موجوداً في الألف الثاني ق.م. حيث كما قالت البعثة الأثرية الألمانية: ـ «إن سد مأرب صرح عملاق استمر في أداء وظيفته آلاف السنين».

٢ ـ قال ابن خلدون: «ومَلَك بعد حمير ـ بن سبأ عبد شمس ـ ابنه وائل، وتغلب أخوه مالك بن حمير على عُمان فكانت بينهما حروب». وقال: «كان أول من نزل بالشِّحْر من القحطانية ـ الملوك ـ مالك بن حمير، خرج على أخيه وائل وهو ملك بقصر غُمدان» [اهـ].

ويبدو من ذلك أن الملك وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس انتقل من مدينة سبأ ـ العاصمة ـ إلى مدينة أزال ـ صنعاء ـ واتخذها مقرًا بسبب تغلب أخيه مالك بن حمير على مناطق الشِّحر وهي حضرموت والمهرة وظفار عُمان، وقد اتخذ الملك وائل مدينة أزال (صنعاء) مقرًا، لأنه ـ كما قال الحسن الهمداني ـ «مدينة صنعاء هي أُم اليمن وقطبها لأنها في الوسط

(١) صحيفة نيويورك تايمز ـ عدد ٤/ ٢/ ١٩٨٦م.
(٢) مكتشفات أثرية ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ مجلة الوطن ـ عدد ٥/ السنة ١١/ يونيو ١٩٨٨م.

منها، ما بينها وبين عدن كما بينها وبين حد اليمن من أرض نجد والحجاز، وكان اسمها أزال»[١].

وقد ولّى الملك وائل ابن أخيه نجران بن زيدان بن سبأ عبد شمس على منطقة نجران وما إليها من أعالي اليمن. قال ابن خلدون «نجران بن زيدان بن سبأ، وبه سُميت البلد»[٢] ـ أي نجران ـ وقال نشوان الحميري: «نجران اسم وادٍ باليمن سُمّي بنجران بن زيدان بن سبأ الأوسط»[٣]. وسبأ الأوسط هو سبأ عبد شمس بن وائل. وقد أدى تغلب مالك بن حمير على مناطق الشحر وحضرموت والمهرة وعُمان إلى اتخاذ الملك وائل بن حمير مدينة أزال مقرًّا له لأنها في وسط اليمن ولتوجيه وقيادة الحرب منها ضد مالك بن حمير والذين معه في شرق جنوب اليمن. وقد سار الملك وائل من صنعاء إلى جهات حضرموت والشِّحر ومشارقها وكان ابنه الضحاك سكسك بن وائل يحكم معه ونائباً له في صنعاء (أزال) وهو الذي بنى غُمدان، ويدل زمن الملك سبأ عبد شمس وترتيب الملوك على أن الملك وائل كان في القرن التاسع عشر ق.م. (ما بين عام ١٩٠٠ وعام ١٨٦٠ق.م.). لأنه حكم أربعين سنة.

ثانياً

تشييد غُمدان في عهد الضحاك سكسك بن وائل

ثم تولى الحكم الملك الضحاك سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس وهو الذي قام ببناء قصر غُمدان البناء الأول. قال المسعودي في مروج الذهب: «بيت غُمدان بصنعاء بناه الضحاك على اسم كوكب الزهرة»[٤]. وقال ابن خلدون: « . .وقصر غُمدان بناهُ الضحاك باسم

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٨١

(٢) تأريخ ابن خلدون ـ ص٤٨ جـ٢.

(٣) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص١٠٢.

(٤) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٤ جـ٢.

الزهرة وحجّت إليه الأمم»[١]. قال الحسن الهمداني: «وذكر حُسَّاب اليمن كابراً عن كابر أن الطالع كان ساعة بناء غُمدان برج الثور وفيه الزهرة والمريخ. ويوجد طبائع هذا البرج في ثبات الأشياء بها وقلّة تغيّرها ودوام هذا الأساس، وأنه ـ أي غُمدان ـ أقام في تزايد مع الملوك قدر أربعة آلاف سنة قمرية»[٢]. وقد ذكر ذلك الرازي أيضاً ثم قال الرازي: «قال أبو محمد: وحدثني همّام بن مَسْلَمة بن عُقبة بن همّام، قال سمعتُ الذماري يقول: أول حجر وُضع على حجر غُمدان بناه شراحيل الحميري، وبنى القصبة [أو القصر] بعده بألف عام إل شَرْح يَحضُب»[٣]. وقد يعني بقوله: (شراحيل الحميري) أن اسم الضحاك كان شراحيل وإنما هو السكسك بن وائل بن حمير، وأما قوله: «وبنى القصر بعده بألف عام إل شَرْح يَحضُب» فهو تحديد بالغ الدقة لأن «إل شَرْح يَحضُب ملك سبأ وذي ريدان» قام ببناء قصر غمدان فوق البناء الأقدم في أوائل القرن التاسع قبل الميلاد ـ كما سيأتي ـ وكان الذي بَنَى غُمدان البناء الأقدم الأول الملك الضحاك سكسك بن وائل قبل ذلك بألف سنة، أي في القرن التاسع عشر ق.م.

فقد تولى الضحاك سكسك بن وائل الحكم بعد وفاة أبيه في أواسط القرن التاسع عشر ق.م. قال ابن خلدون: «ثم مَلَك بعد وائل السكسك بن وائل، وكان مالك بن حمير قد هَلَك وغَلَبَ على عُمان بعده ابنه قضاعة بن مالك بن حمير، فحاربه السكسك وأخرجه عنها»[٤]. فامتد سلطان الضحاك سكسك بن وائل إلى عُمان وإلى البحرين وهي دلمون ـ منطقة الخليج ـ قال ابن خلدون: «كان ماران بن عوف بن حمير صاحب البحرين»[٤]. وقد ولاهُ عليها الملك الضحاك سكسك بن وائل ثم سار إلى بلاد بابل بالعراق لمناصرة الأموريين العرب الساميين هناك ضد قوى معادية. قال الحسن الهمداني: «غزا السكسك بن وائل النمرو بن ماش حتى بلغ حنو قراقر من أرض العراق»[٥].

---

(١) تأريخ ابن خلدون ـ ص٢٢٢ جـ٤.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٥ جـ٨.
(٣) تأريخ مدينة صنعاء ـ الرازي ـ ص٢٠.
(٤) تأريخ ابن خلدون ـ ص٤٨ جـ٢.
(٥) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨١ جـ٨.

وقد صارت مدينة أزال (صنعاء) عاصمة سياسية ودينية في عهد الضحاك سكسك بن وائلٍ حيث قام بتشييد البيت غُمدان باسم كوكب الزهرة (عثتار) مما يعني أنه كان معبداً حيث كما ذكر ابن خلدون «حجَّت إليه الأُمم». وكان غُمدان في ذلك الزمن طابقاً واحداً ضخماً. قال الهمداني: «أخبرني بعض أهل العلم أن غُمدان كان على سبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً، وهذا لا يمكن لأن أربعين ذراعاً بين كل سقفين كثير، والثبت أنه عشرون سقفاً كل سقف على عشرة أذرع». [ص ٨/١٨] ونرى من ذلك أن الذي كان «أربعون ذراعاً» هو الطابق الأول الأقدم الذي بناه الضحاك سكسك بن وائل معبداً وربما كان يتصل به أيضاً قصر للملك (طابق واحد) أما السبعة سقوف ثم العشرون سقفاً فكان ذلك في زمن الملك إل شَرْح يَحضُب والملوك التبابعة. ويدل كون غمدان معبداً في زمن الضحاك سكسك بن وائل على أن مدينة أزال (صنعاء) صارت في عهده عاصمة دينية ومقرًا لعبادة آلهة محددة (مثل عثتار/ وحوريس). وقال الحكمي:

ونحن أرباب ناعطٍ ولنا ... صنعاء والمسك في محاربها
وكان فيها الضحاك تعبده ... الإنس والجن في مساربها

ومات الضحاك سكسك بن وائل ـ حوالي عام ١٨٤٠ق.م ـ. ولكن مدينة أزال استمرت مدينة رئيسية ومعقلاً لعبادة دينية عدة قرون من ذلك العصر التليد.

ثالثاً

ذكر غُمدان في عهد الملك شداد.. ودلالة مومياءات جبل الغراس

وجاء ذكر غُمدان في أنباء الملك شداد بن شمس عاد بن الملطاط بن الضحاك سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس. وكان شداد من عظماء الملوك وعاصر حمورابي ملك بابل وربما سار لمناصرته إلى بابل وأشور، وقد ذكر الحسن الهمداني مسير الملك شداد

إلى تلك الجهات وقال: «ثم قَفَل ـ أي رجع الملك شداد ـ فأنفَ أن يدخل غُمدان ومضى إلى مأرب فبنى بها القصر العتيق، فلم يدع في اليمن درّاً ولا جوهراً ولا عقيقاً ولا جزعاً، ولا بأرض بابل وأرسل في الآفاق يجمع ذلك، فجمع أنواع جواهر الدنيا من الذهب والفضة والحديد والخارصيني والنحاس والرصاص، فبنى فيه وزخرفه ورصعه بجميع ذلك الجوهر، وجعل في أرضه زجاجاً أحمر وأبيض وغير ذلك من الألوان وجعل تحتها أسراباً أفاض إليها ماء السد، فكان قصراً لم يكن في الدنيا مثله. ثم مات شداد فثُقبت له مغارة في جبل شبام»[١]. أي تم دفنه في مغارة بجبل شبام وكان يُقال للمغارات المدافن نواويس، وشبام هو شبام الغراس بمحافظة صنعاء، وقد تم دفن الملك شداد مُحنّطاً في ناووس بالجبل. قال الهمداني: «وكان شداد غير متوّج متواضعاً للّه تعالى»[١].

وقد تم كشف إحدى المغارات النواويس بجبل شبام الغراس وتم العثور فيها على خمس مومياءات موضوعة في شبه حقائب جلدية، وقام المختبر الفيزيائي الهولندي بفحص عينات منها وتحديد زمنها بأشعة الكربون ١٤ حيث أسفر الفحص عن نتائج. قال مدير المختبر الفيزيائي الهولندي بهولندا: «إنها نتائج مثيرة للدهشة وتبوح بمعلومات كثيرة»[٢] منها تحديد زمن ثلاث مومياءات كما يلي: ـ

«المومياء الأقدم	من ٣٠٢٠ ـ ٢٧٩٥ق.م.
المومياء الأوسط	من ١٢٦٥ ـ ٩٨٠ق.م.
المومياء الخامسة	من ٩٦٠ ـ ٩٣٠ق.م.»[٢].

وتتميز هذه المومياءات اليمنية السبئية بأنها موضوعة في شبه حقائب جلدية وأن الفراغ البطني ليس محشوًّا بنشارة الأخشاب مثل المومياءات المصرية، وإنما الفراغ البطني محشو بأعشاب ذات رائحة طيبة وقادرة على امتصاص السوائل وهي أعشاب نبات الراء»[٢]. وتوجد المومياءات حالياً بمتحف جامعة صنعاء.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٣ جـ٨.

(٢) المومياءات اليمنية ـ صحيفة الاتحاد ـ أبو ظبي ـ عدد ٢٣/ ١١/ ١٩٨٨م.

وتعطينا هذه المومياءات اليقين بصحة دفن الملك شداد بن شمس عاد في مغارة بجبل شبام الغراس وكان عهده في القرن الثامن عشر قبل الميلاد (حوالي عام ١٧٥٠ق.م.) وتدل المومياءات على معرفة واستخدام التحنيط باليمن في العصر السبئي الأقدم بالألف الثاني قبل الميلاد لأن المومياء الأوسط يعود زمنها إلى القرن الثالث عشر ويمتد مع المومياء الخامسة إلى القرن العاشر قبل الميلاد.

رابعاً

غُمدان وأزال في عهد الرائش.. والشواهد الأثرية الهيروغليفية

وقد جاء ذكر غُمدان ومدينة أزال في أنباء الملك الحارث الرائش وهو ـ كما جاء في الإكليل ـ «الحارث الرائش بن إل شدد بن عمرو الهمال ذي مناخ بن عاد بن شداد بن عاد بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ»(١). وهو أول ملوك سبأ التبابعة. وقد ذكر الحسن الهمداني مشاهير الملوك التبابعة منذ الرائش إلى سيف بن ذي يزن ثم قال ما يلي نصه: «يكون جميع ما ملكوا ألفيّ سنة وإحدى وثمانين سنة من الرائش سوى ما ملكوا قبله، وهذا رسمها ٢٠٨١ سنة»(٢). ومؤدى ذلك أن الحارث الرائش كان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهو تحديد زمني بالغ الدقة فبموجب ذلك يكون بداية عهده عام ١٤٨٨ق.م. وقد حكم ٥٦ سنة فيكون عهده من ١٤٨٨ ـ ١٤٣٢ق.م. وقال عنه ابن خلدون: «أول الملوك التبابعة باتفاق من المؤرخين الحارث الرائش»(٣) وقد ذكر الحسن الهمداني ونشوان الحميري أيضاً: «أن الرائش كان في عصر النبي موسى عليه السلام»(٤) وهو الرائش الثاني، قال نشوان: «هو الملك الرائش بن قيس بن

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٧ جـ٨.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٤١.
(٣) تأريخ ابن خلدون ـ ص٤٨ جـ٢.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٧ و ٢١٩ جـ٨.

صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر»[١]. وقد حددت الدراسات أنه «كان خروج موسى وقومه من مصر في آخر عهد الملك رعمسيس الثاني ـ عام١٢٢٤ق.م.ـ»[٢] وقد مكث قوم موسى في برية سيناء أربعين سنة، فيكون عهد الرائش في تلك الفترة من القرن الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد (من ١٢٢٠ ـ ١١٨٠ق.م.) لأنه حكم أربعين سنة. وبالتالي يكون: ـ

أ ـ عهد الحارث الرائش بن إل شدد ـ القرن الخامس عشر ق.م. (من ١٤٨٨ ـ ١٤٣٢ق.م.).

ب ـ عهد الرائش بن قيس بن صيفي الذي عاصره النبيّ موسى. (من ١٢٢٠ ـ ١١٨٠ق.م.).

وقد جاء ذكر غُمدان ومدينة أزال (صنعاء) في أنباء عهد الحارث الرائش ملك سبأ وكذلك الرائش بن قيس بن صيفي ملك سبأ بأنه «سار الرائش من أزال غازياً التُرك في الشام وما يليها من بلاد الترك إلى أن بلغ تحت بنات نعش من أرمينية وذلك في عصر موسى عليه السلام» قال الهمداني: «ثم قَفَلَ الرائش راجعاً إلى غُمدان فلما استقر فيه أقبل على ولده (ذي المنار) يوصيه ويقول له: «إن أباك خوّلك المُلك فأقرّه في محتد أنت واسطة الناس فيه وأولاهم به، فاجعل العدل ناصراً واتخذ الإحسان لك نجدة واصطنع العشيرة ليوم ما»[٣] ويتبين من ذلك أن وفاة الرائش وتمليك ذي المنار كان في غُمدان بمدينة أزال (صنعاء) وأن مدينة أزال كانت مدينة رئيسية ويقيم فيها الملوك في عهد الحارث الرائش ـ بالقرن الخامس عشر ق.م .ـ إلى عهد الرائش الثاني وذي منار في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

وقد تم العثور في صنعاء ومأرب على قطع أثرية يمنية مكتوبة بالكتابة الهيروغليفية يعود زمنها إلى الفترة من القرن السادس عشر

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص٦١.
(٢) معالم تأريخ الشرق الأدنى القديم ـ د. محمد أبو المحسن عصفور ـ ص٣١٧.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٧ و ٢١٩ جـ٨.

والخامس عشر ق.م. إلى القرن الثاني عشر ق.م. فقد عثر واشترى الرحالة الألماني (كارل راتجنس) وزميله (فايسمان) عدة قطع أثرية يمنية مكتوبة بالهيروغليفية أثناء رحلتهما إلى اليمن وقاما بنشرها في كتابهما الصادر عام ١٩٣٣م وهو كتاب: ـ

Vorislamishe abtertumer. Carl rathjens and V. Wissman

وكذلك في كتاب كارل راتجنس الصادر عام ١٩٥٥م في هامبورج وهو كتاب: ـ

SABEICA- Carl Rathjens. Hamburg. 1955. p. 215 - 217

كما عثر واشترى د. أحمد فخري عدة قطع أثرية يمنية هيروغليفية في رحلته إلى اليمن عام ١٩٤٨م وذكرها في كتابه (رحلة أثرية في اليمن). وتكتسب تلك القطع الأثرية اليمنية الهيروغليفية أهمية بالغة وهي كما جاء في كتاب كارل راتجنس وفايسمان وكتاب كارل راتجنس (SABEICA) وكتاب د. أحمد فخري: ـ

١ ـ قطعة أثرية من الفيانس الأزرق منحوت عليها الصقر واسم الإله (حوريس) بالهيروغليفية. تم العثور عليها في صنعاء. وقد ذكر كارل راتجنس أنها من صنعاء.

٢ ـ جعران من الفيانس الأزرق يحمل اسم الإله (أنوبيس) بالهيروغليفية.

٣ ـ جعران من الفيانس الأزرق عليه اسم ورمز الإله (رع حور أختى سيد المشرقين) بالهيروغليفية.

٤ ـ قطعة أثرية قال د. أحمد فخري أنها تذكر (تحوتمس الثالث ملك مصر ١٤٦٨ ـ ١٤١٦ق.م.). وهي تدل على العلاقة الوثيقة بين مصر واليمن في ذلك العهد وهو عهد (الحارث الرائش عام ١٤٧٠ ـ ١٤٣٢ق.م.). بالقرن الخامس عشر ق.م.[(١)].

٥ ـ قطعة أثرية قال د. أحمد فخري أنها تعود إلى الفترة (١٤٠٥ ـ ١٣٦٧ق.م.) بالقرن الرابع عشر ق.م.[(١)].

---

(١) وقد تم العثور في مصر على نقوش فرعونية عن العلاقات مع اليمن في ذلك العصر=

٦ ـ جعران باسم الإله (الحور) تم شراؤه من الحديدة كما ذكر راتجنس.

٧ ـ جعران عليه قرص الشمس وهو يخرج من الأُفق. وهو يماثل رسوم موقع العمارنة بمصر.

٨ ـ جعران عليه صورة الصقر وقرص الشمس ـ رمز الإله إيس إله الشمس ـ ويعود إلى القرن الثالث عشر ق.م. الذي تعود إليه أيضاً بعض المومياءات اليمنية المعثور عليها في ناووس جبل الغراس بمحافظة صنعاء والتي حدد المختبر الفيزيائي الهولندي زمنها بالفترة من ١٢٦٥ ـ ٩٨٠ق.م.

٩ ـ قطعة أثرية صغيرة على أحد وجهيها رسم للصقر وقرص الشمس، وفي الوجه الآخر رسم يُمثل ملكاً وكتابة بالرموز الهيروغليفية قال د. أحمد فخري أنها «أمون رع سيد عروش الأرضين». ونرى أنها يمكن أن تكون «أمنفيس ملك عروش الأرضين» وهو لقب الرائش الثاني باران ذي رياش الذي حكم في الفترة (١١٢٠ ـ ١١٨٠ق.م.) ومات في غُمدان بصنعاء كما ذكر الهمداني في الإكليل.

١٠ ـ جعران باسم ورمز الملك (أمنفيس/ ذي منار) بالهيروغليفية تم العثور عليه في مأرب، ويعود إلى أواسط القرن الثاني عشر ق.م. [انتهى].

وتتمثل الأهمية البالغة لتلك القطع الأثرية اليمنية في دلالاتها على أمور ثلاثة: ـ

أ ـ أن بعض تلك القطع الأثرية اليمنية المكتوبة بالهيروغليفية تم العثور عليها في صنعاء ويعود زمنها إلى القرن الخامس عشر حتى

= منها كما ذكر د. أبو العيون بركات: ـ «نقش يذكر أن تحوتمس الثالث ملك مصر أرسل بعثة إلى اليمن جلبت البخور والراتنج في السنة العاشرة من حكمه. ونقش يذكر وصول وفد من عظماء اليمن بسلام وأحضروا هدايا للملك تحوتمس. ونقش من عهد أمنحوتب ملك مصر (١٤٠٥ـ ١٣٦٧ق.م.) كتبه الوزير (سويك حتب) في موقع سرابيط الخادم بسيناء يذكر وصول وفد من عظماء اليمن ـ بونت تانترايس الأرض المقدسة ـ إلى مصر» [مجلة الإكليل ـ العدد ١ـ السنة ١٩٨٧م.

القرن الثاني عشر ق.م. وبالتالي فإنها تدل على أن صنعاء كانت مدينة رئيسية سياسياً ودينياً في ذلك العصر، وتدل على صحة ما ذكره الحسن الهمداني بأن الحارث الرائش ثم الرائش الثاني معاصر النبي موسى كانا في غُمدان بمدينة صنعاء التي هي مدينة أزال في ذلك الزمن.

ب ـ أن القطع الأثرية اليمنية الهيروغليفية تدل على أن الكتابة الهيروغليفية كانت موجودة في اليمن وليس في مصر فقط. فليست تلك الآثار اليمنية الهيروغليفية مصرية فرعونية كما ظن راتجنس وفخري، وإنما هي آثار يمنية تم العثور عليها في اليمن وهي مكتوبة بالهيروغليفية لأنها كانت الكتابة النقوشية الدينية باليمن قبل ابتكار كتابة المسند الأبجدية النقوشية اليمنية التي حلّت محل الهيروغليفية باليمن في أواسط القرن الثاني عشر وفي القرن الحادي عشر ق.م.

جـ ـ أن القطع الأثرية اليمنية الهيروغليفية هي من الشواهد الأثرية على دولة وحضارة اليمن السبئية الأقدم والتي تشمل أيضاً ثبوت وجود سد مأرب منذ بداية الألف الثاني ق.م. وتشمل اللقى الأثرية المعثور عليها في وادي الجوبة بمأرب والتي حددت البعثة الأثرية الأميركية زمنها بالقرن الرابع عشر والقرن الثالث عشر ق.م. كما تشمل المومياءات اليمنية المعثور عليها في ناووس جبل الغراس والتي حدد المختبر الفيزيائي الهولندي عودة بعضها إلى القرن الثالث عشر حتى القرن العاشر ق.م. فكذلك فإن القطع الأثرية اليمنية الهيروغليفية هي من الدلائل والشواهد الأثرية على ذلك العصر حتى عهد الزعيم العظيم الرائش باران ذي رياش ملك سبأ وملك عروش الأرضين الذي حكم من (١٢٢٠ق.م ـ ١١٨٠ق.م.) ومات في غُمدان بمدينة أزال، ثم ابنه الملك ذي المنار ابن الرائش الذي تم تمليكه بعد وفاة أبيه بمدينة أزال (صنعاء) ثم انتقل إلى مدينة مأرب، وقد حكم ٣٨ سنة. ثم حكم بعده ابنه الملك ذو الأذعار بن ذي منار ٢٦ سنة ثم أخوه الملك إفريقيس بن ذي منار إلى نهاية القرن الثاني

عشر ق.م. (١١١٤ ـ ١١٠٠ق.م.) حيث انتهى ذلك العصر وانتهت مدينة أزال كمدينة رئيسية سياسياً ودينياً ـ بسبب تحولات سياسية ودينية ـ في نهاية ذلك العصر السبئي الهيروغليفي الحضاري التليد في أواخر القرن الثاني عشر من الألف الثاني قبل الميلاد ثم ما لبث أن تأسست ـ في مكان أزال ـ مدينة صنعاء، وارتفع ـ مكان معبد غُمدان ـ قصر غُمدان العظيم.

مدينة صنعاء وقصر غُمدان العظيم في عصور ملوك سبأ التبابعة منذ القرن الحادي عشر ق.م. وفي الألف الأول ق.م.

المبحث الأول

بناء مدينة صنعاء في عهد هَلْك أمرْ ملك سبأ وذي ريدان وأنباء صنعاء إلى عهد الملكة بلقيس

في عام ١٤٠ ـ ١٥٠ للتقويم السبئي (١٠٨٠ ـ ١٠٧٠ق.م.) تم تشييد مدينة صنعاء، بناها وسمّاها صنعاء الملك (هَلْك أمْر بن كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ وذي ريدان) وقد تم العثور على نقش مسند يذكر قيام ذلك الملك باختطاط وبناء مدينة صنعاء (هجرن/ صنعان) وأنه أسكن فيها قبائل من شعبيّ سبأ وفيشان. وقد تم نشر ذلك النقش المسند في المجموعات النقوشية برقم (G.I.A. 542) واستناداً إلى ذلك النقش أيضاً قال د. محمد بافقيه: «صنعاء مدينة سبئية، فقد أمر باختطاطها ملك سبئي ووطّن فيها عند بنائها بعضاً من قبيلتي سبأ وفيشان». وقال: «قامت صنعاء مدينة تتقاسمها سبأ وفيشان، أقامها ملك اسمه هلك أمر بن كرب إل وتر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان»[١].

وكذلك جاء ذكر صنعاء وقصر غمدان في نقشين مسندين تم العثور عليهما في معبد أوام المشهور باسم (محرم بلقيس) في مأرب، أحدهما النقش (رقم ١٨ كهالي) ويذكر «نبتت/ واتوت/ إل شرح يحضب وأخيه يازل بين ملكي سبأ وذي ريدان ابني فرع ينهب ملك سبأ/ عدي/ بيتن/

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص ٥١ و ٦٠/٢.

سَلْحِين/ وغمدان»[١]. أي «استيفاء تَمَلُك ووصول إل شرح يحضب وأخيه يازل إلى القصرين سِلْحين وغُمدان. وثانيهما النقش (رقم ٥٧٧ جام) بكتاب (نقوش سبئية من محرم بلقيس) ويذكر النقش «إن إل شَرْح يَحضُب وأخيه يازل ملكي سبأ وذي ريدان يحمدان الإله ـ إلمقه ـ لأنه حفظ لهم البيتين سَلْحين وغُمدان، والمدن (هجرن) مأرب وصنعان (صنعن) ونشق»[٢]. وقد جاء ترتيب («إل شَرْح يَحضُب وأخيه يازل) بعد أربعة أجيال من عهد (هلك أمر بن كرب إل وتار يهنعم) في «كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان»[٣].

وقد جاء ذكر الملك (هَلْك أمْر) بلفظ (تُبَع هَلْك) وباسم (عمرو ذي غُمدان) في الإكليل والسيرة الجامعة وصفة الجزيرة. والاسم (عمرو) هو في الأصل (أمْر). قال الهمداني في الأنساب بالإكليل: «أولد أبو شَرْح يَحضُب: عمراً ينار ذا غُمدان ـ وهو ـ أول من شرع في تشييد غُمدان بعد بنائه القديم»[٤]. وقال نشوان الحميري في قصيدته عن الملوك التبابعة:

أمْ أينَ ذو غُمدان أو ذو فائشٍ ... أو ذو رُعَيْنٍ لم يفز بفلاح

ثم قال: «عمرو ذو غُمدان بن إل شَرْح يحضب: الذي بنى قصر غُمدان بعد بنائه الأول، وابنه وتار الملك»[٥] وقد وقع التباس في اسم والد عمرو ذي غُمدان فالصواب أنه (وتار) فهو كما في النقش (هَلْك أمرْ بن كرب إل وتار) ويُختصر إلى «أمرْ بن وتار» وهو «عمرو ذو غُمدان» في النصوص السالفة، وقد جاء ذكره بلفظ «تُبَّع هَلْك» في قصيدة ابن عيسى الرداعي التي أوردها الهمداني في صفة الجزيرة حيث قال عن صنعاء: ـ

«بلادُ مُلْكٍ ضَلَّ من يقيسُ ... أرضاً بصنعاء لها تأسيسُ

---

(١) في تأريخ اليمن ـ مجموعة نقوش الكهالي ـ تحقيق مطهر الأرياني ـ النقش رقم ١٨ كهالي.

(٢) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ النقش رقم ٥٧٧ جام.

(٣) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٢/ ٢.

(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٨٦ جـ٢.

(٥) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٦٨.

.. أرضٌ بها غُمدان والقليسُ بناهما ذو النجدة الرئيسُ
تُبّعُ هَلْك، وبَنَتْ بلقيس»[1]

وتُبّع هلك هو «هلك أمْر» وهو «عمرو ذو غُمدان» وقد ذكر الهمداني ونشوان ترتيبه قبل زمن الملكة بلقيس معاصرة النبي سليمان في القرن العاشر ق.م. وكذلك ذكر الهمداني ترتيب الملك إل شَرْح يَحضُب في تلك الفترة ـ بالقرن العاشر ق.م ـ وقال: «إن الذي بَنَى غُمدان إل شَرْح يَحضُب» [ص ١٩/٨].

وتتبين من النقوش الأثرية وتلك المصادر التأريخية المعالم التالية: ـ

ـ إن مدينة أزال التي كانت مدينة رئيسية هامة ـ سياسياً ودينياً ـ حتى القرن الثاني عشر ق.م. ربما انتهت وتعرضت للخراب بسبب تحولات سياسية ودينية، وبصفة خاصة التحول من عبادة الآلهة السابقة إلى عبادة الإله (إلمقه) وما قد يكون رافق ذلك من أحداث في أواخر القرن الثاني عشر ومطلع القرن الحادي عشر ق.م. حيث بدأ العصر الثاني لملوك سبأ التبابعة والذي يحمل ملوكه في نقوش المسند المعثور عليها في معبد أوام (محرم بلقيس) ومعبد باران (عرش بلقيس) في مأرب عاصمة سبأ لقب (ملك سبأ وذي ريدان) وقد كان أولهم ـ كما في (كرونولوجيا الملوك) ـ ذمر علي وتار يهنعم بن سمهعال، ثم ذمر علي بين، ثم كرب إل وتار يهنعم وابنه هلك أمر. وكان زمنهم الصحيح في القرن الحادي عشر ق.م.

ـ وقام الملك (هَلْك أمر) باختطاط وبناء مدينة صنعاء ـ مكان مدينة أزال ـ وأسكن في صنعاء قبائل من سبأ وفيشان كما ذكر ذلك النقش المسند (رقم G.I.A. 542) فكان الملك (هَلْك أمر) أول من قام ببناء مدينة صنعاء ـ بعد انتهاء أزال ـ وهو أيضاً «أول من شرع في تشييد قصر غُمدان بعد بنائه القديم» كما ذكر ذلك الهمداني ونشوان الحميري. وقد كان غُمدان في العصر السابق معبداً ضخماً باسم الزُهرة وكان طابقاً واحداً

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٨٢.

ارتفاعه أربعون ذراعاً، ويبدو أن (هَلْك أمر) قام بتجديده وتحويله إلى قصر وبناء عدة طوابق فوقه، وسكن فيه، ولذلك قيل له (ذو غُمدان). وقد ذكره ابن عيسى الرداعي بأنه «ذو النجدة الرئيس تُبّع هَلْك» وذكره الهمداني ونشوان باسم «عمرو ذو غمدان» وأنه كان قبل الملكة بلقيس بعدة أجيال، أي أنه كان في أواسط القرن الحادي عشر قبل الميلاد لأن بلقيس كانت في القرن العاشر قبل الميلاد.

ـ والملك (هَلْك أمر) هو الذي سمّى صنعاء باسم صنعاء أو (صنعان) لأنه الذي بناها ولأنها مذكورة في نقش عهده بلفظ «هجرن صنعن» ومعنى (هجرن) بالمسند (مدينة) ثم (صنعن) وتُقرأ (صنعان) لأنهم كانوا لا يكتبون حرف الألف إذا جاء في وسط الكلمة، فيكتبون (صنعن) و (خولن) و (همدن) و (ريدن) و (غمدن) والنطق (صنعان) و (خولان) و (همدان) و (ريدان) و (غمدان) ومثل ذلك (الرحمن) في كتابة المصحف والنطق (الرحمان). إن مجيء اسم صنعاء بلفظ (صنعان) في نوقش (هَلْك أمر) ثم (إل شَرْح يَحضُب ويازل بين) ثم غيرهم من ملوك سبأ التبابعة يعني أن صنعاء كان اسمها في تلك العصور صنعان. ومما يعزز ذلك: ـ

أ ـ قال القاضي المؤرخ محمد بن علي الأكوع في هامش صفة الجزيرة: «قال ياقوت ـ في معجم البلدان ـ: وفي صنعاء لغةٌ (صنعان) بزيادة نون آخر الحروف حكاها عن نصر الإسكندري. قال الأكوع: وهي لا تزال لغة الكلاع: إب ومخاليفها ولغة حجة وبواديها فيقولون في صنعاء: صنعان»[(١)]. وأقول: إن ذلك وما ذكره ياقوت الحموي هو من أثر بقاء الاسم الأقدم (صنعان) في ذاكرة الأُمة.

ب ـ «ينسب إلى صنعاء صنعاني» بينما النسبة إلى صنعاء ينبغي أن تكون (صنعاوي) لا (صنعاني)، أما (صنعاني) فالنسبة إلى (صنعان) أدّق من أنها إلى (صنعاء). وذلك مثل (خولان = خولاني) ومثل النسبة إلى همدان (همداني). فيمكن القول أن (صنعاني) من أثر بقاء الاسم الأقدم

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص٨٢.

(صنعان) في ذاكرة الأمة، وأن صنعاء كان اسمها (صنعان) كما في النقوش أكثر من ألف سنة ثم تحول إلى صنعاء، وقد برر الهمداني النسبة إلى صنعاء قائلاً: «وينسب إلى صنعاء صنعاني مثل بهراء بهراني لأنهم رأوا النون أخف من الواو، وخولان لا تُنسبُ إليها إلا على بنْية الأصل صنعاوي»(١). وهذا التبرير يمكن أن يفسر النسبة إلى صنعاء بعد أن صار اسمها صنعاء.

ـ ومن ناحية أخرى فقد أتاحت نقوش المسند معرفة صحيحة بأن صنعاء مدينة سبئية أمر ببنائها وأقامها «هَلْك أمر بن كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ وذي ريدان» وبالتالي تسقط المقولات الاجتهادية الخاطئة التي ذكرها الرازي حيث قال ما يلي: «يقال: إنما سميت صنعاء بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عابر.. وقال عبد الرزاق: أخبرني أبي أنه سمع وهباً يقول: كان اسم صنعاء في الجاهلية أزال حتى دخلها الحبشي وكان كلّامهم يقولون: صنعت وصنعت فلزمها اسم صنعاء من يومئذٍ. وقال أبو محمد حدثني زكريا بن يحيى قال: أخبرني ابن أبي الروم، قال: كانت صنعاء امرأة وكانت ملكة وبها سُميت صنعاء»(١).

فتلك المقولات بعيدة عن الصحة فليس صنعاء ابن أزال بن يقطن ولا كانت صنعاء امرأة ولا كان إرياط الحبشي والأحباش هُم الذين سمّوها صنعاء فقد كانت صنعاء اسمها صنعان وصنعاء قبل ذلك بألف وستمائة سنة، وكانت قبل ذلك مدينة أزال ثم انتهت وقام الملك هَلْك أمر ببناء صنعاء وسماها (صنعان). وقد يكون لاسم صنعاء صلة بكلمة (مصنعة) والمصنعة الحصن المنيع عند الحميريين. قال علقمة بن ذي جدن الحميري:

ومصنعة بذي ريدان أُسّت ... بأعلى فرع مَتلفةٍ حلوق
ومصنعة بذي رَيدان أخرى ... أقاموها ببنيان وثيق(٢)

---

(١) تأريخ مدينة صنعاء ـ الرازي ـ ص٢٨.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٩ جـ٨.

خطأ المستشرقين
في زمن مدينة صنعاء وقصر غُمدان

ولا بد من التطرق هنا إلى أن المستشرقين الدارسين يفترضون أن تأريخ صنعاء لا يرجع إلى ما قبل القرن الأول الميلادي، وقد شاع ذلك بين المهتمين بتأريخ اليمن القديم بحيث قال الأستاذ مطهر الأرياني في مقال عن قصر غمدان ما يلي: «يبدو أن الموقع الذي بُني فيه قصر غمدان كان موقعاً ذا أهمية خاصة من أقدم العصور التأريخية، إما كموقع حصين أو كموقع ديني أو سياسي، فلما شيّد فيه القصر عندما اتخذت صنعاء عاصمة في حدود القرن الأول الميلادي، نُسجت حوله الأساطير وأعيد تأريخ بنائه إلى أقدم عصر تأريخي»(١). وكذلك قال د. محمد بافقيه: «في منتصف القرن الأول الميلادي أو بعده تقديراً، قامت صنعاء مدينة تتقاسمها سبأ وفيشان، أقامها ملك اسمه هلك أمر بن كرب إل وتر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان»(٢). فما ذكره مطهر الأرياني ود. محمد بافقيه هو الرأي والقول الاستشراقي الأكاديمي الشائع في إطار الخطأ في تحديد تأريخ سبأ وعصور ملوك سبأ التبابعة، وتبييناً لذلك نذكر ما يلي: ـ

١ ـ أن المستشرقين يحددون تأريخ دولة سبأ وآثارها بأنه لا يرجع إلى ما قبل القرن السابع أو القرن الخامس قبل الميلاد وقالت جاكلين بيرين: «إن حضارة جنوب الجزيرة العربية ربما لا يرجع تأريخها إلى أبعد من القرن الخامس ق.م.» ولكن نتائج التنقيبات الأثرية التي قامت بها بعثة أثرية أميركية برئاسة د. جيمس ساور في وادي الجوبة بمنطقة مأرب ـ عام ١٩٨٦ م ـ أسفرت عن العثور على آثار سبئية اتضح ـ كما ذكر د. جيمس ساور ـ أنه «يعود زمنها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ومن بينها قطعة خشبية ربما يعود زمنها إلى قبل ذلك بقرن أو أكثر». وقال د. جيمس ساور: «إن هذه المكتشفات الأثرية تبرهن بأن سبأ أقدم مما اعتقده

---

(١) قصر غمدان ـ مطهر الأرياني ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد الرابع ـ يوليو ١٩٨٠م.
(٢) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص٦٠/ ٢.

العلماء»[١]. ـ أي علماء المستشرقين ـ فالمكتشفات الأثرية تبرهن بأن دولة سبأ كانت موجودة في الألف الثاني قبل الميلاد، وفي القرن الثالث عشر ق.م. وما تلي ذلك من قرون.

٢ ـ وكذلك فإن المستشرقين يحددون زمن بناء سد مأرب بالقرن الخامس ق.م. ولكن تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية كشفت: «منشأة من منشآت سد مأرب يعود زمنها إلى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد»[٢]. وكذلك أثبتت تنقيبات البعثة الألمانية وجود سد مأرب في مطلع القرن العاشر إلى القرن السابع والقرن الخامس ق.م.[٣].

٣ ـ وقد حدد المستشرقون زمن معبد باران المشهور بعرش بلقيس وزمن معبد أوام المشهور باسم محرم بلقيس في مأرب بالقرن الخامس ق.م. ولكن تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية أثبتت خطأ ذلك التحديد وأن المعبد كان موجوداً في ومنذ القرن الحادي عشر والقرن العاشر ق.م. بحيث قال د. يوسف محمد عبد اللّه: «كنا نؤرخ لمعبد باران المشهور بعرش بلقيس بفترة لا ترجع إلى ما قبل النصف الثاني من الألف الأول ق.م. ولكن هذه المكتشفات تضعنا أمام فترة أقدم بكثير تعود إلى مطلع القرن العاشر قبل الميلاد»[٢] ثم أثبتت وأعلنت البعثة الألمانية أن الأجزاء الأقدم في معبد بران ـ عرش بلقيس ـ تعود إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد»[٤].

٤ ـ أن وجود دولة سبأ ووجود سد مأرب العظيم ووجود معبد باران ومحرم بلقيس في القرن الحادي عشر إلى القرن السادس قبل الميلاد ينطبق على نقوش ملوك سبأ التبابعة المعثور عليها في محرم بلقيس ومعبد باران ومنها نقوش ملوك عصر لقب (ملك سبأ وذي ريدان) التي افترض المستشرقون أنها لا ترجع إلى ما قبل القرن الأول ق.م. وإنها

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز الأميركية ـ عدد ٤/ ٢/ ١٩٨٦م.

(٢) مكتشفات أثرية جديدة ـ د. يوسف محمد عبد اللّه ـ مجلة الوطن ـ عدد يونيو ١٩٨٨م.

(٣) تقرير معهد الآثار الألماني ـ ٨٣/ ٨٤م.

(٤) أوراق المؤتمر الدولي للآثار والحضارة اليمنية ـ صنعاء ـ مارس ١٩٩٨م.

مؤرخة بالتقويم الحميري الذي يوافق العام الأول فيه عام ١١٥ق.م. وإن زمن الملك (هَلْك أمر) والملك (إل شَرْح يَحضُب) لا يرجع إلى ما قبل القرن الأول الميلادي، بينما الصحيح أن زمنهما القرن الحادي عشر والقرن العاشر قبل الميلاد، فعصر لقب (ملك سبأ وذي ريدان) كان من مطلع القرن الحادي عشر إلى القرن التاسع ق.م. والتقويم المؤرخة به نقوش ملوك سبأ التبابعة هو التقويم السبئي، ومنها نقش «ياسر يهنعم وابنه شمر يهرعش ملكي سبأ وذي ريدان» المؤرخ بعام ٣٨٥ للتقويم[١] فالزمن الصحيح الموافق لذلك هو عام ٨٣٥ق.م. أي القرن التاسع قبل الميلاد، والعام الأول في ذلك التقويم السبئي هو أول أعوام عهد الملك الرائش باران ذي رياش ويوافق عام ١٢٢٠ق.م. ويتفق ذلك مع تحديد علماء المؤرخين العرب الأوائل لزمن الرائش بأنه كان في عصر النبي موسى كما سلف التبيين ـ أي القرن الثالث عشر والثاني عشر ق.م ـ وقد ذكر الهمداني ونشوان الحميري والمسعودي وابن خلدون أنه «مَلَكت بلقيس في عصر سليمان ثم مَلَك بعدها ياسر يُهنعم»[٢]. ومؤدى ذلك أن عهد ياسر يهنعم كان في القرن التاسع ق.م. وهو تحديد بالغ الدقة فقد حكم (ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان) من عام ٣٥٦ ـ ٣٨٥ للتقويم السبئي والزمن الصحيح الموافق لذلك هو (٨٦٤ ـ ٨٣٥ق.م.) أي القرن التاسع ق.م. الذي حدده علماء المؤرخين العرب زمناً لياسر ينعم. وقد كان ياسر ينعم الملك الرابع والعشرين من ملوك سبأ التبابعة في عصر لقب (ملك سبأ وذي ريدان) وكان ترتيب الملك «هَلْك أمْر بن كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ وذي ريدان» هو الرابع في ملوك ذلك العصر ـ كما في كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان ـ[٣] فعهد الملك (هَلْك أمْر) في الفترة من ١٤٠ ـ ١٥٠ للتقويم السبئي يوافق عام ١٠٨٠ ـ ١٠٧٠ق.م.ـ أي القرن الحادي عشر قبل الميلاد ـ وعهد الملك «إل

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٦٤٦ـ ٦٤٨.
(٢) تأريخ ابن خلدون ـ ص٥١ جـ ٢ـ والإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٠٧ جـ ٨ـ وقصيدة نشوان ـ ص٨٩.
(٣) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٢/ ٢.

شَرْح يَحضُب ملك سبأ وذي ريدان» في الفترة من ٣١٠ ـ ٣٣٠ للتقويم السبئي يوافق عام ٩١٠ ـ ٨٩٠ق.م. ـ في القرن العاشر إلى أوائل القرن التاسع ق.م .ـ ويتفق ذلك مع تحديد علماء المؤرخين العرب الأوائل لزمن أولئك الملوك ومع تحديد البعثة الأثرية الألمانية لزمن معبد باران ومحرم بلقيس حيث تم العثور على نقوش أولئك الملوك.

ونتهي من مجمل ما سلف إلى الحقائق التالية: ـ

أ ـ أن صنعاء مدينة سبئية أمر ببنائها وأقامها ملك سبئي هو «هلك أمر بن كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ وذي ريدان» في عام ١٤٠ ـ ١٥٠ للتقويم السبئي الموافق عام ١٠٧٠ ـ ١٠٨٠ق.م. ـ في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وذلك الملك (هَلْك أمْر) هو (عمرو ذو غُمدان) الذي قال الهمداني في الإكليل: «عمرو ذو غُمدان أول من شرع في تشييد غُمدان بعد بنائه القديم» وقال نشوان الحميري «عمرو ذو غُمدان الذي بنى قصر غُمدان بعد بنائه الأول». وقال أحمد بن عيسى الرداعي في قصيدته التي أوردها الهمداني: ـ

بلادُ مُلْك ضلّ من يقيسُ ... أرضاً بصنعاء لها تأسيسُ
ما لم يُعدَّ الحرم الأنيس ... أرضُ بها غُمدان والقِليسُ
بناهما ذو النجدة الرئيسُ ... تُبّعُ هَلْكٍ، وبَنَتْ بلقيسُ
فهو البناء الأقدم القدموسُ ... بقول صدقٍ ما به تلبيس

ب ـ وكانت صنعاء ثالث ثلاث مدن رئيسية عواصم منذ عهد (هَلْك أمْر) ـ بالقرن الحادي عشر ق.م .ـ وهي مدينة مأرب العاصمة حيث القصر سَلْحِين، ومدينة ظفار حيث القصر ريدان ومدينة صنعاء حيث القصر غُمدان. فكان ملوك سبأ التبابعة يقيمون تارة في قصر سَلْحِين بالعاصمة مأرب وتارة في صنعاء وتارة في القصر ريدان بمدينة ظفار، وكان ترتيب الملوك منذ (هَلْك أمْر) إلى (الملكة بلقيس) كما يلي: ـ

١ ـ (هَلْك أمْر بن كرب إل وتار يُهنعم ملك سبأ وذي ريدان) باني مدينة صنعاء.

٢ ـ (عمدان يُهقبض ملك سبأ وذي ريدان) وهو نجل الملك أفريقيس بن ذي منار بن الرائش.

٣ ـ (شمّر يُهنعم ملك سبأ وذي ريدان) وهو (شمّر بن أفريقيس بن ذي منار) في الإكليل.

٤ ـ (ذمر علي ذرح ملك سبأ وذي ريدان) وهو من جيل (عمدان يُهقبض) في كرونولوجيا الملوك.

٥ ـ (كرب إل بِين ملك سبأ وذي ريدان بن ذمر علي ذرح) وقد تم العثور على أربعة نقوش من عهده في معبد باران ومحرم بلقيس وجاء فيها ذكر (قصر سِلْحِين)[1] وهو قصر ملوك سبأ التبابعة في مأرب ويدل ذلك على وجود قصر سِلْحين في ذلك العصر بأوائل القرن العاشر ق.م..

٦ ـ (يهاقم ملك سبأ وذي ريدان بن ذمر علي ذرح): ومن عهده النقش رقم ٦٦٤ جام.

٧ ـ (نشاكرب يهأمن ملك سبأ بن ذمر علي ذرح): وقد تم العثور على ١٤ نقشاً باسمه في محرم بلقيس، وتدل النقوش على أن عبادة الشمس بلفظ (شمس) بدأت في عهده[2]. وكان عهده في الفترة ما بين عام ٢٤٠ ـ ٢٥٠ للتقويم السبئي الموافق ٩٨٠ ـ ٩٧٠ق.م. وذلك قبل بلقيس بنحو أربعين سنة.

٨ ـ «رِب شمس ملك سبأ وذي ريدان». ومن عهده النقش رقم (٦٤٥ جام) من محرم بلقيس. ومعنى (رِب شمس) ربيب الآلهة الشمس. وقد ذكره المؤرخون العرب الأوائل باسم (عبد شمس) واسم (زهير عبد شمس). قال ابن خلدون: «مَلَكَ زهير عبد شمس وكان مجرماً، فخلعوه، ومَلّكوا الهدهاد بن شُرحبيل»[3].

٩ ـ «إل شرح الهدهاد بن شُرحبيل بن ذي سَحَر» وهو والد الملكة

---

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٦٤٢ـ ٦٤٣.

(٢) في تأريخ اليمن ـ النقش رقم ٢ كهالي ـ ص٨.

(٣) تأريخ ابن خلدون ـ ص٥٦ جـ٢.

بلقيس. قال ابن خلدون: «ثم مَلَكَ الهدهاد بن شرحبيل وهو ذو الشرح، ستاً أو عشراً، وملكت بعده ابنته بلقيس»(١). وقال الهمداني في شرح الدامغة: «ثم مَلَك الهدهاد وهو إل شرح بن شرحبيل، ثم ملكت ابنته بلقيس في عصر سليمان»(٢). وقال نشوان الحميري: «هو الملك الهدهاد بن شرحبيل بن بريل ذي سَحَر بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر، وهو أبو بلقيس التي ذكرها اللّه تعالى في القرآن الكريم»(٣) وقال الهمداني في نسب آل ذي سَحَر بالإكليل: «..أولد شرح بن بريل ذي سَحَر: الهدهاد بن شرح، ويقال هداد بن شرح. فأولد الهداد بن شرح: بلقيس وشمساً»(٤). وكان آل ذي سَحَر من كبار الأقيال ومثامنة الملوك، وقد تم العثور على عدة نقوش باسم آل ذي سَحَر، منها (النقش رقم ١٠ من محرم بلقيس) باسم «برل أرسل بن ذي سَحَر»(٥) ومعنى «ذو سَحَر» صاحب أذوائية ومدينة سَحَر بمخلاف ذي جُرة في جنوب صنعاء. قال الهمداني في الصفة: «وادي التناعم وفيه أودية منها: سَحَر ووادي عاشر ووادي رمك ووادي غيمان»(٦). وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في الهامش «..سَحَر قرية عامرة في مخلاف سنحان ذي جرة جوار قرية الجوزة.. ووادي عاشر في بني سحام.. ووادي غيمان: من خولان ثم من بني بهلول»(٦). ويتبين من ذلك أن (سَحَر) في مخلاف ذي جُرة بناحية سنحان حالياً وما يزال اسمها (سحر) حتى اليوم، ومنها كان الملك إل شرح الهداد بن شرحبيل بن ذي سَحَر وابنته الملكة بلقيس، وقد حكم والد بلقيس (ست سنين أو عشراً) وذلك ما بين عام ٢٦٤ ـ ٢٧٣ للتقويم السبئي الموافق ٩٥٦ ـ ٩٤٧ق.م. في أواسط القرن العاشر

(١) تأريخ ابن خلدون ـ ص٥٦ جـ٢.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٣٩.
(٣) قصيدة نشوان الحميري ـ ص٧٤.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣١٧ جـ ٢.
(٥) في تأريخ اليمن ـ النقش رقم ١٠ كهالي ـ ص١٢٤.
(٦) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٣٧.

قبل الميلاد. قال الهمداني وابن خلدون: «ثم مَلكت ابنته بلقيس في عصر سليمان».

١٠ ـ «بلْقيس ملكة سبأ التي عاصرت النبي سليمان» وهي بلقيس بنت إل شَرْح الهداد بن شرحبيل بن ذي سَحَر. وقد ذكر ابن خلدون والمسعودي أنها حكمت ٢٤ سنة فيكون ذلك من عام ٢٧٤ ـ ٢٩٦ للتقويم السبئي ويوافق عام ٩٤٦ ـ ٩٢٤ق.م. في أواسط القرن العاشر قبل الميلاد، ويتطابق ذلك مع زمن النبي سليمان فقد حددت الدراسات زمن سليمان بالفترة من عام ٩٦٥ ـ ٩٢٥ق.م. أو بالفترة من ٩٦١ ـ ٩٢٢ قبل الميلاد حسب تحديد موسكاتي[١] ويتوافق ذلك مع زمن بلقيس ملكة سبأ وهو عام ٩٤٦ ـ ٩٢٤ق.م. قال نشوان الحميري في قصيدته عن الملوك التبابعة: ـ

أمْ أينَ بِلْقيسُ المعظَّمُ عرشُها ... أو صرحها العالي على الأصراح

زارتْ سُليمانَ النبيّ (بموكب) ... من مأربٍ ديناً بلا استنكاح

في ألف ألفِ مُدجَّجٍ من قومها ... لم تأتِ في إبلٍ إليه طلاحِ

وقد جاء ذكر صنعاء وقصر غُمدان في أنباء عهد بلقيس عندما عقدت العزم على المسير إلى سليمان. قال نشوان: «جمعت بلقيس أقيال حمير وأبناء ملوكها ثم قالت لهم: إني خارجة إلى سليمان فما ترون؟ قالوا: الأمر إليك، فخرجت إلى سليمان في ألف ألف فارس وتركت باقي أجنادها بغمدان ومأرب»[٢]. فهذا الذكر لغُمدان يدل على أن صنعاءِ كانت المدينة الرئيسية الثانية بعد العاصمة مأرب في عهد بلقيس. وكان من كبار الأقيال القادة الذين ساروا مع بلقيس القَيْل بَتَعْ بن سميفع بن بَتَعْ صاحب مدينة وقصر حاز وزعيم منطقة همدان بمحافظة صنعاء. قال الحسن الهمداني: «ذو بَتَعْ القَيْل، وهو أجَلّ من وَفَدَ على سليمان من قيول اليمن مع الملكة بلقيس. وذو بتع (هو) زوج بلقيس، زوّجه بها سليمان عليه السلام، وكان سبب ذلك أن سليمان لما حتّم عليها التزويج قالت: إن كان

---

(١) الشيطان والعرش ـ فاضل الربيعي ـ ص٢٥.

(٢) قصيدة نشوان ـ ص٨٢.

لابد فذا بَتَعْ، فزوّجه بها وصرفها إلى اليمن»[١]. وقال ابن إسحاق: «قال سليمان لبلقيس لما أسلمت: اختاري رجلاً من قومك حتى أزوجك إياه، قالت: ومثلي ينكح الرجال يا نبيّ اللّه ولي في قومي من السلطان ما لي؟ قال: نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذاك ولا ينبغي لك أن تحرّمي ما أحلّ اللّه لك، قالت: زوّجني إن كان لا بد بَتَعْ ملك همدان، فزوّجه إياها». وقال نشوان الحميري في شمس العلوم: «لما وفدت بلقيس على سليمان قال لها: لا بد لكل امرأة مسلمة من زوج، فقالت: إن كان لا بد منه فذو بَتَعْ، فتزوجها ذو بَتَعْ.. وقد قيل: إن سليمان تزوجها ولم يصح ذلك»[٢]. وليس في القرآن ولا في التوراة أنها تزوجت سليمان، فالصحيح أنها تزوجت القَيْل بَتَعْ، وفي ذلك قال الحسن الهمداني صاحب الإكليل: ـ

وأنكحنا ببلقيس أخانا ... وما كنّا سواه بِمُنكحينا
ولم تطلب بذي بَتَعٍ بديلاً ... ولو أنّا بتنزيل أُتينا

وقد عادت بلقيس بموكبها العظيم وبمعية زوجها القَيْل (بَتَعْ ذو همدان) إلى اليمن أرض سبأ وعاصمتها مأرب، وكان قصر سَلْحِين بمأرب هو قصر بلقيس وهو قصر ملوك سبأ التبابعة قبلها وبعدها، فلما أقام معها زوجها القيل بَتَعْ في مأرب لم يسكن بالقصر الملكي وإنما قام ببناء قصر في مأرب، وقد جاء ذكره في النقش المسند رقم (٦٥١ جام) بلفظ: «بيت بَتَعْ بمأرب»[٣] ـ أي قصر بَتَعْ بمأرب ـ وأنجبت بلقيس لزوجها القَيْل بَتَعْ ثلاثة أولاد. قال الهمداني: «أولد ذو بَتَع: أسنع يمتنع، وأنوف ذا همدان، وشمس الصغرى. أمهم بلقيس»[٤]. وقال: «وقد يرى كثير من الناس أن اسم ذي بتع موهبيل وإنما موهب إل أبوه»[٤]. والصواب أن موهب إل هو ابن القيل بَتَعْ

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٣ جـ١٠.
(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص٨٦ جـ١.
(٣) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٦٥١.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٣ جـ ١٠.

والملكة بلقيس وهو كما في النقوش «وهب إل يحوز ملك سبأ بن بَتَعْ» وقد تم تمليكه بعد بني إل شَرْح يحضب كما سيأتي. وقد انتهى عهد بلقيس عام ٩٢٣ق.م.. ثم تولى الحكم «ياسر يُهصدق ملك سبأ وذي ريدان»: وهو ياسر الذي حكم بعد بلقيس. قال ابن خلدون: «إن مُلك اليمن صار بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو»(١) وقال نشوان: «هو الملك ياسر بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن إل عبد ذي الأذعار بن ذي المنار بن الرائش، وهو الذي أوصى الملك الهدهاد بالملك إليه في حياة بلقيس وبعدها»(١). وقد تم العثور على ثلاثة نقوش يتألق فيها اسم ياسر يهصدق خليفة بلقيس، ومنها النقش (رقم ٤١ سي.آي.اتش) من موقع ضاف، والنقش (رقم ٧٧ ـ إرياني) من موقع الأقمر، والنقش (رقم ١٤ كهالي) من محرم بلقيس، وقد حكم الملك ياسر يهصدق من عام ٢٩٧ ـ ٣١٠ للتقويم السبئي والزمن الصحيح الموافق لذلك هو من ٩٢٣ ـ ٩١٠ قبل الميلاد، ويتطابق ذلك مع ما ذكره علماء المؤرخين العرب الأوائل بأنه حكم بعد بلقيس معاصرة النبي سليمان، وذلك في القرن العاشر قبل الميلاد (عام ٩٢٣ ـ ٩١٠ق.م.) ثم تولى عرش سبأ بعده الملك (فَرَعْ ينهب ملك سبأ): تم تمليكه بعد ياسر يهصدق في العاصمة مأرب، لفترة يسيرة، ثم مَلَكَ بعده ابنه (إل شَرْح يَحضُب) وهو الذي قام ببناء وتعلية قصر غُمدان الذي إليه ننتقل.

---

(١) تأريخ ابن خلدون ـ ص٥٧/ ٢ـ وقصيدة نشوان ـ ص٨٩.

المبحث الثاني

تشييد قصر غُمدان العظيم بمدينة صنعاء في عهد إل شَرْح يَحضُب ملك سبأ وذي ريدان وأنباء قصر غُمدان

قال الحسن الهمداني في الإكليل: «كان الذي بنى غُمدان إلْ شرْح يَحضُب.. فلما فرغ إلْ شَرْح من بنائه قال فيه شعراً بالحميرية لم يُحفظ منه إلا هذا البيت:

إنّـي أنـا الـقَـيْـلُ إلْ شَـرْح　　　حَصَّنْكُ غُمْدَان بمِبْهَمّات»[1].

وتؤكد ذلك نقوش المسند، فقد تم العثور على نقشين مسندين في محرم بلقيس بمأرب جاء فيهما أول ذكر لقصر غُمدان في النقوش، وكليهما من عهد «إل شَرْح يَحضُب وأخيه يازل بين ملكي سبأ وذي ريدان» وقد حكما في الفترة ما بين عام ٣١٠ ـ ٣٣٠ للتقويم السبئي ويوافق ذلك عام ٩١٠ ـ ٨٩٠ قبل الميلاد، وأول النقشين هو النقش المسند (رقم ١٨ كهالي) وفيما يلي صورة النسخ الحرفي للسطور الخمسة الأولى من ذلك النقش بحروف المسند عن كتاب في تأريخ اليمن[2]: ـ

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩ و ٢١ جـ ٨.

(٢) في تأريخ اليمن ـ ٣٤ نقشاً من مجموعة القاضي علي عبد الله الكهالي ـ النقش رقم ١٨ـ ص١٠٩.

ومنطوق النقش بالحروف العربية الحديثة هو: ـ

«يدم يدرم وأخوه سعد عثتر بني سخيم/ أقوال شعب سمعي/
ثلث ذي هجرم/ هقنيو/ المقه ثهون بعل أوم/ صلمن ذذهبن/ حمدم بذت
خمرهمو المقه ثهون بعل أوم/ ستوفين/ ملك/ ونبتت/ وأتوت/ مرايهمو/
إل شَرْح يَحضُب/ واخهو/ يازل بين/ ملكي سبأ وذي ريدان/ بني فرعم
ينهب/ ملك سبأ/ عدي/ بيتن/ سلحِن/ وغُمدن» .ـ انتهى ـ.

ومعنى ومحتوى ذلك هو: ـ

«يدم يدرم وأخوه سعد عثتر بني سُخيم أقيال قبيلة سمعي ثلث ذي هجر، أقنيا الإله إلمقه ثهوان بعل أوام (رب الكون) صلماً ذهباً حمداً للإله إلمقه ثهوان بعل أوام لأنه غمرهم ومنّ عليهم باستيفاء تملُك وظهور وصعود آمريهما إل شَرْح يَحضُب وأخيه يازل بين ملكي سبأ وذي ريدان ابني فارع ينهب ملك سبأ إلى سدتي القصرين سَلْحِين وغُمدان» . ـ انتهى ـ.

والنقش المسند الثاني تم نشره في كتاب (نقوش سبئية من محرم بلقيس) ويذكر: أن «إل شَرْح يَحضُب وأخيه يازل بين ملكي سبأ وذي ريدان» أقنيا الإله إلمقه أصلاماً ذهبية بمناسبة عودة الملك إل شَرْح يَحضُب وأقياله وجنوده وفرسانه وركائبه من المعارك ضد الجُند والقبائل الذين ثاروا عليهم، حامداً الإله إلمقه على ما أمده من عون ولأنه حفظ لهم

القصرين سَلْحِين وغُمدان والمدن مأرب وصنعاء (صنعان) ونشق»[١].

ويتبين من النقوش أن (إل شَرْح يَحضُب) منذ بداية حكمه مع أخيه (يازل بين) كان (إل شَرْح يَحضُب) يقيم بمدينة صنعاء والقصر غُمدان وكان أخوه يازل بين يقيم بمدينة مأرب والقصر سِلْحِين، وقد جاء في النقش الأول تقديم صلم ذهبي إلى معبد الإله إلمقه حمداً له بمناسبة استيفاء تملك وظهور وصعود إل شَرْح يَحضُب وأخيه يازل إلى سدتي القصرين سِلْحِين وغُمدان. وقد اشترك (إل شَرْح يَحضُب) في الحكم مع أخيه (يازل) نحو عشر سنوات وذكرتهما النقوش بلقب (ملكي سبأ وذي ريدان) ثم انفرد «إل شَرْح يَحضُب» بالحكم وذكرته النقوش بصيغة (إل شَرْح يَحضُب ملك سبأ وذي ريدان».

بناء إل شَرْح يَحضُب لقصر غُمدان

لقد كان قصر غُمدان موجوداً منذ عهد «هَلْك أمْر بن كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ وذي ريدان» الذي قام بتشييد مدينة صنعاء وهو (عمرو ذو غمدان) حيث قال الهمداني في الإكليل: «عمرو ذو غمدان، أول من شرع في تشييد غُمدان بعد بنائه القديم»[٢]. وقال نشوان الحميري: «عمرو ذو غُمدان: الذي بَنَى قصر غُمدان بعد بنائه الأول»[٣]. وقد ذكره ابن عيسى الرداعي باسم (تُبّع هَلْك) حيث قال عن صنعاء:

بلادُ مُلْكٍ ضلّ من يقيسُ	أرضاً بصنعاء لها تأسيس
ما لم يُعدَّ الحرم الأنيس	أرض بها صنعاء والقليس
بناهما ذو النجدة الرئيسُ	تُبّعُ هَلْكٍ، وبَنَتْ بلقيسُ

فكان قصر غُمدان موجوداً منذ عهد (هَلْك أمْر) ـ في أواسط القرن الحادي عشر ق.م ـ إلى عهد الملكة بلقيس في أواسط القرن العاشر ق.م. وبالتالي كان غُمدان موجوداً حين تم تمليك (فرع ينهب) ثم

---

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ النقش رقم ٥٧٧ـ وتأريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٣٨.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٨٦ جـ٢.

(٣) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٦٨.

ابنيْه (إل شَرْح يَحضُب ويازل بين) في أواخر القرن العاشر ق.م. حوالي عام ٣١٠ للتقويم السبئي الموافق عام ٩١٠ق.م. فاستقر الملك إل شَرْح يَحضُب بمدينة صنعاء والقصر غُمدان الذي كان إما طابقاً واحداً وإما سبعة طوابق، فقام الملك إل شَرْح يَحضُب بتجديد ذلك البناء الأول وقام ببناء وتعلية قصر غُمدان حتى أصبح قصراً عظيماً، ولذلك ذكر أغلب علماء المؤرخين اليمنيين الأوائل ومنهم الحسن الهمداني: «أن الذي بنى غُمدان إل شَرْح يَحضُب».

عدد طوابق وارتفاع قصر غُمدان

وقد جاء في عدد طوابق وارتفاع قصر غُمدان ثلاثة أقوال جميعها صحيح وهي: أنه «كان سبعة سقوف» وأنه «كان عشرة سقوف» وأنه «كان عشرين سقفاً». فأصل ذلك أنه كان سبعة أسقف منذ عهد (هَلْك أمْر) إلى عهد الملكة بلقيس، ثم قام (إل شَرْح يَحضُب) بتجديد ذلك وتعلية غُمدان عشرة أسقف، ثم جرى بعد ذلك تعلية غُمدان عشرين سقفاً. فقد جاء في هامش مروج الذهب ما يلي: -

«غُمدان قصر باليمن، بناه إل شَرْح بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر، وبنى داخله قصراً بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً»[(١)].

وقال الحسن الهمداني في الإكليل: -

« . . كان الذي بنى غُمدان إلْ شَرْح يَحضُب. . وحدثني عمرو بن إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن الحضرمي عن أبيه عن جده: أن إلْ شَرْح كان ملك غُمدان وأنه بناه على سبعة أسقف كل سقف منها أربعين ذراعاً. . » قال الهمداني: «وأخبرني بعض أهل العلم أن غُمدان كان على سبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً، وهذا لا يمكن لأن أربعين ذراعاً بين كل سقفين كثير، والثبت أنه عشرون سقفاً كل سقف على عشرة أذرع»[(٢)].

---

(١) مروج الذهب - المسعودي - ص٢٣٩ جـ ٢.

(٢) الإكليل - الحسن الهمداني - ص١٨ جـ٨.

وقال الرازي: «قال أبو محمد: حدثني هَمَّام بن مَسْلَمة بن عُقْبَة بن همّام، قال: سمعت الذماري يقول: أول حجر وُضع على حجر غُمدان بناه شراحيل الحميري، وبنى القصبة ـ [أو: القصر] ـ بعده بألف عام إل شَرْح يَحضُب. قال أبو محمد: حدثني همَّام قال: أخبرني ابن مطاع قال: سمعت مَسْلَمة بن عُقبة يقول: كان غُمدان عشرة سقوف إلى أعلى، سقف فوق سقف، بين كل سقفين أربعون درجة»[١]. ثم قال الرازي: «..والذي ثبت أنه عشرون سقفاً، كل سقف على عشرة أذرع» وفي النسخة ب «كل سقف على عشرين ذراعاً»[١].

وقال الهمداني في شَرْح الدامغة: ـ

«كان غُمدان عشرين سقفاً بين كل سقفين ثمانية عشر ذراعاً، وكان فيه مائة مسكن بمرافقه، وكان أعلاه غرفة رخام»[٢].

ويجمع تلك الأقوال: ـ

أ ـ أن غُمدان كان في العصر الأسبق معبداً بناه الملك الضحاك سكسك بن وائل قبل عهد إل شَرْح يَحضُب بألف عام، وكان غُمدان ـ الذي بناه الضحاك سكسك بن وائل ـ طابقاً واحداً وهو ـ غالباً ـ الذي كان ارتفاعه إلى السقف (أربعون ذراعاً)، ثم قام الملك هَلْك أمْر (عمرو ذو غُمدان) بتجديده وبناء سقوف فوقه بين كل سقفين (ثمانية عشر ذراعاً» فكان كذلك إلى عهد الملكة بلقيس بأواسط القرن العاشر ق.م. وإلى أن تولى الحكم (إل شَرْح يَحضُب وأخوه يازل بين) في أواخر القرن العاشر حوالي عام ٣١٠ للتقويم السبئي الموافق عام ٩١٠ق.م. فاستقر (إل شَرْح يَحضُب) بمدينة صنعاء وقام بتجديد السبعة سقوف (الطوابق).

ب ـ ثم قام (إل شَرْح يَحضُب) ببناء وتعلية غُمدان ـ فوق البناء السابق ـ «عشرة سقوف إلى أعلى بين كل سقفين أربعون درجة» ـ وكان ذلك فيما يبدو خلال العشر سنين من عهده مع أخيه يازل حيث كان (إل

---

(١) تأريخ مدينة صنعاء ـ الرازي ـ ٢٠.

(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ.

شَرْح يَحضُب) مقيماً بمدينة صنعاء، فربما كان يبني في كل عام طابقاً حتى بنى عشرة سقوف، في تلك السنين. ثم انفرد (إل شَرْح يَحضُب) بالحكم عشرين سنة فقام بتعلية قصر غُمدان حتى بلغ عشرين سقفاً بين كل سقفين عشرة أذرع، ثم بَنَى غرفة رخامية في قمة قصر غُمدان، فأتمّ بذلك بناء قصر غُمدان العظيم حوالي عام ٣٢٠ للتقويم السبئي (والزمن الصحيح الموافق لذلك هو عام ٩٠٠ قبل الميلاد). قال الحسن الهمداني: «وكان الذي بنى غُمدان إلْ شَرْح يحضب فلما نظر ظله بالغداة قد بلغ سفح عيبان كفّ عن البناء». [ص ١٩/٨].

وقد ذكر الهمداني عن عمرو بن إسحاق الحضرمي بناء إلْ شَرْح يحضب لقصرَ غُمدان وأنه «كانت له أربعة أوجه في ترابيعه: وجه مبني بحجارة بيض، ووجه بحجارة سود، ووجه بحجارة خضر، ووجه بحجارة حُمر» ونرى أن أصل ذلك قد يكون أن الطابق الأول كان مبنياً بحجارة سوداء، وأن الستة سقوف التي فوق الطابق الأول كانت مبنية بحجارة بيضاء ـ مثل محرم بلقيس في مأرب ـ وكانت قاعة العرش في الطابق السابع ـ ثم قام إلْ شَرْح يحضب بتعلية القصر حتى بلغ عشرة سقوف بحجارة خضراء ثم بَنَى العشرة طوابق العلوية بحجارة حمراء.

قاعة العرش والغرفة الرخامية في رأس غُمدان

وكانت قاعة العرش مجلس الملك في رأس الطابق السابع من قصر غُمدان ـ غالباً ـ والغرفة الرخامية في رأس الطوابق العشرين التي علّاها (إل شَرْح يَحضُب) فوق البناء السابق، قال الهمداني: «كانت غرفة الرأس العليا مجلس الملك إثنا عشر ذراعاً عليها حجر من رخام، وكان في زواياه الأربع أربعة أسود من نحاس أصفر خارجة صدورها، فإذا هبّت الريح في أجوافها زأرت كما يزأر الأسد. وقال ابن شرية الجرهمي: كان للغرفة ـ أي مجلس الملك ـ أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب، وعند كل منها تمثال أسد من نحاس فإذا هبت الريح من الأرياح زأر ذلك التمثال الذي هو قبالة ذلك الباب، فإن تناوحت

الأرواح زأرت جميعها»[1]. فكان ذلك في قاعة العرش مجلس الملك.

وأما الغرفة الرخامية في رأس قصر غُمدان فقد ذكر الهمداني ما يلي: «وذلك ما رفعه محمد بن خالد من الحديث إلى وهب[2] فقال محمد بن خالد: لما بنى غُمدان صاحب غُمدان وبلغ غرفته العليا أطبق سقفها برخامة واحدة وكان يستلقي على فراشه في الغرفة فيمرُّ بها الطائر فيعرف الغراب من الحدأة من تحت الرخامة، وكان على حروفها أربعة تماثيل أسودٍ من نحاس مجوفة، فإذا هبت الريح فدخلت أجوافها سُمع لها زئير كزئير الأسد. وكان يُصبح فيها بالقناديل فتُرى من رأس (جبل) عجيب». ثم ذكر الهمداني عن عمرو بن إسحاق الحضرمي: «إن إلْ شَرْح يَحضُب كان ملك غُمدان ـ وهو الذي بنى غُمدان ـ وكان في أعلاه غرفة لها لُهج وهي الكوى، كل كوة بناء رخام في مفتل من الساج والأبنوس وسقف الغرفة رخامة واحدة صفيحة» ـ قال الهمداني: «وقال آخر: كانت الغرفة تحت بيضة رخام من ثمان قطع مؤلفة. وذلك أحرى لأنهم كانوا يُثْقِبون فيها السرج فَتُرى من رأس عجيب، ولا تُرى فيها النار مع الرخامة المسطوحة». [ص ٢٠/ ٨ ـ الإكليل].

ويبدو من وجود قولين عن الغرفة الرخامية، أنها كانت غرفتان، إحداهما قاعة فوق الطابق العاشر، ويؤيد ذلك ما ذكره الرازي عن مَسْلَمَة بن عُقبة أنه «كان غُمدان عشرة سقوف إلى أعلى، سقف فوق سقف، وكان في أعلاه بيتُ عشر في عشر (ذراع) سقف جميعه رخامة مطبقة عليه». [ص ٢٠] ـ فتلك الغرفة هي قاعة لها لُهج وهي الكوى (أي

(١) عبيد بن شرية الجرهمي الذي روى ذلك جاهليّ مخضرم كان من كبار العلماء المؤرخين بصنعاء، وأدرك الإسلام واستدعاه معاوية بن أبي سفيان إلى دمشق ليقص عليه تأريخ اليمن القديم وأخبار ملوكها. وذلك حوالي عام ٥٠هـ.

(٢) وهب بن منبه: من علماء التابعين، توفي بصنعاء سنة ١١٤هـ الموافق ٧٢٨م. ومحمد بن خالد القسري أمير يماني، كان أبوه خالد بن عبد الله القسري والياً لمكة في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٠ـ ٩٧هـ ثم والياً للعراق سنة ١٠٥ـ ١٢٠هـ، وكان ابنه محمد بن خالد القسري والياً للمدينة المنورة في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٤٠ـ ١٤٤هـ وكان يقال له «سيّد اليمن».

الفتحات المقوسة على شكل عقود) كل كوة بناء رخام في مفتل من الساج والأبنوس وسقفها رخامة واحدة صفيحة. وفي أركان القاعة تماثيل أسود.. وأما الغرفة الرخامية التي سقفها بيضة رخام مؤلفة من ثمان قطع فكانت فوق الطابق العشرين، بمعنى أنه فوق الطابق العاشر والقاعة الرخامية قام الملك إل شَرْح يَحضُب ببناء عشرة طوابق حتى بلغ قصر غُمدان عشرون طابقاً ـ فوق البناء السابق ـ ثم قام ببناء الغرفة الرخامية التي سقفها بيضة رخام مؤلفة من ثمان قطع فوق الطوابق العشرين، ويؤيد ذلك قول الهمداني: «كان غُمدان عشرين سقفاً، وكان أعلاه غرفة رخام».
ـ وهي الغرفة التي كان الملك إذا مرّ بها طائر يعرف الغراب من الحدأة من تحت الرخامة، وكانوا يُثْقِبُون فيها السرج فَتُرى من رأس عجيّب ولا تُرى حمرة النار مع الرخامة المسطوحة. قال الهمداني: «ويؤيد ذلك قول علقمة حيث يقول:

مصابيح السَّليط يَلُحْن فيه إذا يُمسي كتوماض البروق

تماثيل الأسود والنسور في غُمدان وبقية وصف غُمدان

لقد ذكر ابن شرية تماثيل الأسود عند أبواب قاعة العرش فوق الطابق السابع، وذكر مَسْلَمة بن عُقْبة ومحمد بن خالد تماثيل الأسود في واجهات القاعة الرخامية فوق الطابق العاشر، وذكر الهمداني وغيره تماثيل الأسود عند الغرفة الرخامية فوق الطابق العشرين، ونرى أن لا تعارض بين ما ذكره أولئك العلماء، وأن تماثيل الأسود ـ سالفة الذكر ـ كانت في المواضع الثلاثة، وكذلك في أركان الطابق الأول من القصر. قال الحسن الهمداني: «وفي كل ركن من أركان القصر عند ترابيعه أسد من نحاس رجلاه في الدار وصدره ورأسه خارجان من القصر، مفضى ما بين فمه إلى دبره عن حركات فيه مُدبرة. فكانت الريح إذا هبت تتردد في أجواف تلك الأُسُد فتزأر. وكانت فيها ستور فيها أجراس إذا ضربت تلك الريح تلك الستور تُسمع الأصوات من تلك الأجراس من مكان بعيد». [ص ٢٠/ ٨] وكذلك كان في أركان الأقسام الأربعة من القصر

تماثيل نسور، وكان النسر شعار عصور ملوك سبأ التبابعة. قال الهمداني في قصيدته عن قصر غُمدان:

وبكل ركن رأس نَسْرٍ طائرٍ أو رأس ليث من نحاس يزأرُ

وكانت الأسود والنسور من النحاس الأصفر وهو البرونز. وكذلك كان في القصر أو في قاعة مجلس الملك قطارة. قال الهمداني: ـ

متضمناً في صدره قطارة لحساب أجزاء النهار تُقَطِّر

وكانت في بستان القصر شرعة مياه وهي نافورة مياه يأتي إليها الماء من عين ماء عبر ساقية يجري فيها الماء إلى الشرعة (النافورة). وقد أشار الهمداني إلى ذلك في قصيدته عن غُمدان حيث قال: ـ

والطير واقفة عليه وفودها ومياهه قنواته تتهدر

ينبوع عين لا يصرّدُ شربها وبرأسه من فوق ذلك منظر

وقال: «وإلى جنبه نخلة سحوق تطرح بعسبانها إلى بعض إبهاء ذلك القصر تُسمّى الدالفة، فلما فرغ إلْ شَرْح يَحضُب من بنائه قال: ـ

إنِّي أنا القَيْلُ إلْ شَرْحْ حَصَّنْتُ غُمْدَان بمبهمات.»

[ص ٨/٢٠]

وقد أخذ علقمة بن ذي جَدَنْ من ذلك قوله: ـ

وتكورت غُمدان من صرف الردى من بعد مملكة وبعد تَجَبُّرِ

القَيْلُ من قحطان أبهم صخرها وعمادها بالقطر خير الأقطُرِ

وقال علقمة أيضاً:

ولم يخلد على الحدثان بانٍ بَنَى غُمدان تتهمه التهوم

بعرعرةٍ منشَّرةٍ وساجٍ وصلب السدر واللبخ الضروم

وقال أيضاً: ـ

فذاك غُمدان محزئلاً بناؤه العجب العجيب

أعلاه مبهمة رخام عالٍ وأسفله جُروبُ

وقد جمع الحسن الهمداني ما ذكره العلماء الأوائل من وصف غُمدان في قصيدته عن غُمدان حيث قال الهمداني: ـ

مَنْ بعد غُمدانِ المُنيفِ وأهْلِهِ ... وهو الشِّفاءُ لِقلْبِ مَنْ يَتَفَكَّرُ
يَسْمُو إلى كَبِدِ السَّماءِ مُصَعِّداً ... عِشْرينَ سَقْفاً سمكهُ لا يَقْصُرُ
وَمِنَ السَّحابِ مُعَصَّبُ بِغَمَامَةٍ ... وَمِنَ الرُّخامِ مُنْطَقٌ ومُؤَزَّرُ
مُتَلاحِكاً بالقطْر مِنْه صَخْرُه ... والجزْعُ بَيْن صُرُوحِه والمَرْمَرُ
وَبِكُل ركْنٍ رأسُ نَسْرٍ طَائِرٍ ... أو رَأسُ لَيْثٍ مِنْ نُحاسٍ يَزْأرُ
مُتَضمناً في صَدْرِهِ قطارةً ... لِحِسَابِ أجْزَاءِ النَّهارِ تُقَطِّرُ
والطَّيْرُ عاكِفَةٌ عَلَيْه وفُودُها ... ومِيَاهُهَا قَنواتُها تَتَهَدَّرُ
يَنْبُوعُ عَيْنٍ لا يصرَّد شُرْبُها ... وبِرَأسِه مِنْ فَوقِ ذَلِكَ مَنْظَرُ

زيادة ومدة قصر غُمدان بعد إل شَرْح يَحضُب

لقد ذكر الهمداني في الإكليل وكذلك ذكر الرازي أنه « . . .أقام غُمدان في تزايد مع الملوك. .»[١]. ولا بد أن ذلك منذ عهد الملك (هَلْك أمْر) (عمرو ذو غُمدان: وهو أول من شرع في تشييد قصر غُمدان بعد بنائه القديم) ـ كما ذكر ذلك الهمداني ونشوان، وكان ذلك في أواسط القرن الحادي عشر ق.م. حيث تتابع الملوك بعده إلى عهد الملكة بلقيس معاصرة النبي سليمان في القرن العاشر ق.م. ثم إلى الملك (إل شَرْح يَحضُب) الذي أتمّ تعلية غُمدان عشرين سقفاً ـ (فوق البناء الأسبق) ـ وكان ذلك عام ٣٢٠ للتقويم السبئي (الموافق ٩٠٠ق.م.). وقد استمر قصر غُمدان منذ عهد (هَلْك أمْر) في القرن الحادي عشر قبل الميلاد إلى عهد سيف بن ذي يزن في أواخر القرن السادس الميلادي فيكون ذلك زهاء ألف وسبعمائة سنة.

قال ابن المجاور: «وكانت التابعة من ملوك اليمن لهم رغبةٌ نفيسة

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٥ جـ٨.

وهِمّة عالية في عمارة غُمدان، وكلّ ملك تولى منهم كان يُعلّي قصراً على قصر حتى ارتفعت تلك القصور اثنين وسبعين سقفاً، ويُقال ثلاثة وتسعين سقفاً. وكان آخر من بنى به أسعد الكامل ـ بنى ـ قصراً من زجاج وهو الخاتمة»[١].

إن قول ابنَ المجاور «حتى ارتفعت تلك القصور ٧٢ سقفاً». يُتيح إدراك أن غُمدان كان عدة قصور يجمعها فناء واحد، كان بعضها قصر فوق قصر وكان بعضها قصر بجوار قصر، فمجموع تلك القصور هو الذي بلغ ٧٢ سقفاً إلى عهد أسعد الكامل بن حسان في القرن الخامس الميلادي، بحيث يمكن استنتاج الترتيب التالي: ـ

ـ كان قصر غُمدان سبعة سقوف منذ عهد (هَلْك أمْر) إلى عهد الملكة بلقيس فقام الملك إل شَرْح يَحضُب بتجديدها وبناء عشرين طابقاً في قمتها الغرفة الرخامية كما سلف التبيين. فكان ذلك هو قصر غُمدان وربما لم يزد عن ٢٧ سقفاً واستمر كذلك في سائر العصور.

ـ إن الزيادة التي تمت بعد ذلك لم تكن فوق القصر وإنما إلى جواره بحيث صار غُمدان عدة قصور ومباني يجمعها فناء واحد. وقد ذكر الهمداني في الإكليل: «إن شعرام أوتر هو الذي وَصَل بنيان القصور وأحاط على صنعاء بحائط»[٢]. وقال مطهر الأرياني أنه قال الهمداني: «وقد ذكرنا ما رواه ـ محمد بن خالد القسري ـ من بناء إل شَرْح وشعرام أوتر لغمدان»[٣]. وقد جاء ذكر غُمدان في نقش مسند من عهد (شعرام أوتر ملك سبأ وذي ريدان) ـ كما سيأتي ـ ويمكن القول إن الملك شعرام أوتر قام بالبناء في غُمدان إلى جوار القصر واستمر ذلك في عصور تالية بحيث صار غُمدان يضم القصر وعدة مباني ومساكن داخل فناء واحد، وقد ذكر الهمداني أن قصر غُمدان «كان فيه مائة مسكن بمرافقه» فيمكن أن يكون ذلك في فناء القصر، ولم يزل غُمدان من القصور العظيمة في عصور ملوك سبأ التبابعة حتى القرن السادس والقرن الخامس ق.م..

---

(١) تأريخ المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص١٨٠

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩ جـ ٨.

(٣) قصر غُمدان ـ مطهر الأرياني ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد الرابع ـ يوليو ١٩٨٠م.

ـ ثم أصبحت صنعاء عاصمة للدولة الحميرية في عصور تابعة حمير منذ أوائل القرن الرابع الميلادي وقام تُبّع ملشان أريم ذو يزن بتجديد وتفخيم قصر غُمدان واتخذ صنعاء عاصمة ومقرًا، ولذلك قال أميّة بن أبي الصَّلت في القصيدة التي مدح بها سيف بن ذي يزن: ـ

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مُرتفقاً في رأس غُمدان داراً منك محلالا
قصرٌ بناهُ أبوك القَيْل ذي يزن فهل ترى أحداً نال الذي نالا
منطّقاً بالرخام المستزاد له ترى على كل ركن منه تمثالا

ويعني بقوله: (بناهُ أبوك القَيْل ذي يزن) الملك ملشان أريم ذو يزن لأن سيف بن ذي يزن من سلالته.

وكان قصر غُمدان مقر الملك تُبّع حسان بن ذي غيمان الحميري في أواسط القرن الخامس الميلادي، وفيه قال علقمة بن ذي جَدَنْ: ـ

قد كان حسان في ذؤابة غُمدان قريراً بعيشِ مَنْ رغدا
يخدمه من سَرَاة حِمْيَر ألفان قياماً لن يقعدوا أبدا
إن سار ساروا حواليه صفان ولا يبعدون إذا بعدا

ـ وبلغ قصر غُمدان ذروة الارتفاع والعظمة في عهد تُبّع أسعد بن حسان الحميري الذي حكم في القرن الخامس الميلادي (من ٤٥٧ ـ ٤٧٧ م) وهو أسعد الثاني وهو المقصود بقول ابن المجاور « . . .وآخر من بَنَى بغُمدان أسعد الكامل ـ بَنَى ـ قصراً من زجاج وهو الخاتمة». [ص ١٨٠]

وكان الملك تُبّع أسعد بن حسان يقول الشعر لأن زمنه في أواخر القرن الخامس الميلادي، وقد ذكر الهمداني أنه «قال أسعد تُبّع: ـ

وغُمدان قصرٌ لنا مُشرفُ مآجله حوله تزهرُ»[1]

وذكر نشوان الحميري أبياتاً لأسعد قال فيها: ـ

فأمسيتُ في غُمدان في خير محفدٍ بها أسّ جدي دورنا والمناهلا

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٦ جـ٨.

وقام أسعد ببناء عدة طوابق من الآجر (الياجور) وغرفة من الزجاج في أعلى قصر غُمدان، وقد ذكر نشوان أنه قال: ـ

«حميّك يا غُمدان مِنْ بعدنا ولست للتعطيل مستاهل
نحن رفعنا علو آجرّه بألف ألف عدّها القائل
ومن زجاج فوقه خلوة خضراء مثل القضبة الباقل

وقال أسعد: ـ

ولقد علمتُ لئن هلكتُ وأوحشت مني ظفار وعُطِلَت غُمدان
فليُفقدنَ مِن الملوك عظيمها ولتَفْقَدنَ حليفها التيجانُ»[١]

وكان بناء أسعد في غُمدان هو الخاتمة، وصار غُمدان كما قال ربيع بن ضبع الفزاري الجاهلي: ـ

وغُمدان إذْ غُمدان لا قصر مثله زهاءً وتشييداً يُحاذي الكواكبا

ولم يزل ملوك حمير يقيمون في قصر غُمدان بصنعاء وكان من آخرهم الملك يوسف أسار ذو نواس الذي حكم من عام (٥١٥ ـ ٥٢٥ م) وقد حكم بعده الملك (سُميفع ذو الكلاع ويزن) صاحب نقش موقع حصن الغراب المؤرخ بعام ٦٤٠ للتقويم الحميري الموافق عام ٥٢٥ ميلادي وانتهى عهده بالغزو الحبشي الأكسومي المدعوم من الرومان عام ٥٣٣م بقيادة (إرياط الحبشي) وهدّم إرياط جانباً كبيراً من قصر غُمدان أثناء الحرب والمقاومة العنيفة للأحباش. قال ابن هشام: «بينون وغُمدان من قصور اليمن التي هدّم إرياط ولم يكن في الناس مثلها»[٢]. وقال ابن خلدون: «وطىء إرياط اليمن بالحبشة وهدم حصون المُلك بها مثل بينون وغُمدان»[٣]. ولكن قصر غُمدان كان قصراً عظيماً وكان عدة قصور بعضها فوق بعض وبعضها بجوار بعض، ولذلك فإن قسماً من قصر غُمدان قد بقي شامخاً، فلما قضى الملك سيف بن ذي يزن على الأحباش ـ عام ٥٧٢ م ـ استقر في قصر غُمدان بصنعاء. قال ابن دريد الأزدي: ـ

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٣١ و ١٣٦.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٣٧ جـ١.
(٣) تأريخ ابن خلدون ـ ص٦٠ جـ٢.

وسـيـفُ اسـتـعـلـت بـه هِـمّـتـهُ ... حتى رمى أبعد شأو الـمُرتـمى
فَـجَـرّع الأحـبـوش سُـمّـاً نـاقـعـاً ... واحتل من غُمدان محراب الدُمى

وأتت الوفود تهنىء سيف بن ذي يزن وهو في قصر غُمدان بصنعاء وكان منهم أُمية بن أبي الصَّلت فقال: ـ

لا يطلبُ الثأر إلا كابن ذي يزن ... في الحرب هيّج للأعداء أهوالا
أرسلت أُسداً على سود الكلاب ... فقد أمسى شريدهم في الأرض فلالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... في رأس غُمدان داراً منك محلالا

وقال علقمة بن ذي جدن: ـ

وذاك غُـمـدان مـحـزئـلاً ... كـأنّـه جـبـلٌ مـنـيـف
يـسـكـنـه مـأجـد أبـيٌّ ... تـرغـم قـدامـه الأنـوف

قال الهمداني: «. . مَلَكَ سيف بن ذي يزن عشرين سنة ثم مَلَكَ أخوه شراحيل بن ذي يزن ثلاث سنين، يكون جميع ما ملكوا ـ (أي الملوك التبابعة) ـ ألفيّ سنة وإحدى وثمانين سنة من الرائش. .»[١] ـ أي منذ عهد الحارث الرائش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى عهد سيف بن ذي يزن (٥٧١ ـ ٥٩٠ م) وأخيه شراحيل وابنه معدي كرب بن سيف بن ذي يزن (٥٩٠ ـ ٥٩٣ م) في أواخر القرن السادس الميلادي، وكان قصر غُمدان موجوداً في كل تلك العصور، وبصفة خاصة منذ عهدالملك (هَلْك أمْر) في القرن الحادي عشر قبل الميلاد إلى عهد ابن ذي يزن في أواخر القرن السادس بعد الميلاد، وذلك زهاء ألف وسبعمائة سنة.

ظل وسُرج قصر غُمدان.. ونهاية غُمدان

قال الهمداني: «وكان الذي بَنَى غُمدان إل شَرْح يَحضُب فلما نظر ظله بالغداة قد بلغ سفح جبل عيبان كفّ عن البناء»[٢]. وقال: «. . وكانوا يُثْقِبون فيه ـ أي في أعلى غُمدان ـ بالسُرج فتُرى من رأس

(١) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٤١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨ جـ٨.

جبل عجيّب. . وقال علقمة بن ذي جَدَن عن قصر غُمدان: ـ

مصابيح السليط يَلُحْنَ فيه إذا يمسي كتوماض البروق[١]

قال ابن المجاور: «حدثني قاضي الجبل من آل الصُليحيّ قال: حدثني رجل سمع من لفظ أبي محمد عبد اللّٰه بن حمزة الحسيني قال: إنّ أواخر فَيْء قصر غُمدان كان يصل إلى وادي ظهر. قال ابن المجاور: ولا شك أنه كان يصل فيءُ القصر إلى وادي ظهر إذا قربت الشمس للغروب لأنّ في مثل ذلك الحين يكون الظلّ والفيءُ إلى أن يرجع مثل الشيء ثلاث أربع مرات. ويُقال: إن ضياء سُرُجه كان يُنظر من المدائن وقيل إلى المدينة. . »[٢].

وأصل ذلك أنه كان في رأس غُمدان غرفة سقفها بيضة ـ أو قبة ـ من الرخام مؤلفة من ثمان قطع، حيث كما ذكر الهمداني: «كانوا يُثْقِبون فيها بالسُرج فَتُرى من رأس جبل عجيّب». ـ وهو جبل في محافظة عمران شمال محافظة صنعاء حالياً ـ وجاء في تأريخ الرازي ما يلي: «كان في أعلاه بيضة رخام فإذا أرادوا موافاة من حولهم لأمر حدث أوقدت الشموع فيها فأضاءت كالنجم فيراها من في أقصى ظواهر همدان»[٣]. فكانوا إذا أرادوا استنفار الناس للمجيء إلى صنعاء للمسير الحربي أيام ملوك حِمْيَر أو في غير ذلك من المناسبات يُشعلون السُرج في أعلى القبة الرخامية بقصر غُمدان فَتُرى حُمرة النار من رأس جبل عجيّب وأقصى ظواهر بلاد همدان فيشعلون النار في القلاع الجبلية ـ بنفس الإشارة التي من غُمدان ـ فتنتقل الإشارة النارية من جبل إلى جبل في أرجاء اليمن حتى المراكز اليمنية الحميرية في اليمامة وتخوم بلاد الحيرة والحجاز في نفس الليلة، ولذلك قيل: (إن ضياء سُرج غُمدان كان ينظر من المدائن ـ أي بلاد الحيرة والعراق ـ ويصل إلى المدينة يثرب). فأصل ذلك هو أن القلاع الجبلية كانت تُثْقِبُ السُرج

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨ جـ٨.
(٢) تأريخ المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص١٨١.
(٣) تأريخ مدينة صنعاء ـ الرازي ـ ص٢٤.

النارية بنفس الإشارة التي من سُرج قصر غُمدان فيعلم الجميع أنها في الأصل من قصر غُمدان فيجيبون نداء الملك أو يعرفون المناسبة التي تدل عليها السُرج المشتعلة والمضيئة في قمة قصر غُمدان. قال المسعودي في مروج الذهب: «وقد قيل: إن ملوك اليمن كانوا إذا قعدوا في أعلى هذا البنيان ـ غُمدان ـ بالليل واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام»[1]. وقد كان كل ذلك في عصور الملوك التبابعة والدولة الحميرية إلى عهد ابن ذي يزن بأواخر القرن السادس الميلادي.

ثم تعرض قصر غُمدان بعد ذلك للتهدم والخراب وبقي بعضه مع أطلاله إلى فجر الإسلام وخلافة عثمان بن عفان فتم هدمه في أيامه بأواسط القرن السابع الميلادي ولذلك يُقال: «إن قصر غُمدان أخربه وهدمه عثمان بن عفان» والصواب أنه كان قد تعرض للهدم منذ أيام إرياط ثم بعد عهد ابن ذي يزن حيث قال أعشى قيس الجاهلي في أبيات ذكرها الهمداني في الإكليل: ـ

وأَهْلُ غُمْدانَ حَيْثُ كانُوا ... أجمع مَا يجمع الخِيَار
فَصَبَّحَتْهُم مِنَ الدَّوَاهي ... جَائِحَةُ عَقْبُها الدَّمَار

وقال علقمة بن ذي جدن وهو جاهلي مخضرم: ـ

أبعد غُمدان حين أمْسَى ... سفاية المور والرياح
يا عين سَلْحِين فاندبيه ... إذْ هاض من أهله الجناح

ويبدو أن قصر غُمدان تعرَّض أيضاً للحريق بعد عهد ابن ذي يزن وقُبيل الإسلام حيث قال علقمة بن ذي جَدَن: ـ

وغُمدان الذي حدّثتُ عنه ... بَنَوهُ ممسكاً في رأس نيق
مصابيح السليط يَلُحْنَ فيه ... إذا أمسى كإيماض البروق
فأصبح بعد جدته رماداً ... وغيَّر لونه لهب الحريق

فالهدم الذي وقع في خلافة عثمان إنما هو بقية وأطلال غُمدان وتم استخدام بعض حجارته وأعمدته في بناء وتوسيع الجامع الكبير بصنعاء

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٢٤١ جـ٢.

وفي بناء بعض دور صنعاء. قال الرازي: «ويُقال: إن عامة عمارة قصبة صنعاء فإنما عمِّرت بنقض غُمدان». [ص ٢٦].

موقع غُمدان.. وإعادة تشييده

لقد كان غُمدان يضم قصر غُمدان وعدة قصور ومباني ومساكن للوفود والجنود والحرس، ولذلك كان غُمدان يمتد من أول سفح جبل نقم وموقع «ظهر حمير» ـ حالياً ـ إلى القرب من الجامع الكبير بصنعاء، أما موقع قصر غُمدان بالذات فكان في مكان قصر السلاح حالياً. قال الهمداني في الإكليل: «وقد بقي من حدّ غُمدان القديم قطعة ذات جروب متلاحكة تلاحكاً عجيباً وهي قبالة الباب الأول والثاني من أبواب الجامع الشرقية، وباقي غُمدان تل عظيم كالجبل وكثير ممّا حوله من منازل الصنعانيين، فمنه بيت وفي تلة ـ تلّ غُمدان ـ تحصّن على ابن الفضل يوم دخل صنعاء فوافى المسجد ومَلَكَ صنعاء»(١). ـ وكان ذلك سنة ٢٩٣ هـ الموافق ٩٠٦ م. ـ وقال في موضع آخر: ـ «وبقي من بعض حيطان غُمدان الجروب المقابلة لأبواب الجامع بصنعاء»(١). والمقصود بقوله: (بعض حيطان غُمدان) هو حيطان فناء غُمدان ـ غالباً ـ وليس القصر الذي قال عنه: «وباقي غُمدان تل عظيم كالجبل» وذلك في أيام الهمداني وقد توفي الهمداني سنة ٣٣٤ هـ.

وقال المسعودي في مروج الذهب: «بيت غُمدان بمدينة صنعاء من بلاد اليمن، وكان الضحاك بناهُ على اسم الزهرة، وخربه عثمان بن عفان، فهو في وقتنا هذا ـ سنة ٣٣٢ هـ ـ خراب قد هُدم فصار تلّاً عظيماً، وقد كان الوزير علي بن عيسى بن الجراح بَنَى فيه سقاية وحَفَرَ فيه بئراً. ورأيتُ غُمْدَان ردماً وتلّاً عظيماً قد انهدم بنيانه، وصار جبل تراب كأنّه لم يكن. وقد كان أسعد بن أبي يعفر صاحب قلعة كحلان النازل بها وصاحب مخاليف اليمن في هذا الوقت وهو المُعظم في اليمن أراد أن يبني غُمدان، فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسني أن لا يتعرض لشيء من ذلك؛ إذ أن بناءَه ـ (سيكون) ـ على يدي غلام من أرض سبأ يُؤثر في صقع من هذا

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٢ وص٥ جـ٨.

العالم تأثيراً عظيماً»[١]. وقد مات الملك أسعد بن أبي يعفر سنة ٣٣٢ هـ.

وقال ابن المجاور: «بقي (غُمدان) تلّ عظيم، وقد بَنَى في موضع القصر بدر الدين حسن بن عليّ بن رسول قصراً عظيم الهيكل سنة ثمان عشرة وستمائة»[٢]. وذلك في عصر دولة بني رسول اليمنية الغسانية في عهد الملك المنصور عمر بن علي بن رسول الغساني ملك اليمن سنة ٦٢٦ ـ ٦٤٧ هـ وكان بدر الدين نائب الملك المنصور بصنعاء، فقام ببناء قصر عظيم الهيكل في موضع التلّ العظيم الذي هو مكان قصر غُمدان، فكان القصر الذي بناه الأمير بدر الدين في عهد الملك المنصور هو مقر أمير صنعاء في عصر دولة بني رسول الغسانية اليمنية بالقرن السابع والقرن الثامن الهجري، وقد أقام فيه الملك المؤيد بن المظفر بن المنصور عمر بن علي بن رسول الغساني المتوفى عام ٧٢١ هـ الموافق عام ١٣٢١م ـ بالقرن الرابع عشر الميلادي ـ وذلك القصر هو الذي صار يُعرف باسم القلعة وباسم قصر السلاح في العهود الذي تلت ذلك وما زال موقعه يُعرف بقصر السلاح حتى اليوم.

قال ابن المجاور: «وقد ذكر المسعودي أن قصر غُمدان يعمّر ثانيةً أحسَن ممَّا كان في الأول»[٢] ولذلك أقول: إن قصر غُمدان سوف يُعاد تشييده، ومكان القصر هو قصر السلاح حالياً، وسوف يُعيد بناء غُمدان زعيم يمني سبئي الأصل يؤثر في تأريخ هذا الوطن تأثيراً عظيماً. لقد كان أول من بَنَى قصر غُمدان بعد بنائه القديم ملك سبئي هو الملك (هَلْك أمْر بن كرب إل وتار يهنعم) في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ثم الملك (إل شَرْح يَحضُب) في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد وسوف يُعيد بناء غُمدان زعيم يمني سبئي ربما في هذا القرن الحادي والعشرين الميلادي.

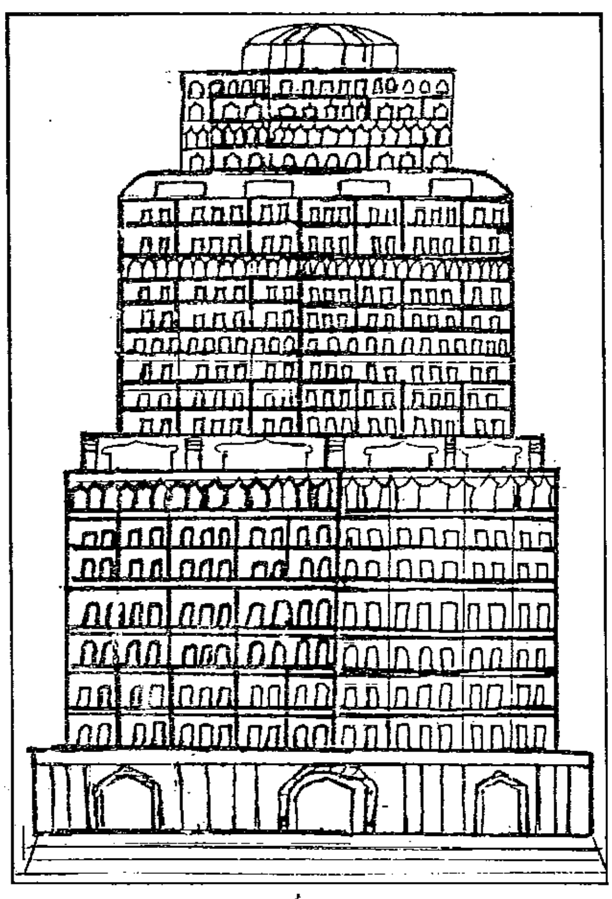
وقال صاحب مسالك الأبصار: «قال البكري: وزعم أهل اليمن أن غُمدان سيُبنى على يد غلام يخرج من بلاد سبأ، يؤثر في هذا العالم تأثيراً عجيباً»[٣] وكذلك سيكون.

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٢٤٠ جـ٢.

(٢) تأريخ المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص١٨١.

(٣) مسالك الأبصار ـ شهاب الدين بن فضل ـ ص٢٧٨.



رسم تخيلي لهيكل قصر غُمدان العظيم بصنعاء.

المبحث الثالث

أنباء صنعاء بعد عهد (إل شَرْح يَحضُب ملك سبأ وذي ريدان) وتمليك وهب إل يحوز بن بَتَعْ ـ نجل الملكة بلقيس ـ في صنعاء

١

وفاة إل شَرْح يَحضُب وتمليك ابنه وتار

في قصر غُمدان بمدينة صنعاء توفي الملك إل شَرْح يَحضُب باني قصر غُمدان العظيم، وذلك حوالي عام ٣٣٠ للتقويم السبئي (وللزمن الصحيح الموافق لذلك هو عام ٨٩٠ق.م. في القرن التاسع قبل الميلاد). وقد ذكر نشوان الحميري وابن شريه عن مصادرهم الأقدم أنه لما حضرته الوفاة قال لابنه وتار: «يا بنيّ، إن الملوك لا يسمحون بالملك أن يخرج من أحدهم في حياتهم، لا إلى الولد أو القريب، حتى إذا حِيلَ بينه وبينه، وبلغت النفس اللهاة قال: هاك خذه حباء، هيهات جاد بما ليس له ـ ألا وإني أحبوك به أحرص ما كنت على الحياة، ألا وإن العبيطة أنفس من القارضة[١]، ولربّ قائل منهم يقول: ألا يا ليتني إذا مت أرجع فأنظر كيف يصنعون. ألا وإني جعلت آخر الأمر أوله لأخرج من الدنيا وليس لي شجن فيها. فلما توفي إل شَرْح قام بعده ابنه وتار، وكان ولي عهده،

(١) ويروى (العطية أنفس من القارضة) ويروى (الغبيطة أنفس من الفارضة) وجاء في الهامش «ربما كان الصواب العبيطة أي الذبيحة تُنحر وهي سمينة فتية، والفارضة وهي البقرة الطاعنة في السن».

وكان في عهده إليه: «وإذا أنا متُّ فقف عمرك على خمس خصال، تستعذب وردها، وتستعدي صدرها، وتحمد غبَّها، وهي فرض للإله تؤديه، وقرض لنفسك تقضيه، وتيقظ في المُلك تحميه، وحكم عدل في الرعية تمضيه، ولذي اللّب في غِيَر الدهر ما يكفيه»(١).

وقد تم العثور في معبد أوام (محرم بلقيس) بمأرب على سبعة نقوش مُسندية من عهد وتار، يتألق فيها اسمه ولقبه بصيغة «وتار يُهأمن ملك سبأ وذي ريدان بن إل شَرْح يَحضُب ملك سبأ وذي ريدان». وهي النقوش أرقام ٦٠١ ـ ٦٠٧ في مجموعة كتاب «نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ» يذكر نقشان منها أن القائد «الرم يجعر بن سخيم. قَيْل قبيلة سمعي ثلث ذي هجرم، قاد حملة بأرض خولان جددن لأن قبائلها أخطأت ضد سيدها الملك وتار يُهأمن ملك سبأ وذي ريدان بن إل شَرْح يَحضُب ملك سبأ وذي ريدان»(٢). ـ وخولان جددن هي خولان قضاعة بمنطقة صعدة إلى عسير بأعالي اليمن. ويذكر نقشان أيضاً مؤازرة القيلين «سعد شمس أسرع وابنه مرثد يهحمد بني جُرت» للملك «وتار يُهأمن بن إل شَرْح يَحضُب»(٣) وكان الملك إل شَرْح يَحضُب قد تبنّى القيلين سعد شمس أسرع وابنه مرثد يهحمد تبنياً سياسياً ودينياً جاء ذكره في النقش المسند (رقم ٥٦٨ جام). وتدل النقوش على «أن وتار يُهأمن بن إل شَرْح يَحضُب كان ملكاً ضعيفاً رغم مؤازرة أخويه بالتبني سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد» وأنه «لا بد أن عهد وتار يُهأمن لم يدم طويلاً»(٤) ويتطابق ذلك مع ما ذكره نشوان الحميري حيث قال: «لم تطل مدة وتار، ولا ثَبَتَ قدمه في الملك، حتى نازعه عمومته في الأمر، وقالوا: نحن أقعد، وإنما هو مُلك أبينا، ولن نتخاطى به إلى الأولاد دون الآباء، فشحّ في ذلك وشحّوا، وتداعوا إلى الحرب. ولما رأت ذلك وجوه حِمْيَر ـ أي الأقيال ـ خافوا الفرقة وحاذروا القطيعة، فرأوا خَلْع وتار وإخراج عمومته

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص٥٦.
(٢) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ النقشان رقم ٦٠١ـ ٦٠٢.
(٣) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ جام ـ ٦٠٦ و ٦٠٧.
(٤) تأريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٩٤.

من المُلك». ثم قال: «وفَتَلَوا حبل المُلك في يد بَتَعْ بن زيد»[١] ويتبين من النقوش أن (بَتَعْ بن زيد) هو الملك (وهب إل بن بَتَعْ) وأن تمليكه كان عند خلع سعد شمس وابنه مرثد يُهحمد، فقد انتهى عهد وتار بخلعه، وكان حكمه نحو ثلاث سنين، وكذلك تم خلع الملك (نشاكرب يُهأمن يُهرحب) وتمليك سعد شمس وابنه مرثد.

٢

عهد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد وخلعهما بصنعاء

كان (سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد بني جُرت) زعيمين قَيْلين بمنطقة جُرت (وهي سنحان وبلاد الروس واليمنيتين من خولان حالياً في جنوب مدينة صنعاء) ـ وكان الملك إل شَرْح يَحضُب قد تَبَنّاهُما سياسياً ودينياً، وقاما بمؤازرة وتار بن إل شَرْح يَحضُب، ثم صعدا إلى عرش دولة سبأ وانتسبا إلى (إل شَرْح يَحضُب) استناداً إلى أنه تبناهما، وقد جاء ذكرهما في النقوش بالصيغة التالية: ـ

«سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد ملكي سبأ وذي ريدان ابني إل شَرْح يَحضُب ملك سبأ وذي ريدان»[٢].

وقد واجه حكمهما معارضة كبيرة أدت إلى اندلاع حرب واسعة شنها الملك سعد شمس وابنه مرثد يُهحمد وذلك ـ كما يذكر نقشان مسندان ـ ضد «وهب إل بن ذي معاهر/ وذي خولان/ وذي هصبح/ ومضحيم/ ونظم ملك قتبان، ويدع إل ملك حضرموت، وخلق آخرون احتشدوا بأرض ردمان»[٣]. ويذكر النقش (رقم ٦٢٩ جام) أن القَيْلين (مرثدم وذرحان أشوع اشتركا في الحرب مع قبيلتيهما فيشان ويهبعل تحت

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص٥٦.

(٢) النقوش: رقم ٥ كهالي، ورقم ٢٤ شرف الدين، ورقم ٦٢٦ـ ٦٣٠ جام من محرم بلقيس.

(٣) النقش رقم ٥ كهالي والنقش رقم ٦٢٩ جام. وأرض ردمان محافظة البيضاء حالياً إلى بيحان وما جاورها.

لواء الملكين سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد ملكي سبأ وذي ريدان. . وكان مع الملكين الأسبأ (اسبئن) والأقيال (أقوالن) وجيش ملك سبأ. وقد تحقق النصر للملكين على كل جموع ملك حضرموت ووهب إل بن ذي معاهر وكل الذين معهم بأنحاء مدينة وعلان بأرض ردمان. وعاد الملكان وجيشيهما بسلام إلى مأرب». ثم يذكر النقش حملة حربية ثانية إلى مناطق أوسان الحميرية وناحية تمنع وأن الملكين عادا بسلام من تلك الحرب، وأنه أثناء الحملتين رابط بمدينة صنعاء القَيْل مرثدم ذي جرفم ـ أحد صاحبي النقش ـ وذلك في الجزي الذي تم بمدينة صنعاء مع الأقيال الذين حضروا ـ (الجزي) ـ أي المرابطة بالرحبة (رحبة صنعاء) بتوجيه من الملكين سعد شمس أسرع وابنه مرثد، وهم الأقيال: شَرْح إل بن ذرانح قَيْل ذمري، وشرجشت بن بَتَعْ، والرم بن سخيم قَيْل سمعي، ويرعد بن ساران ـ قَيْل بكيل رُبع ريدة ـ ويارم أيمن بن همدان، وهو يارم أيمن بن أوسلة رفشان بن همدان قَيْل حاشد.

وكان اجتماع أولئك الأقيال ومرابطتهم بصنعاء بالغ الأهمية، وانضمّ إليهم آخرون من الأملاك الثمانية (الاسبئن) والأقيال الثمانين (أقوالن) وربما وصل إلى صنعاء الملوك المتصارعون ـ أي سعد شمس وابنه مرثد من جهة والمعارضون لهم: ذمر علي يُهبر ذو ريدان ويدع إل حاكم حضرموت، ونشاكرب يُهأمن، ونظم حاكم قتبان، حيث سعى القَيْل يارم أيمن والذين معه بصنعاء من الأقيال إلى تحقيق السلام. فقد تم العثور على نقش مسند باسم «يارم أيمن وأخيه بارج يهرحب ابني أوسلة رفشان بن همدان، أقيال سمعي ثلث حاشد» بمناسبة السلم الذي حققه يارم أيمن «بين أملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وقتبان وقبائلهم وجيوشهم بعد الحرب التي دارت وثارت بكل أرض بين كل ـ أولئك ـ الملوك والجيوش»[1]. ويقول النقش: (إن يارَم أيمن التقى بكل ملك على حدة ثم مثنى مثنى) ثم (عقد اجتماع ضم جميع الملوك وقادة جيوشهم ورؤساء قبائلهم، واستطاع يارم أيمن إقناعهم بالاتفاق الذي أدى إلى السلم

---

(١) النقش رقم ٣١٥ سي. آي. إتش.

وجمع الصفوف، بفضل العون والدعم الكامل من الإله لجهود يارم أيمن في تحقيق هذا السلام». ويسأل يارم أيمن من الإله أن يعطيه «حظوة ورضا سادته أملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وقتبان»[١]. هكذا بالجملة دون ذكر الملكين (سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد) والملوك المعارضين لهما ودون تسمية أي ملك، وهذا يتيح إدراك أن اتفاق السلم أدى إلى تعليق شرعية سعد شمس وابنه مرثد والمعارضين لهما، ويتعزز ذلك بنقش مسند باسم (سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد) يذكران فيه (أملك سبأ) دون تخصيص حتى نفسيهما بلقب الملوكية[١]. وبعد تعليق ملوكية الملوك اتفق الأقيال على ما أشار إليه نشوان الحميري بقوله إنهم: ـ

«خافوا الفرقة وحاذروا القطيعة، فرأوا خلع وتار ـ ابن إل شَرْح يَحضُب ـ وإخراج عمومته ـ بنو الصّوّار ـ من المُلك، وفَتَلُوا حبل المُلك في يد بَتَعْ».

ويدل ترتيب الملوك أن ابن إل شَرْح يَحضُب الذي خلعوه هو الملك سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد ـ وهو ابن إل شَرْح يَحضُب بالتبني ـ وكذلك نشأكرب يُهأمن الملك السابق وكان ينتسب إلى (إل شَرْح يَحضُب وأخيه يازل بين) معاً، وكذلك بقيّة الملوك المعارضين وكان أهمهم (ذمر علي يهبر ذو ريدان بن ياسر يُهصدق ملك سبأ وذي ريدان) الذي كان أبوه ياسر يُهصدق ملكاً بعد الملكة بلقيس ـ كما سلف التبيين ـ وبذلك الخلع انتهى عهد سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد وأسرة إل شَرْح يَحضُب.

٣

تمليك وهب إل يحوز بن بَتَعْ
نجل الملكة بلقيس ومعالم عهده

لقد أدى السلم الذي حققه (يارم أيمن بن أوسلة رفشان) والأقيال الذين اجتمعوا معه بصنعاء إلى تعليق ملوكية بني إل شَرْح يَحضُب (سعد شمس وابنه مرثد) ثم اتفاق الأقيال على خلعهما وإخراج المعارضين لهما

(١) النقش رقم ٧٥٣ جام.

من الأمر حيث ـ كما ذكر نشوان ـ «فَتَلُوا حَبل المُلْك في يد بَتَعْ بن زيد صاحب السدّ، سدّ بَتَعْ»[١]. ويتبين من نقوش المسند أن الذي تم تمليكه بعد بني إل شَرْح يَحضُب هو كما في النقوش المعثور عليها بمحرم بلقيس: ـ

«وهب إل يحوز ملك سبأ بن بَتَعْ»[٢].

فهو ليس (بَتَعْ) وإنما هو (ابن بَتَعْ). وقال الهمداني في الإكليل: «بَتَعْ المَلِكْ: وإليه يُنسب سد بَتَعْ بالخَشَب مما يصالي حاز[٣] وهو قُربان إل شَرْح يَحضُب، وإليه أفضى المُلْكُ بعد إل شَرْح يَحضُب ولم يزل المُلك في عقبه إلى قيام الرائش على ما يذكره علماء همدان»[٤] وقوله: «وهو قُربان إل شَرْح يَحضُب» يعني كما جاء في الهامش «جليس الملك الخاص» وكذلك «قريب الملك بالنسب» فقد كانت زوجته «جميلة أخت إل شَرْح يَحضُب» كما جاء في الإكليل[٤]. وذلك ليس (بَتَعْ) وإنما هو (وهب إل يحوز بن بَتَعْ) وإليه «أفضى المُلك بعد بني إل شَرْح يَحضُب» وقد وقع إلتباس في ما ذكره الهمداني في الإكليل ـ عن علماء همدان ـ في نسب وترتيب بني بَتَعْ، وقد جاء في ذلك ما يلي: «أولَدَ بَتَعُ: موهب إل، فأولد موهب إل ينوفاً ذا بَتَعْ القَيْل وهو أجلُّ من وَفَدَ على سليمان عليه السلام من قيول اليمن مع الملكة بلقيس.. وذو بَتَعْ (هو) زوج بلقيس زوّجه بها سليمان عليه السلام.. فأولد ذو بَتَعْ: أسنع يمتنع، وأنوف ذا همدان، وشمس الصغرى، أمهم بلقيس». وقال: «وقد يرى كثير من الناس أن اسم ذي بَتَعْ ـ زوج الملكة بلقيس ـ موهبيل، وإنما موهب إل أبوه»[٥]. ويتمثل الالتباس في أن الصواب الذي تنطق به النقوش في أن (موهب إل) ليس اسم ذي بَتَعْ زوج الملكة بلقيس وإنما

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص٥٦.

(٢) النقوش أرقام ٧ و ٨ و ٩ كهالي ـ في تأريخ اليمن ـ والنقوش أرقام ٥٦١ـ ٥٦٣ جام بكتاب نقوش سبئية من محرم بلقيس.

(٣) حاز مدينة قديمة من بلاد همدان وهي قرب شبام كوكبان بمحافظة عمران حالياً.

(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٦ـ الجزء العاشر.

(٥) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٣ جـ١.

موهب إل هو «وهب إل بن بَتَعْ» فهو نجل القَيْل بَتَعْ والملكة بلقيس. وقد سلف ذكر نبأ زواج الملكة بلقيس بالقَيْل بَتَعْ زعيم همدان، وقد جاء ذكره في كتاب عرائس المجالس بلفظ: «بَتَعْ مَلك همدان» وليس «ذو بَتَعْ» وهو الصواب، وأقام القَيْل بَتَعْ مع زوجته الملكة بلقيس في مأرب عاصمة دولة سبأ، ولم يُقم في القصر الملكي الذي هو قصر سَلْحِين، وإنما قام ببناء قصر في مأرب، وقد جاء ذكره في نقش مسند من محرم بلقيس بلفظ: «قصر بَتَعْ»[1]. وأنجبت الملكة بلقيس من زوجها القَيْل بَتَعْ ثلاثة أبناء منهم «وهب إل يحوز بن بَتَعْ» ـ الذي مَلَكَ بعد بني إل شَرْح يَحضُب ـ وقد ذكر الهمداني أنها أنجبت «أسنع يمتنع، وأنوف ذا همدان» ـ وقد يكون أحدهما «شرجثت بن بَتَعْ» المذكور في النقش (٦٤٩ جام) بين الأقيال الذين رابطوا بصنعاء مع (يارم أيمن) أيام سعد شمس أسرع بن إل شَرْح يَحضُب. أما (شمس بنت بَتَعْ وبلقيس) فقد جاء أنه: «كانت شمس عند ياسر الذي مَلَكَ بعد بلقيس». وهذا يعني أنها كانت زوجة الملك ياسر وهو «ياسر يهصدق ملك سبأ وذي ريدان». وقد حكم في الفترة من عام (٢٩٧ ـ ٣١٠ للتقويم السبئي) والزمن الصحيح الموافق لذلك هو من (عام ٩٢٣ ـ ٩١٠ق.م.) ويتطابق ذلك مع ما ذكره علماء المؤرخين العرب الأوائل بأنه حكم بعد الملكة بلقيس معاصرة النبي سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد، ثم حكم الملك (إل شَرْح يَحضُب) ثلاثين سنة (ما بين عام ٣١٠ ـ ٣٣٠ للتقويم السبئي/ ٩١٠ ـ ٨٩٠ق.م.) وكان (وهب إل بن بَتَعْ) ـ نجل الملكة بلقيس ـ من مستشاري وجلساء الملك إل شَرْح يَحضُب ومتزوجاً بأخته جميلة، ولما مات إل شَرْح يَحضُب وتولى الحكم ابنه وتار، ثم لما تولى الحكم سعد شمس أسرع وابنه مرثد ووقعت فتنة الحرب والصراع على الحكم كان (وهب إل يحوز بن بَتَعَ) معتزلاً الفتنة ومقيماً في مدينة حاز، وكان حكيماً، فلما اجتمع ورابط الأقيال بمدينة صنعاء ومنهم (يارم أيمن بن أوسلة رفشان، وشرجثت بن بَتَعْ) وقام يارم أيمن بتحقيق السلم المذكور في نتشه المسند وتم تعليق

---

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٦٥١.

ملوكية بني إل شَرْح يَحضُب (سعد شمس وابنه مرثد) وبقية المتصارعين، دعا يارم أيمن والأقيال وهب إل يحوز بن بَتَعْ ـ نجل الملكة بلقيس ـ إلى صنعاء، وأقرّوا خلع بني إل شَرْح يَحضُب وإخراج المتصارعين من الأمر، وفتلوا حبل المُلك في يد وهب إل يحوز بن بَتَعْ. ثم توجه الملك وهب إل يحوز بن بَتَعْ من صنعاء إلى العاصمة مأرب وتسنم سدة عرش ـ (والدته الملكة بلقيس) ـ في قصر سَلْحِين بمأرب، وذلك حوالي عام ٣٣٧ للتقويم السبئي (٨٨٣ق.م.) ـ أي بعد عهد بلقيس بنحو أربعين سنة ـ وقد تم العثور على نقش مسند في محرم بلقيس بمأرب تم تدوينه بمناسبة استيفاء تملك ووصول وهب إل يحوز إلى القصر سَلْحِين بمأرب، وهو النقش المسند رقم ٧ كهالي، ونص القسم الأول منه بالحروف العربية الحديثة كما يلي: ـ

«ربم أريم وأخوه شرحثت أزان وابنه يفرع، بنو كبسيم، أقيال شعب تنعم وتنعمت، هقنوا إلمقه ثهون بعل أوام صلماً، حمداً بذات ستوفى أتيت مرأهمو وهب إل يحز ملك سبأ عدى بيتن سَلْحِين»[1].

ومعنى ومحتوى ذلك أن الأقيال «ربم أريم وأخوه شَرْح أزان وابنه يفرع أقيال قبيلة ومنطقة تنعم وتنعمت، أقنوا الإله إلمقه ثهوان رب الكون صلماً، حمداً له لأنه رعى وأتم وصول آمرهم وهب إل يحوز ملك سبأ إلى القصر سَلْحِين» ـ انتهى ـ وقد ذكر الهمداني في الإكليل ما يلي: «ويُسمّى قصر بلقيس سَلْحين»[2].

وكذلك تم العثور في معبد أوام (محرم بلقيس) على نقش مسند باسم القائدين القَيْلين «نشاكرب ذي محلة وابنه وهب أوم، قادة أكبر ويذكر» أنهما قدما «هقنيا» إلى المعبد «صلماً ذهباً» حمداً للإله إلمقه «بذات خمر إلمقه عبد هو نشاكرب ستوفين ومضاء وتأيسن بوفيم عدى مأرب بمهوت خريفن بكن مَلَك مراهمو وهب إل يحوز ملك سبأ ببيتن سَلْحِين، بإثر همت أضررن وهمو منجتن ألي كانوا بهمت خريفن..»[3]

---

(١) في تأريخ اليمن ـ النقش رقم ٧ كهالي ـ ص٤٨.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٧ جـ٨.
(٣) في تأريخ اليمن ـ النقش رقم ٩ كهالي ـ ص٥١.

ـ أي «حمداً لما غمر به الإله إلمقه عبده نشأكرب باستيفاء عودته ووصوله بالعافية إلى مأرب في هذا الخريف الذي تسنم فيه آمرهم وهب إل يحوز ملك سبأ سدة العرش بقصر سَلْحِين، بعد الحروب ثم المناجاة التي كانت بنفس هذا العام».

ومن نقوش عهد الملك وهب إل يحوز ملك سبأ أيضاً: ـ

ـ نقش مسند باسم القَيْل (يارم أيمن بن أوسلة رفشان بن همدان، قَيْل سمعي ثلث حاشد) يسأل فيه من الإله (حظوة ورضا مراهمو وهب إل يحوز ملك سبأ بن بَتَعْ» ويذكر يارم أيمن في النقش عودته بالسلامة والظفر من حملة ضد يدع إل زعيم حضرموت[1]. ويارم أيمن هذا هو بطل اتفاق السلام الذي أدى إلى خلع بني إل شَرْح يَحضُب وبقية المتصارعين وتمليك وهب إل يحوز بن بَتَعْ، وكان يارم أيمن ذا منزلة عالية عند الملك وهب إل يحوز بن بَتَعْ الذي ربما تَبَنَّى يارم أيمن سياسياً ودينياً كما فعل (إل شَرْح يَحضُب) حين تبنى (سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد) وقد كان الملك وهب إل يحوز ويارم أيمن في نفس السن تقريباً، فذلك التبني لا علاقة له بالسن، وبموجبه أصبح يارم أيمن من بني بَتَعْ قياساً على (سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد) اللذين صارا قبل ذلك (ابني إل شَرْح يَحضُب).

ـ ونقش مسند باسم الأقيال «هوف عم مخطرن وسخيم وذو خولان» ويذكرون في النقش أنهم حاربوا (سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد والذين معهما من بني جرت الذين شايعوا (ذمر علي ذي ريدان) في معارضة مليكهم وهب إل يحوز ملك سبأ بن بَتَعْ[2]. ويتبين من ذلك أن سعد شمس أسرع وابنه مرثد يُهحمد لم يتقبلا خلعهما وتمليك وهب إل يحوز بالرضا وإنما انضما إلى (ذمر علي يهبر بن ياسر يُهصدق) الذي كان ملكاً في القصر ريدان بمدينة ظفار ومناطق ذي ريدان، ويبدو أن والدة (ذمر علي يهبر) هي (شمس بنت الملكة بلقيس والقَيْل بَتَعْ) لأنها كانت زوجة الملك ياسر يُهصدق، ولذلك فقد تجنب الملك (وهب إل يحوز بن

---

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٥٦١.

(٢) النقش رقم ١٢٢٨ جلاسر.

بَتَعْ) الصراع مع (ذمر علي يهبر بن ياسر يُهصدق) واكتفى في نقوش عهده بلقب (ملك سبأ) تاركاً لذمر علي يهبر بن ياسر لقب (ذي ريدان) بما يدل على حكمة وهب إل يحوز بن بَتَعْ نجل الملكة بلقيس.

ـ وتم العثور أيضاً على النقش المسند (رقم ٨ كهالي) من محرم بلقيس وهو باسم (رب أوم/ وبنيه/ يشرح إل/ وربيب/ بني دوس» وهم من الأزد، وجاء في فقرة من النقش أنهم يسألون من الإله «حظوة ورضا مراهمو وهب إل يحوز ملك سبأ». فتلك هي نقوش عهده التليد.

ـ ومن المفيد الإشارة إلى أنه ذكر نشوان الحميري أنه «لما احتضر الملك بَتَعْ أوصى ابنيه علهان ونهفان» وقد وقع التباس في الأسماء عند الذين نقل عنهم نشوان فعلهان هو ابن يارم أيمن ـ وقد تبناه الملك وهب إل يحوز بن بَتَعْ وهو المقصود بالملك بَتَعْ ـ وابنيه هما (كرب إل وتار يهنعم وأنمار يهامن) وكذلك يارم أيمن وابنه علهان (بالتبني غالباً) فيمكن أن تكون الوصية التي ذكرها نشوان إليهم جميعاً، والملك الذي أوصاهم هو «وهب إل يحوز بن بَتَعْ» أما الوصية فقد ذكر نشوان أنه قال: «أوصيكما بتقوى اللّه أولاً، ثم باتفاقكما بعد، فلا ذلّ مع وفقة، ولا عزّ مع فرقة، ولولا تداول الرِّجْلين بالخطو ما بلغ ذو الحاجة من المسير مراده، ولولا توازر اليدين في المتح ما ملأ الواردُ وِرْدَه... ثم اعلموا أن هذا الأمر صار إلينا عن قوم لم يرفضوه زهداً، ولم يُسَلِّمُوه جهداً، ولم يُسْلبوه قهراً، وإنما هو أمانة غائب إلى أوبته، ومال يتيم يُرزق منه بالمعروف إلى أن يُؤنس رشده ويتبين حزمه ويعزّ عقله، ثم يُسلم إلى يد ما ملكت، فليكن بذلك عملكما، وعليه تحافظكما، فإذا حان من أحدكما ما حان مني فليردّ الأمر بهذه الوصية إلى الغابر، وليردده الغابر إلى من غبر بعده بمثل ذلك، إلى أن يقوم من بني الصَّوّار من يجتمعون عليه، فيُسلمون إليه الأمر عن تسارع كما أخذتموه عن تراض»[1].



تمثال من الألبيستر للملك وهب إيل ملك سبأ بن بتع نجل الملكة بلقيس

ويوجد بمتحف صنعاء تمثال سبئي من الالبيستر

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص٥٧.

مكتوب عليه اسم «وهب إل». ولا بد أنه «وهب إل يحوز ملك سبأ بن بَتَعْ» لأنه الوحيد من الملوك الذي كان اسمه «وهب إل» فهو صاحب هذا التمثال الموجود حالياً بالمتحف الوطني بصنعاء.

٤

عهد بني وهب إل بن بَتَعْ.. والباب البرونزي الموجود بالجامع الكبير بصنعاء

لقد تم العثور على ستة نقوش في مأرب وصنعاء من عهد بني وهب إل يحوز ملك سبأ بن بَتَعْ. وقد اختلف الدارسون في ترتيبهم، فبصرف النظر عن الزمن يذكر د. محمد بافقيه أنه: « . . قد حمل اللقب نفسه ـ أي لقب ملك سبأ ـ اثنان من أبناء وهب إل، أحدهما يدعى أنمرم يُهأمن، والآخر كرب إل وتر يهنعم»(١) وذلك ـ كما قال أحد المهتمين ـ «على اختلاف بين الدارسين في أيهما أسبق. . » وقد أورد (ألبرت جام) نقوش عهدهم المعثور عليها في محرم بلقيس ـ وهي أربعة نقوش ـ بالتسلسل التالي: ـ

ـ النقش رقم ٥٦٢ «أنمرم يُهأمن ملك سبأ بن وهب إل يحوز ملك سبأ».

ـ النقشان رقم ٥٦٣ و ٥٦٤ «كرب إل وتر يهنعم ملك سبأ بن وهب إل يحوز ملك سبأ».

ـ النقش رقم ٥٦٥ «يارم أيمن وأخيه كرب إل وتر يهنعم ملكي سبأ»(٢).

أ ـ أنمار يُهأمن ملك سبأ بن وهب إل يحوز بن بَتَعْ:

جاء اسم أنمار يُهأمن في النقش المسند «أنمرم يُهأمن» والميم في «أنمرم» للتمييز أو علامة سكون، فالنطق هو «أنمر = أنمار». ويتبين من النقش المسند (رقم ٥٦٢ جام) أن أنمار كان في قصر

---

(١) تأريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٠٠.

(٢) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٥٦٢ـ ٥٦٥.

غيمان (جنوب شرقي مدينة صنعاء) فسار إليه الأذواء الأملاك الثمانية (الاسبئن) والأقيال الثمانين أقوالن) ـ الذين جاء في الإكليل أنهم «كانوا إذا حدث بالملك حدث يقيمون الملك بعده ويعقدون له العهد»[١] ـ فأقنعوه بأن يتولى الحكم، فسار معهم من غيمان إلى القصر سلحين في العاصمة مأرب وأصبح (ملك سبأ) حيث يذكر النقش المسند (رقم ٥٦٢ جام) إن القَيْل (سخمان يهصبح البَتْعي، من أقيال سمعي ثلث حملان، أقنى الإله إلمقه قرباناً لأنه حقق وصول (ستوفين أتيت) سيدهم (أنمرم يُهأمن ملك سبأ بن وهب إل يحوز ملك سبأ) إلى القصر سَلْحِين من بيت غيمان لأن الاسبئن والأقوالن والجيش أقنعوه (تقنعوه) بذلك»[٢].

ويبدو أن (أنمار يُهأمن) كان كبيراً في السن أو مريضاً، فمات بعد فترة يسيرة حيث كما أشار جام: «لم يدم عهده طويلاً».

ب ـ كرب إل وتار يهنعم بن وهب إل يحوز بن بَتَعْ:

ثم تسنم عرش سبأ (كرب إل وتار يهنعم) بالاشتراك مع (يارم أيمن) وجاء اسمهما في نقش مسند من محرم بلقيس بصيغة (يارم أيمن وأخيه كرب إل وتار يهنعم ملكي سبأ»[٣]. وتدل هذه الصيغة على أن (وهب إل يحوز بن بَتَعْ) تبنى (يارم أيمن) لأنه ـ كما في نقوشه السابقة ـ «يارم أيمن بن أوسلة رفشان، قَيْل ـ قبيلة ـ سمعي ثلث حاشد» فهو حاشدي همداني ورئيس قبيلة حاشد، وهو من نفس جيل (وهب إل يحوز بن بَتَعْ) فتبناه الملك وهب إل ـ دينياً وسياسياً ـ بحيث أصبح شقيق (كرب إل وتار يهنعم بن وهب إل يحوز بن بَتَعْ) واشترك معه في الحكم، وكان يارم أيمن قد بلغ من الكبر عتياً، بدليل معاصرته للملوك السابقين من (إل شَرَح يَحضُب إلى أنمار بن وهب إل يحوز بن بَتَعْ) فمات (يارم أيمن) وانفرد (كرب إل..) بالحكم حيث جاءت نقوش المسند بصيغة: ـ

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١١٤ جـ٢.

(٢) النقش رقم ٥٦٢ جام ـ نقوش سبئية من محرم بلقيس.

(٣) النقش رقم ٥٦٥ جام ـ نقوش سبئية من محرم بلقيس.

«كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ بن وهب إل يحوز ملك سبأ».

ومن عهده: ـ

الباب البرونزي الموجود في الجامع الكبير بصنعاء

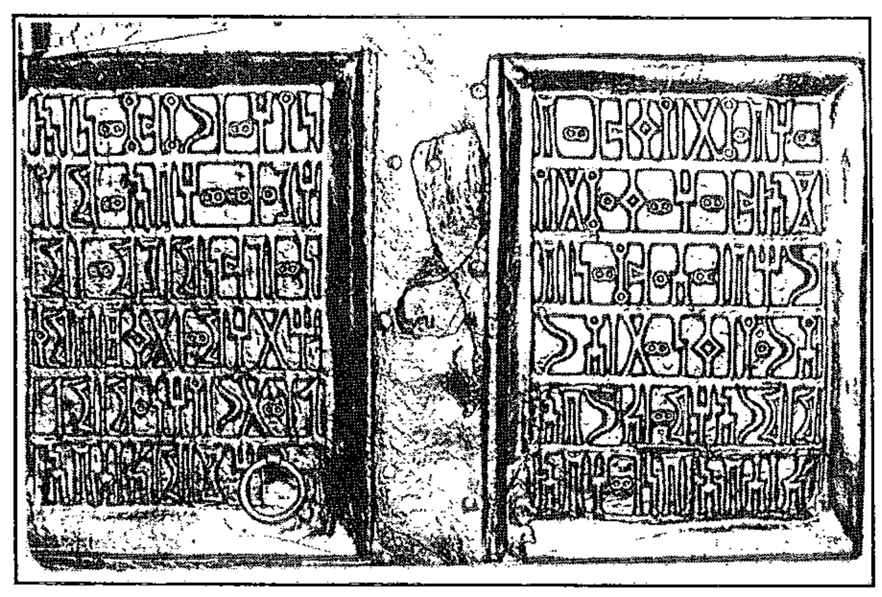
يوجد على يمين المحراب في الجامع الكبير بصنعاء باب سبئي مصنوع من البرونز، وفي وسط الباب البرونزي كتابة بحروف المسند، ونصها بالحروف العربية الحديثة كما يلي: ـ

«وهب عثت/ يفد/ وبنوه/ رثد ثوان أزاد/ وهوف يهشع/ ووهب أوم يرحب/ وسعد ثون/ بنو جدن/ شومعو/ مصرعى/ فنوت/ صرحتهمو/ تفض/ بمقام/ مراهمو/ كرب إل وتار يهنعم/ ملك سبأ/ بن وهب إل يحز/ ملك سبأ».

ومعنى ومحتوى ذلك النقش في الباب البرونزي هو أن: ـ

«وهب عثت يفد وأبناؤه رثد ثوان أزاد وهوف يهشع ووهب أوم يرحب وسعد ثون، بنو ذي جدن، صنعوا مصرعي فناء صرح قصرهم تفض، بمقام آمرهم كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ بن وهب إل يحوز ملك سبأ».

صورة الباب البرونزي السبئي الموجود في الجامع الكبير بصنعاء، وهو من عهد (كَرِب إل وتار يهنعم ملك سبأ بن وهب إل يحوز ملك سبأ) حفيد بلقيس ملكة سبأ



صورة النقش المسند في الباب السبئي البرونزي الموجود في الجامع الكبير بصنعاء،
ونصه أن «وهب عثت يفد/ وبنوه/ رثد ثوان أزاد/ وهوف يهشع/ ووهب أوم يرحب/ وسعد ثون/
بنو جدن/ شومعو (صنعو) مصرعي فناة صرح تفض/ بمقام آمرهم/ كَرِب إل وتار
يهنعم ملك سبأ/ بن وهب إل يحوز ملك سبأ». وهو حفيد بلقيس ملكة سبأ

ويتبين من ذلك أن الباب البرونزي الموجود على يمين المحراب في الجامع الكبير بصنعاء هو باب سبئي، كان باب فناء صرح قصر تفض بصنعاء، ويعود إلى عهد الملك كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ بن وهب إل يحوز ملك سبأ بن بَتَعْ، وهو حفيد بلقيس ملكة سبأ، وكان عهده في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد، وبالتالي فإن الباب البرونزي الموجود بالجامع الكبير بصنعاء يعود إلى ما قبل ألفين وثمانمائة وخمسين سنة شمسية، إلى عهد الملك كرب إل وتار يهنعم حفيد بلقيس ملكة سبأ.

ومن عهده أيضاً: ـ

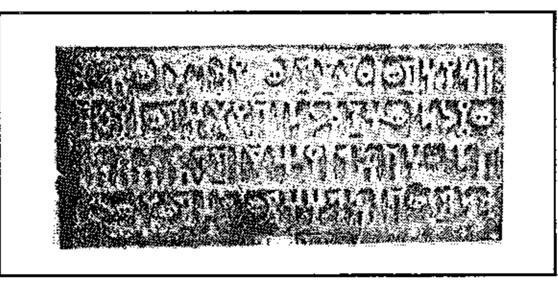
نقش متحف روما

وهو نقش مسند ـ تم العثور عليه في صنعاء ـ ويوجد حالياً بمتحف روما ـ في إيطاليا ـ وقد انكسر الطرف الأيمن من النقش، أما الجزء السليم من النقش المسند فمكتوب فيه بالمسند ما يلي نصه بالحروف العربية الحديثة: ـ

«......../ وبنيهو/ عزم/ وزيد/ ..../ وسعد/ ....../ وثروا/ وهشقرو/ بيتهم/ يفض/ ..../ بن وهب إل يحز/ ملك سبأ/ ..../ وبالههمو/ ذي سموى/ ....».

أي أن أصحاب النقش قاموا بتشييد (وثروا) وزينوا (هشقرو) قصرهم يفض بمقام آمرهم ....بن وهب إل يحوز ملك سبأ، وبعون إلههم ذي السموات».

وهذا أول نقش من نقوش المسند المعثور عليها ينطق بعبادة اللّه ذي سموات (ذي س م و ي) وهو دين التوحيد الحنيف الذي اعتنقته بلقيس ملكة سبأ، وقد صار ذلك الدين أحد الأديان الرئيسية في دولة سبأ، وبه كان يدين وهب إل يحوز ملك سبأ بن بَتَعْ ـ نجل الملكة بلقيس ـ وأنمار يُهأمن وكرب إل وتار يهنعم ملك سبأ بن وهب إل يحوز ملك سبأ بن بَتَعْ ـ حفيد الملكة بلقيس.



نقش مسند من عهد «. . .ابن وهب إل يحوز ملك سبأ بن بتع»
حفيد بلقيس ملكة سبأ. . وجاء في النقش ذكر عبادة اللّه ذي سموات
(ا ل ل هـ م/ ذي سموي) وهو دين التوحيد الحنيف
الذي آمنت به بلقيس

ومن عهده أيضاً: ـ

نقشان مسندان من محرم بلقيس

أحدهما: باسم الأقيال (بني عُثْكلان) ويذكر تقديمهم قرباناً إلى الإله (إلمقه) لأنه حقق آمالهم، ومن أجل أن يسعدهم الإله إلمقه «بالنعمة والعافية والطوالع السعيدة وبحظوة ورضا آمرهم كرب

إل وتار يهنعم ملك سبأ بن وهب إل يحوز ملك سبأ»(١).

وثانيهما: باسم القَيْل «نمرم بن ذي غيمان ـ من بني غيمان ـ أبعل قصر سَلْحِين، أقيال غيمان، والجنود الذين شايعوه من قبيلتهم غيمان، حيث قاموا بالمرابطة (بجزية جزيو) بمدينة مأرب لمدة ستة أشهر، بتكليف آمرهم كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ بن وهب إل يحوز ملك سبأ»(١).

وقد حدثت تلك المرابطة لأن الملك لم يكن في مدينة مأرب والقصر سَلْحِين وإنما كان في تلك الفترة في مدينة أخرى قد تكون مدينة صنعاء.

ولما حانت وفاة الملك (كرب إل وتار يهنعم بن وهب إل يحوز بن بَتَعْ) أسند الوصية بالمُلك بعده لابن أخيه بالتبني «علهان نهفان بن يارم أيمن» وقد ذكر نشوان الحميري الوصية بأنها «وصية علهان بن بَتَعْ إلى ابن أخيه». وذلك تمشيًا مع قول من نقل عنهم نشوان بأن «علهان ونهفان حكما بعد أبيهما الملك بَتَعْ» ولكن النقوش تتيح تصويب ذلك الالتباس ومعرفة أن اللذين حكما بعد الملك وهب إل بن بَتَعْ هما (أنمار يُهأمن) و (كرب إل وتار يهنعم) مع (يارم أيمن) ثم منفرداً، فتكون الوصية (من كرب إل وتار يهنعم) إلى ابن أخيه بالتبني (علهان نهفان بن يارم أيمن) حيث أوصى إليه ـ كما ذكر نشوان ـ قائلاً: ـ

«إني لم أخصك بالمُلك دون إبني أيمن لأجل أنك تزيد عليه في فضل أو تسبقه في نجدة، ولكنني أحببت أن أصل ما طوته الأيام من عمر أبيك دون ما بقي من عمري. وإني أوصيك بالكف عن المعصية، والإحسان إلى الرعية، فإذا أنعمت فأنعم، وإذا كويت داء العرّ فاحسم، وإذا أدَمَتْ المكايد فاحسم، وإذا غضبت فاكظم، وإذا أساء إليك من هو دونك فاحلم، وإذا سئلت مما في يديك فاكرم، وإذا أعنت الحرب فلا تغشها إلا عن مقدمات فإنها غيابة شر، لا تنجلي إلا بذهاب نفوس، فتوقّها أشد ما قدرت، فإذا حُملت عليها فلا يكن أمرك دونهم»(٢).

ثم تولى الحكم (علهان نهفان ملك سبأ بن يارم أيمن ملك سبأ) وقد تم العثور على العديد من نقوش عهده، وليس فيها ذكر لأي أحداث بمدينة صنعاء، ثم حكم بعده ابنه الملك شعرام أوتر باني سور صنعاء.

---

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ النقشان رقم ٥٦٣ و ٥٦٤.

(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص٥٨.

المبحث الرابع

بناء سور صنعاء وتعلية قصر غُمدان في عهد (شعرام أوتر ملك سبأ بن علهان نهفان)

قال لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني في الإكليل: «إن شعرام أوتر هو الذي وَصَل بنيان القصور وأحاط على صنعاء بحائط»[1].

وذكر الأستاذ مطهر الأرياني ما يلي: «حَرَصَ الهمداني على ذكر مشاركة شعرام أوتر في بنيان قصر غمدان أو الإضافة إليه فقال: وقد ذكرنا ما رواه محمد بن خالد القسري عن بناء إل شَرْح يَحضُب وشعرام أوتر لغُمدان»[2].

وذكر نشوان الحميري الملك شعرام أوتر بن علهان نهفان باسم (شهران بن نهفان) وقال: « . . . وأمر شهران بن نهفان ببناء ما حول ناعط من القصور وابتنى تلفم وأمر بتزبير أيامهم في حجارة القصور»[3].

وذلك الملك الذي بنى سور صنعاء الأقدم وأضاف إلى قصر غُمدان وأمر ببناء ما حول ناعط من القصور وابتنى قصر تلفم هو: ـ

«شعرام أوتر ملك سبأ بن علهان نهفان ملك سبأ بن يارم أيمن ملك سبأ بن أوسلة رفشان».

وقد تم العثور في محرم بلقيس بمأرب وفي ناعط وصنعاء على ١٧ نقشاً مسنداً من عهد شعرام أوتر، وكان قد اشترك في الحكم مع أبيه علهان نهفان حيث جاء ذكرهما في نقش مسند بصيغة:

«علهان نهفان وابنه شعرام أوتر ملكي سبأ وذي ريدان ابني يارم أيمن

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩ جـ٨.
(٢) مجلة دراسات يمنية ـ العدد الرابع ـ يوليو ١٩٨٠م.
(٣) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص٦٠.

ملك سبأ»[١] ويارم أيمن هو الذي كان ملكاً مع (كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ بن وهب إل يحوز ملك سبأ بن بَتَعْ) ثم حكم (علهان نهفان) وفيه قال أسعد الحميري كما جاء في الإكليل: ـ

وشمّر يُرْعش خير الملوك وعلهان نهفان قد أذكر

ثم تولى الحكم ـ بعد علهان نهفان ـ الملك شعرام أوتر، وكان من عظماء الملوك، فقد ذكرته النقوش بلقب (ملك سبأ) ثم بلقب (ملك سبأ وذي ريدان)، وذكرت النقوش انضواء حضرموت تحت حكمه، وتولت حكم حضرموت ومشارقها أخته الملكة (ملاك حلك ملكة حضرموت بنت علهان نهفان) كما جاء في النقش المسند رقم (١٣ كهالي) من عهد شعرام أوتر، وكذلك امتد حكمه شمالاً إلى أواسط الجزيرة العربية حيث يذكر نقش مسند من محرم بلقيس باسم القائد (أبكرب أحرس بن عليم) أنه (شايع آمره شعرام أوتر ملك سبأ وذي ريدان في حملة إلى قرية ذات كهلم/ على ربيعة ذي ثور ملك كندة وقحطان وأرباب مدينة قرية»[٢]. وقرية ذات كهلم هي المعروفة الآن باسم ألفاو في وادي الدواسر وكانت مركز حكم مناطق اليمامة ونجد، فانضوت مع أميرها (ربيعة ذي ثور) تحت لواء الملك شعرام أوتر. وكان عهد الملك شعرام أوتر في الفترة من ٣٤٨ ـ ٣٥٥ للتقويم السبئي والزمن الصحيح الموافق لذلك هو من ٨٧٢ ـ ٨٦٥ق.م. في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد، ويتطابق ذلك مع تحديد وترتيب الهمداني ونشوان الحميري لزمن شعرام أوتر وعلهان نهفان بأنه نجل الملك وهب إل بن بَتَعْ نجل بلقيس ملكة سبأ وبالتالي فإن عهد علهان نهفان وشعرام أوتر هو أواسط القرن التاسع قبل الميلاد.

ذكر قصر غُمدان في نقوش وأنباء شعرام أوتر وقيامه بتسوير صنعاء

وقد جاء ذكر قصر غُمدان في نقش مسند من عهد شعرام أوتر، ويدل ذلك على أهمية قصر غُمدان ومدينة صنعاء في عهده. وجاء ذكر قصر غُمدان في الإكليل بأن شعرام أوتر أضاف إليه.

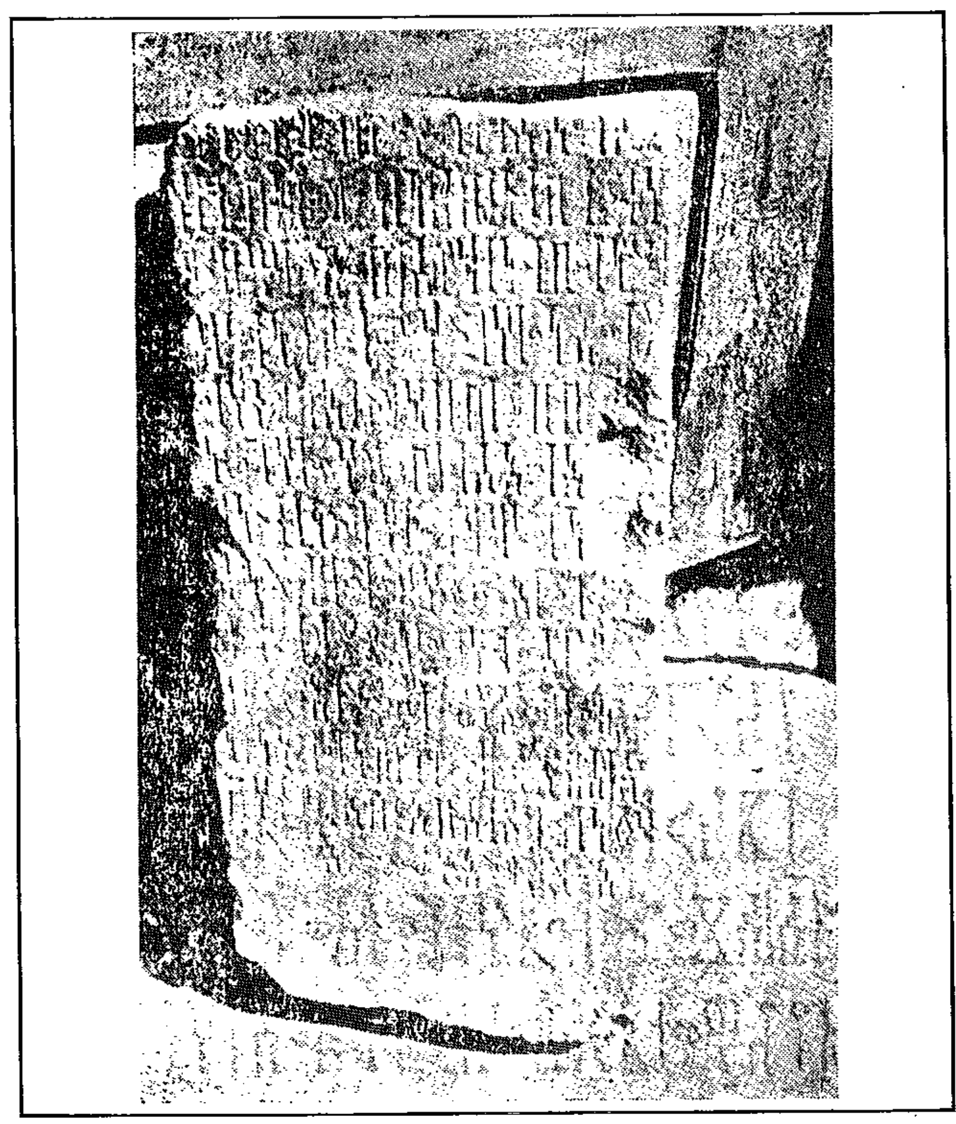
(١) في تأريخ اليمن ـ النقش رقم ١٠ كهالي ـ ص٦١.

(٢) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ النقش رقم ٦٣٥.

١

النقش المسند (رقم ١١ كهالي) من محرم بلقيس باسم الملك شعرام أوتر

وهو نقش طويل كتبه الملك (شعرام أوتر بنفسه) وجاء فيه ذكر قصر غُمدان، وفيما يلي صورة النقل الحرفي لذلك النقش بحروف المسند عن كتاب في تأريخ اليمن: ـ



نقش مسند باسم (شعرام أوتر ملك سبأ بن علهان نهفان ملك سبأ)

ذكر فيه (قصر غُمدان بصنعاء) ـ من محرم بلقيس/ مأرب ـ

والمنطوق الحرفي للنقش بالحروف العربية الحديثة هو

«شعرام/ أوتر/ ملك/ سبأ/ بن/ علهن/ نهفن/ ملك/ سبأ/ هقنى/ إلمقه/ بعل أوم/ صلمن/ حجن/ كتفلو/ بعم/ إلمقه/ بعل/ أوم/ لذت/ وقههو/ إلمقه/ بمسألهمو/ لشيم/ حربم/ بمحرمن/ ذأوم/ ووكبو/ ملأم/ لحيوم/ بن/ غثرين/ لحرب/ بين/ تعمتن/ بورخ/ ذأل ألت/ ذخرف/ وددإل/ بن/ حيوم/ بن كبر/ خلل/ خمس/ .

وأل/ حرب/ بهوت/ ورخن/ علن/ ذأل/ تفرع/ سلطم/ ويسرو/ سعد تألب/ بن/ دومن/ لحرب/ بهو/ بيوم/ ثمنيم/ ذفرع/ ورخ/ ذا بهى/ ذبذن/ خرفن/ وحرب/ بهو/ غدى/ لهمى/ يوم/ أربعم/ نفقحي/ وأل/ مهن/ مرايهمو/ إلمقه/ بصدغ/ هوت/ أيسن/ سعد تالب/ وتشريو/ إلمقه/ بمسألهو/ وكبو/ ملأم/ . . ذأل . . / حرب/ حربن/ بهوت/ ورخن/ ذألالأت/ وعلن/ وأل/ حرب/ حيوم/ حجن/ هوكب/ ملأم/ . . . عدى/ أوم/ لستيدعن/ وتضعن/ بعمهو/ . . . / سبأ/ حربن/ لحرب/ .

وراء/ كوقه/ إلمقه/ عبدهو/ شعرام/ أوتر/ ملك/ سبأ/ لهقنينو/ ذن/ صلمن/ . . تكرم/ لقبلى/ ذأل/ هوفيو/ كل/ ذسطر/ بذت/ هقنين/ وإلمقه/ بعل/ أوم/ فراء/ كصرى/ لمسألهو/ عبد هو/ شعرام/ أوتر/ ملك سبأ/ وبيتن/ سَلْحِين/ وغُمدن/ وادمهو/ سبأ/ وفيشن/ »(١) .

ومعنى ومحتوى النقش بالعربية الحديثة

إن شعرام أوتر ملك سبأ بن علهان نهفان ملك سبأ، أقْنى الإله إلمقه رب أوام صلماً حجناً لأنه كان قد تكفل ـ أو حلف ـ بالإله إلمقه، أن

(١) في تأريخ اليمن ـ النقش رقم ١١ كهالي ـ ص ٦٥ـ ٦٦.

يحارب حيوم بن غثربان في شهر (ذي أل) بخريف (ودد إل بن حيوم بن كبرخليل الخامس). فلم يشن الحرب بذلك التأريخ الذي صادف موسم (العلان = الحصاد) واكتفى بإرسال القائد سعد تالب بن دومان فحارب (حيوم) في اليوم الثامن من شهر (ذي أبهى) بنفس الخريف، واستمر يحارب إلى اليوم الرابع من شهر (ذي فقحي). . وبسبب تقصير شعرام أوتر ملك سبأ بعدم محاربة حيوم بن غثربان في الموعد الذي كان قد أقسم أن يحاربه فيه، فإن الملك شعرام أوتر ملك سبأ أقنى الإله إلمقه هذا الصلم تكفيراً عن القَسَم، وأتى الملك شعرام أوتر ومعه سادة قصر سَلْحِين وقصر غُمدان وكبار سبأ وفيشان إلى معبد إلمقه تكفيراً عن ذلك.

٢

ذكر إضافة شعرام أوتر إلى قصر غُمدان

وقد حفظ لنا علماء المؤرخين الأوائل أن الملك شعرام أوتر قام بالإضافة إلى بنيان قصر غُمدان الذي بناه الملك إل شَرْح يَحضُب، حيث قال الهمداني: «وقد ذكرنا ما رواه محمد بن خالد القسري عن بناء إل شَرْح يَحضُب وشعرام أوتر لغُمدان»[١]. وقال الهمداني: «وحدثني عمرو بن إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن الحضرمي عن أبيه عن جده: أن شعرام أوتر هو الذي وَصَلَ بنيان القصور وأحاط على صنعاء بحائط»[٢].

ومؤدى ذلك أن الملك شعرام أوتر قام بعمارة إضافية في قصر غُمدان بصنعاء، ويحتمل ذلك أحد أمرين: ـ

(١) محمد بن خالد القسري: أمير يمني، كان والياً للكوفة في بداية عصر الخلفاء العباسيين سنة ١٣٢هـ ثم كان والياً للمدينة المنورة سنة ١٤١ـ ١٤٥هـ في خلافة أبي جعفر المنصور، وكان المنصور يسميه (سيد اليمن).

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩ جـ٨.

أ ـ إما أن شعرام أوتر قام بتعلية قصر غُمدان، وقد سلف تبيين أن قصر غُمدان كان سبعة طوابق، فقام الملك (إل شَرْح يَحضُب) بتعلية القصر عشرين طابقاً. وذلك يوحي بأن القصر صار ٢٧ طابقاً في عهد (إل شَرْح يَحضُب) ما لم فإنه كان في عهده عشرين طابقاً، وصار (٢٧) طابقاً في عهد شعرام أوتر.

ب ـ وإما أن شعرام أوتر قام ببناء قصور ومساكن بجوار قصر غُمدان بحيث صار غُمدان منذ عهده مجموعة قصور ومباني يجمعها فناء واحد، كما سلف التبيين.

٣

بناء شعرام أوتر لسور صنعاء.. ومعالم تأريخ سور صنعاء

وقد جاء في الإكليل «أن شعرام أوتر.. أحاط على صنعاء بحائط»[١]. ويتبين من ذلك أن تأريخ سور مدينة صنعاء يعود إلى عهد شعرام أوتر ملك سبأ بن علهان نهفان ملك سبأ ـ في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد ـ ويعزز ذلك أن الدراسات الأثرية لسور صنعاء قد توصلت إلى أن بعض أجزاء السور الأقدم لمدينة صنعاء يعود إلى العصر السبئي، وبالذات في السور الشرقي لصنعاء الواقع بين باب شعوب وقصر السلاح حيث كان قصر غُمدان، فعودة بعض أجزاء السور الشرقي إلى العصر السبئي يعني أن السور كان موجوداً من القرن التاسع ق.م. إلى القرن الثاني الميلادي ثم في العصر الحميري بالقرن الثالث إلى القرن السادس الميلادي، ويعزز ذلك أن السور كان موجوداً في فجر الإسلام بالقرن السابع الميلادي، فقد ذكر البلاذري في أنباء الصحابي قيس بن مكشوح المرادي أنه «عَلَا قيس بن مكشوح سور صنعاء فقال: اللَّه أكبر اللَّه أكبر.. وخرج أصحاب قيس ففتحوا الأبواب»[٢]. وكان السور

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩ جـ٨.
(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص١١٤.

موجوداً بعد ذلك، فعندما حاصر الملك الثائر علي بن الفضل الحميري مدينة صنعاء وكانت بيد عمال بني العباس، تمركز علي بن الفضل في موقع غُمدان بأعالي صنعاء وكانت صنعاء مسورة وكان مهلب الشهابي وبنو شهاب في صنعاء مؤازرين لعلي بن الفضل ففتحوا له الباب المسمى (باب الشهابيين) فدخل علي بن الفضل وجيشه صنعاء وملكوها وذلك عام ٢٩٣ هـ الموافق سنة ٩٠٦م وفي ذلك قال الشاعر: ـ

أدخلـه مُهلّب الشهابي ليلاً من الباب بلا ارتياب

ويتبين من ذلك أن السور السبئي الحميري لمدينة صنعاء كان موجوداً منذ عهد شعرام أوتر ملك سبأ في القرن التاسع قبل الميلاد إلى عهد علي بن الفضل الحميري في القرن العاشر بعد الميلاد، ثم تهدم في بعض الحروب والفتن التي وقعت بعد ذلك.

ثم أعاد بناء سور صنعاء الملك علي بن محمد الصليحي ملك اليمن (وكان عهده من عام ٤٣٩ ـ ٤٥٩ هـ الموافق ١٠٤٦ ـ ١٠٦٩ م) في القرن الحادي عشر الميلادي، حيث كما ذكر ابن المجاور «أدار سور صنعاء الملك الأغر علي بن محمد الصليحي بالحجر والجصّ، وركّب عليه سبعة أبواب: باب غُمدان، وباب دمشق ـ ينفذ إلى مكة ـ وباب السِبحة ينفذ إلى محلة السبحة، وباب خندق الأعلى يدخل منه السيل، وباب خندق الأسفل يخرج منه السيل، وباب النصر ينفذ إلى جبل نُقم، وباب شرعة ينفذ إلى بستان السر»[1]. وباب السبحة هو باب السَبَح، وباب شرعة هو باب شعوب، وباب دمشق لعله الذي سُمّي فيما بعد باب الروم لأنه ينفذ إلى جهات مكة والشام وبلاد الروم أي جهة الشام، وقد استمر عصر الدولة الصليحية إلى عام ٥٦٨ هـ الموافق ١١٧٢م ـ في القرن الثاني عشر الميلادي. ثم لما انضوت صنعاء في إطار الدولة الأيوبية قام سيف الإسلام طغتكين بن أيوب شقيق صلاح الدين الأيوبي بالبناء في سور صنعاء في عهد ولايته لليمن عام ٥٧٩ ـ ٥٩٣ هـ، وكان سور

---

(١) تأريخ المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص١٧٩.

صنعاء موجوداً في عهد الملك المنصور عمر بن علي بن رسول الغساني ملك اليمن (٦٢٦ ـ ٦٤٧ هـ/ ١٢٢٩ ـ ١٢٤٩ م) الذي قام ابن أخيه بدر الدين حسن بن علي بن رسول الغساني ببناء قصر عظيم الهيكل في موضع أطلال قصر غُمدان ـ وهو قصر السلاح بصنعاء حالياً ـ ويتبين من مجمل ذلك أن تأريخ سور صنعاء يمتد من زمن شعرام أوتر ملك سبأ في القرن التاسع قبل الميلاد إلى عصر دولة بني رسول اليمنية الغسانية في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر بعد الميلاد، وما تزال أجزاء من سور صنعاء القديم باقية حتى اليوم في القرن الحادي والعشرين الميلادي.

٤

بناء قصور ناعط في عهد شعرام أوتر

وفي عهد شعرام أوتر تم بناء مدينة ناعط وقصورها وبناء قصر تُلفُم، حيث كما ذكر نشوان الحميري «أمر الملك شهران ـ (وهو شعرام أوتر) ـ ببناء ما حول ناعط من القصور وابتنى تُلفُم»[١].

وقد أسند (شعرام أوتر) بناء قصور ناعط إلى (ناعط بن سفيان) وباسمه سميت مدينة ناعط، وقد ذكر الهمداني في الإكليل أنه: ـ

«أولد ذو بَتَعْ: أسنع يمتنع، وأنوف ذا همدان، وشمس الصغرى. أُمهم الملكة بلقيس.. فأولد أسنع يمتنع: سفيان، فأولد سفيان ثوراً وهو ناعط»[٢].

وكذلك ذكر الهمداني قول البعض أنه «ناعط بن سفيان بن علهان نهفان بن أسنع يمتنع بن ذي بَتَعْ ـ زوج الملكة بلقيس ـ»[٢].

ويتفق القولان في أن ناعط بن سفيان في الجيل الثالث بعد

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص٦٠.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٤ جـ١٠.

الملكة بلقيس، وقد جاء في القول الثاني أن «علهان نهفان ابن أسنع يمتنع بن ذي بَتَعْ. ووالدة أسنع يمتنع هي الملكة بلقيس». ويتبين من النقوش أن أصل ذلك الالتباس هو أن (يارم أيمن وابنه علهان نهفان) صارا من (بني بَتَعْ) بسبب التبني لهما من (وهب إل يحوز ملك سبأ بن بَتَعْ) ـ نجل الملكة بلقيس ـ. وبالتالي فإن (سفيان بن أسنع يمتنع بن بَتَعْ) ـ حفيد بلقيس ـ هو من جيل (علهان نهفان بن يارم أيمن)، فيكون (ناعط بن سفيان بن أسنع يمتنع بن بتع) ـ من جيل (شعرام أوتر بن علهان نهفان) وذلك يؤكد أن زمن شعرام أوتر هو في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد. وكان (ناعط بن سفيان) قَيْلاً ـ أميراً ـ على مناطق ناعط وما جاورها من بلاد عمران وحاشد في عهد (شعرام أوتر) فأمره ببناء ناعط وقصورها ـ أو بناء ما حول ناعط من القصور ـ فقام ناعط بن سفيان ببنائها وسميت ناعط باسمه، فكانت ناعط وقصورها من مدن اليمن الشامخة ومقرًا للأذواء نواب الملوك إلى نهاية عصر الدولة الحميرية، وبقيت أطلال ناعط عظيمة وشامخة إلى أيام الحسن الهمداني في القرن الرابع الهجري حيث قال الحسن الهمداني في الإكليل: ـ

«قد نظرت بقايا مآثر اليمن وقصورها سوى غُمدان فإنه لم يبق منه سوى قطعة من أسفل جدار، فلم أر مثل ناعط ومأرب وضهر، ولناعط الفضل، وهي مصنعة بيضاء مدوّرة منقطعة في رأس جبل ثنين، وهو أحد جبال البون، وهو جبل مرتفع مقابل لقصر تُلفُم.. فمن قصور ناعط قصر المملكة الكبير الذي يُسمّى يعرق، ومنها قصر ذي لعوة المكعّب، وذلك لكعاب خارجة في معازب حجارته على هيئة الدرق الصغار، وذرعت في معزب منه سبعة أذرع إلا ثلثاً بالذراع التامة، وبها سوى القصرين ما يزيد على عشرين قصراً كباراً سوى أماكن الحاشية، وكان عليها سور ملاحك بالصخر المنحوت، وما فيها قصر إلا وتحته كريف للماء مجوف في الصفا مصهرج فما ينزل من السطح ابتلعته، وفيها الأسطوانات (أي الأعمدة) العظيمات طول كل واحد منها نيف وعشرون ذراعاً مربعة ولا يحضن الواحدة منها إلا

رجلان، وفيها بقايا مسامير من حديد، قيل إنها كانت مراقي إلى رؤوسها، وأنه كان يُثقب عليها الشمع فتُنظر حُمرة النار من جبل سفيان الذي يشفي على عيان. ومن جبل حضور، ورأس مُدّع، وجبل ذُخار، وظاهر خرفان(١). وفي ناعط قال الهمداني على حد الخبرة بها ومشاهدته لأطلالها: ــ

فَمَن يكُ ذا جهل بأيام حِمْيَر ... وآثارها في الأرض فليأت نَاعِطَا
يجد عمداً تعلو القنا مرمرية ... وكرسي رخام حوله وبلَائطَا
ملاحكها لا ينفذ الماء بينها ... ومبهومة مثل القراح خرائطا
على كُرُفٍ من تحتها ومصانع ... لها بسقوف السطح ليست وقائطا
تخال حنين الريح في نزعاتها ... إذا اخترقت بين الزئير برابطا
كأن رفعت عنها البناة أكُفّها ... بأول يوم قَبْل أمْسِكَ فارطا
ترى كل تمثال عليها وصورة ... سباعاً ووحشاً في الصفاح خلائطا
بجانب ما تنفك تنظر قابضاً ... لإحدى يديه في الجبال وباسطا
ومستفعاتٍ من عقابٍ وأجدل ... على أرنب أو ذي فراخ وقامطا
وسرب ظباء قد نَهَلْنَ لمحنقٍ ... وغضف ضراء قد تطلقن باسطا
وذا عقدة بين الجياد مُواكباً ... وساميّ هادٍ للركاب مواخطا(٢)

وقال علقمة بن ذي جدن يذكر الأميرة لميس بنت الملك أسعد: ــ

ولميسُ كانت في ذؤابة ناعطٍ ... يجبي إليها الخرج صاحب بربر

وفي عُرّ القَيْل من جبل ناعط مقابر الملوك وقبر لميس في خراب فيه عميقة»(٣).

---

(١) جبل حضور: جبل منيف يقال إنه أرفع جبل باليمن. رأس جبل مدع وهو قلعة شماء تطل على مدينة ثلا. وجبل ذخار: هو الجبل الذي فيه حصن كوكبان.

(٢) الإكليل: ص٣٤ جـ٨.

(٣) وكانت ناعط من أعمال محافظة صنعاء وتم نقل بعض أعمدتها إلى قبة المتوكل بصنعاء وعمودين بمدرسة الوحدة بصنعاء.

٥

نقش مسند من عهد شعرام أوتر بمتحف صنعاء

ويوجد في المتحف الوطني بصنعاء نقش بحروف المسند من عهد الملك شعرام أوتر وهو التالي صورته:

نقش مسند من عهد الملك شعرام أوتر ـ المتحف الوطني بصنعاء ـ

ومنطوق هذا النقش بالحروف العربية الحديثة هو كما يلي: ـ

«وأسد/ . . . . . بعمهو/ . . . . . . / هجر/ عبدان/ بكن/ نعمو/ أبعل/ هجرن/ عبدان/ خيس/ بعبر/ حضرموت/ وصنع/ هجرهمو/ وحمد/ رببّم/ بذي خمر/ إلمقه/ عـ. . . . . / . . . . . . أ/ وأسد/ بعمهو/ هجرن/ عبدان/ وحملو/ هجرن/ قربم/ وهبعلو/ أوثقهمو/ .

ولوزاء/ إلمقه/ سعدهمو/ نعمتم/ وحظى/ ورضو/ مرأهمو/ شعرم/ أوتر/ ملك/ سبأ/ وذي ريدان/ بن/ علهان/ نهفان/ ملك/ سبأ/ بالمقه/ بعل/ أوم/ ومراهمو/ شعرم/ أوتر/» ـ (انتهى).

ومحتوى ومعنى النقش بالعربية الحديثة: ـ

«إن القائد (ربب) وفرسان (أُسد) معه، توجهوا إلى مدينة (هجرن) عبدان، حينما قام سادة مدينة عبدان بالخيس؟ نحو أو ضد حضرموت. ولقد (صنع) مدينتهم، وحمد القائد (ربب) الإله ـ إلمقه ـ بما غمره به مع جنوده في مدينة عبدان عندما رابطوا فيها وأوثقوا (المطلوبين/ هبعلوا؟).

ولأجل أن يستمر الإله إلمقه بإسعادهم بنعمة وحظوة ورضا آمرهم شعرام أوتر ملك سبأ وذي ريدان بن علهان نهفان ملك سبأ. بالإله إلمقه رب الكون، وبآمرهم شعرام أوتر».

وتقع مدينة عبدان (هجر عبدان) التي توجه إليها القائد ربب وفرسانه في وادي عبدان بمحافظة شبوة حالياً. وقد أصبحت مدينة عبدان مقر القصر يزن والأذواء اليزنيين الحميريين، وقد تكرر في هذا النقش وغيره من النقوش ذكر الإله (إل مقه) ويرى بعض المستشرقين أنه القمر ولا يوجد أي دليل على ذلك، والصحيح أن «إل مقه» بمعنى (إله مقه) وقد يعني (إله النجوم)، فقد ذكر الهمداني في سرائر الحكمة أنهم كانوا يسمّون «. . القمر: هبس، والنجوم: الامقه، والواحد منها المق»[١]. وقد جاء في النقوش ذكر (هبس) وهو القمر، وذلك يؤكد أن «إل مقه» هو (إله النجوم) وهو (بعل أوام) ومعنى بعل (رب)، وكانت عبادة (إل مقه) العقيدة الرئيسية إلى عصر أبي كرب أسعد الكامل.

---

(١) سرائر الحكمة ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٤٣.

صنعاء في عصر أبي كَرِب أسعد إلى عصر أسعد تُبَّع بن حسان

كان لمدينة صنعاء أهمية كبيرة في عصر الملك أبي كَرِب أسعد بن ملكيكرب ملك سبأ وهو تُبّع المذكور في القرآن الكريم، كما كان لصنعاء أهمية أكبر وكانت عاصمة اليمن في عصر الملك الحميري أسعد تُبع بن حسان، وبما أن اسم الملكين كليهما كان أسعد فقد وقع إلتباس في تأريخهما وأخبارهما، ولذلك لا بد من التمييز بين الملكين والعصرين.

المبحث الأول

عصر أبي كرب أسعد.. تُبّع المذكور في القرآن

هو أبو كرب أسعد بن ملكيكرب يُهأمن وهو أعظم ملوك اليمن التبابعة في عصور دولة سبأ. وقد تم العثور في صنعاء على نقش مسند باسم ومن عهد (أبي كرب أسعد) وهو النقش رقم (١٠/ لوندين) ورقم (١٢٤/ ROSS) ورقم (٥٢٠/JO) ويقول د. بيوتروفسكي: «إن نقش صنعاء يذكر أسعد وسبعة مساعدين له في الحكم»[1].

كما تم العثور على عدة نقوش في ظفار ومأرب وقتبان وريدة ووادي ضهر وماسل الجمح، ومنهما نقشان مؤرخان بالتقويم السبئي، أولهما: نقش من ظفار ينص على أن: ـ

«ملكيكرب يُهأمن وابنيه أبي كرب أسعد وذرا أمر أيمن ملوك سبأ

(١) ملحمة أسعد الكامل ـ د. ميخائيل بيوتروفسكي ـ ص٤٠.

وذي ريدان وحضرموت ويمانت/ بنوا قصر كلعان بمقام سيد السماء (م را/ س م ي ن) بخريف ثلاثة وتسعين وأربعمائة)[١]. ـ أي في عام ٤٩٣ للتقويم السبئي.

وثانيهما: نقش من ريدة يذكر أن القَيْل «مرثد الن يارم بن همدان» قام بأعمال عمرانية بعون سيد السماء والأرض «م را/س م ي ن/ وارضن» ويسأل منه أن يهب السلامة والهناء لآمريه «أبي كرب أسعد وأبنائه.. ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودم وتهامت» وأرخه «بخريف ثلاثة وأربعين وخمسمائة»[٢]. وبالتالي فإن بين النقشين خمسين سنة، لأن أولهما مؤرخ بعام ٤٩٣ والأخير مؤرخ بعام ٥٤٣ للتقويم المؤرخة به نقوش ملوك سبأ التبابعة، وبين ذينك العامين كان عهد أبي كرب أسعد وقد حكم بعده ابنه (حسان) ثم أخوه (شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد). وقد تم العثور على نقش مسند من عهده في مأرب يُسجل قيامه بتجديد منشآت وقنوات سد مأرب العظيم (العرم) بعون «وبردء اللّه (ال ن) رب السماء والأرض». وتم إنجاز العمل في (خريف خمسة وستين وخمسمائة»[٣]. ـ أي في عام ٥٦٥ للتقويم ـ كما تم العثور على نقش مسند من عهده يُسجل تشييد قصر (هرجم) أو (هرجام) وإتمام تجديد وتحسين قنوات ومصارف ومنشآت سد مأرب (العرم) وذلك ـ كما يقول النقش ـ «بنصر وعون ومقام سيدهم الرحمن رب السماء والأرض/ وبقوة وردء شعوب وأخماس سبأ وحمير وحضرموت ويمانت/ في خريف اثنين وسبعين وخمسمائة»[٤] ـ أي في سنة ٥٧٢ للتقويم السبئي ـ وتتبين من النقوش والآثار ومما ذكره علماء المؤرخين العرب الأوائل المعارف والحقائق الرئيسية التالية عن أبي كرب أسعد وعصره التليد: ـ

ـ إن أبا كرب أسعد بن ملكيكرب من ملوك سبأ التبابعة وليس من ملوك الدولة الحميرية فهو ـ كما في نقوش المسند ـ «ملك سبأ وذي

---

(١) النقش رقم ٢ بيت الأشول.
(٢) النقش رقم (RY534).
(٣) نقش شرحبيل بن أبي كرب أسعد ـ رقم ٤ فخري ـ ورقم C.I.H.540.
(٤) نقش قصر هرجم ـ رقم ٥٧٣ جاريبني.

ريدان وحضرموت ويُمانت وأعرابهم بالطود وتهامت». وهذا اللقب يبدأ بأنه (ملك سبأ) لأن الأصل في اللقب هو (ملك سبأ) وكان حكمه يشمل كل أرجاء اليمن الطبيعية ويمتد إلى شرق ووسط وشمال الجزيرة، والذي يهمنا هنا هو أن أبا كرب أسعد كان ملك سبأ وكان من ملوك سبأ التبابعة كما تنطق بذلك النقوش، ويتفق ذلك مع ما ذكره علماء المؤرخين العرب الأوائل، وقد قال ابن كثير في تفسير القرآن الكريم في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: ٣٧] ما يلي: «قوم تُبَّع هم سبأ»[١]. وجاء في صفوة التفاسير أن قول اللّه تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾: «إستفهام إنكار مع التهديد، أي أهؤلاء المشركون أقوى وأشدُّ أم أهل سبأ ملوك اليمن الذين كانوا أكثر أموالاً وأعظم نعيماً من كفار مكة»[٢]. وقال القرطبي في تفسير أحكام القرآن في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾. ما يلي: «إن اللّه سبحانه وتعالى إنما أراد واحداً من التبابعة ملوك اليمن.. وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم أشدّ من معرفة غيره، ولذلك قال النبي ﷺ: «لا تسبّوا تُبّعاً فإنه كان مؤمناً» فهذا يدل على أنه كان واحداً بعينه وهو أبو كرب أسعد الذي كسا البيت.. وكان من اليوم الذي مات فيه تُبّع إلى اليوم الذي بُعث فيه النبي ﷺ ألف سنة. وقد أُختُلِف هل كان تُبّع نبياً أو ملكاً، فقال ابن عباس: كان تُبّع نبياً، وقال كعب: كان ملكاً مؤمناً.. (قال القرطبي): وقد افتخر أهل اليمن بهذه الآية إذْ جعل اللّه قوم تُبّع خير من قريش». ـ انتهى ـ[٣].

ـ وغني عن البيان أن عدد ملوك اليمن التبابعة سبعون ملكاً تُبّعاً، وقد كانت غالبيتهم من ملوك دولة سبأ التليدة حيث كان ملوك سبأ التبابعة زهاء خمسة وخمسين ملكاً تُبّعاً، ثم كان زهاء خمسة عشر من التبابعة في عصر الدولة الحميرية، فجميعهم سبعون ملكاً تُبّعاً. قال النعمان بن بشير الأنصاري: ـ

لنا من بني قَحْطان سبعون تُبَّعاً دانت لهم بالخرج منها الأعاجم

(١) تفسير القرآن لابن كثير ـ سورة الدخان.
(٢) صفوة التفاسير ـ محمد علي الصابوني ـ ص١٧٦ جـ٣.
(٣) تفسير أحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص ١٤٤ـ ١٤٦/ ٣.

وقال نشوان الحميري في شمس العلوم: «.. وهُم سبعون تُبّعاً.. وكان تُبّع الأوسط مؤمناً، وهو أسعد تُبّع الكامل ابن ملكي كَرِب الذي قال اللّه تعالى فيه: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾، ويُقال: إنه كان نبيّاً مُرسلاً.. والدليل على ذلك أن اللّه تعالى ذكره عند ذكر الأنبياء فقال: ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤] ولم يُعلم أنه أُرسل إلى قوم تُبَّع رسولُ غير تُبّع، وهو الذي نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن سبّه لأنه آمن به قبل ظهوره بسبعمائة عام وليس ذلك إلّا بوحيّ من اللّه عزّ وجل»[١]. وقد سلف قول القرطبي: «كان من اليوم الذي مات فيه أسعد تُبّع إلى اليوم الذي بُعث فيه النبي محمد ﷺ ألف سنة»[٢]. فقول نشوان وكذلك المسعودي في مروج الذهب بأن أبا كَرِب أسعد آمن وبشَّر بالنبي محمد ﷺ قبل سبعمائة عام، فإن أصل ذلك قبل المسيح بسبعمائة سنة ـ أو (قبل ظهور المسيح بسبعمائة عام) ـ ويؤكد ذلك قول الحسن الهمداني في الإكليل أن: «أيام بُخت نصَّر.. في عهد أسعد تُبّع وفي أيام حسان بن أسعد»[٣]. وبُخت نصَّر هو (نبوخذ نصّر ملك بابل) في القرن السابع قبل الميلاد، فذلك القرن السابع قبل الميلاد هو الزمن الصحيح لأبي كَرِب أسعد وهو من ملوك دولة سبأ التبابعة كما ذكر ذلك علماء المؤرخين العرب الأوائل وكما تؤكد ذلك النقوش.

ـ أما المستشرقون ومناهجهم المدرسية الشائعة فإن ما جاء في كتاب (الموسوعة اليمنية) هو في الواقع ما شاع في كتابات المستشرقين، ومن المفيد ذكر ذلك والردّ عليه بما يتيح للقارىء إدراك النبأ اليقين، فقد جاء في الموسوعة بعنوان (أسعد الكامل) ما يلي: «هو (أبي كَرِب أسعد بن ملكي كَرِب يُهأمِن ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم في طود وتهامة)، حكم اليمن في أواخر القرن الرابع الميلادي وأوائل القرن الخامس. وهو من ملوك حمير المشهورين الذين عرفوا بالتبابعة.. وربما جاوزت فترة حكمه خمسين عاماً.. ويُروى أنه مَرَّ بيثرب واقتتل مع أهلها

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص٢١٤ جـ١.
(٢) تفسير أحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص ١٤٤ـ ١٤٦/ ٣.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠١ جـ٨.

فخرج إليه حبران من اليهود ونهياه عن قتالها لأنها دار هجرة نبي يأتي آخر الزمان، فكفَّ عن ذلك وأخذهما معه واعتنق اليهودية. ويذكر أهل الأخبار أنه مات موحّداً بعد أن قتله قومه لأنه أتعبهم بالغزو.. ويُعتبر عهد أبي كَرِب أسعد أوج امتداد رقعة الدولة الحميرية، إذْ كان أبرز من حمل اللقب الملكي الطويل بين ملوك حمير»[١].

ويتبين من ذلك وجود اختلاف كبير بين ما ذكرناه استناداً إلى علماء المؤرخين العرب الأوائل وإلى النقوش والآثار، وبين ما جاء في الكتاب المسمّى (الموسوعة اليمنية) والذي يُمثل في الواقع رأي علماء من المستشرقين والأكاديميين وهو رأي قد شاع في المناهج الدراسية والجامعية وليس في الموسوعة فقط دون ذكر ما يمكن اعتباره على الأقل وجود قول آخر عن ذلك، وهو ما يتنافى مع أمانة البحث العلمي التأريخي الذي يستوجب ذكر القولين وترجيح أيٍّ منهما بالأدلة والقرائن أو تقديم أدلة كل منهما، وبصفة خاصة أن الاختلاف ليس يسيراً، ونذكر هنا بصفة خاصة النقاط التالية: ـ

١ ـ لقد ذكر علماء المؤرخين العرب الأوائل أن أبا كَرِب أسعد بن ملكي كَرِب من ملوك دولة سبأ التبابعة، وأنه تُبّع المقصود في قول اللّه تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ قال ابن كثير: «وقوم تُبّع هم سبأ» وجاء في صفوة التفاسير أنهم «أهل سبأ ملوك اليمن». بينما جاء في الموسوعة أن أبا كَرِب أسعد «من ملوك حمير» وأنه «يُعتبر عهد أبي كَرِب أسعد أوج امتداد رقعة الدولة الحميرية». وهذا يعني وجود قولين أحدهما: أن أبا كَرِب أسعد من ملوك سبأ، وثانيهما: أنه من ملوك الدولة الحميرية، والذي يرجح أحد القولين هو النقوش الأثرية، حيث تنطق النقوش بأنه «أبو كَرِب أسعد ملك سبأ» ـ وليس ملك حِمْيَر ـ فالدولة هي (سبأ)، وبالتالي ليس صحيحاً ما أشاعه بعض المستشرقين في المناهج وما جاء في الموسوعة بأن أبا كَرِب أسعد من ملوك الدولة الحميرية، وإنما الصحيح أنه من ملوك دولة سبأ التبابعة. وقد جاء في الموسوعة أنه «كان أبرز من حمل اللقب الملكي الطويل

---

(١) الموسوعة اليمنية ـ مؤسسة العفيف الثقافية ـ ص١٠٤/ ١.

بين ملوك حمير» بينما الصحيح الذي في النقوش الأثرية أنه (كان أبرز من حمل اللقب الملكي الطويل بين ملوك سبأ) وهو لقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويُمانت وأعراب الطود وتهامت». وذلك كناية عن تعديل التقسيم الإداري الداخلي لدولة سبأ، فقد كان الأصل في اللقب هو (ملك سبأ). وقد حمل أوائل ملوك سبأ التبابعة في النقوش لقب (ملك سبأ) فقط وكان حكمهم يشمل كل أرجاء اليمن بمدلوله الواسع القديم، ثم أصبح اللقب الملكي في النقوش (ملك سبأ وذي ريدان) كناية عن التقسيم الإداري للبلاد إلى قسمين كبيرين (سبأ وذي ريدان) وذلك في إطار الدولة المركزية (سبأ). وكانت حضرموت ويُمانت جزءاً من قسم (ذي ريدان) ثم جرى تعديل التقسيم الإداري إلى أربعة أقسام فأصبح لقب ملوك سبأ التبابعة في النقوش «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويُمانت». وقد دلت النقوش والدراسات على أن منطقة «يُمانت هي: المنطقة الممتدة جنوب وشرق حضرموت وهي الشِّحر والمهرة إلى مفاوز عُمان». ثم أضاف الملك أبو كَرِب أسعد إلى اللقب الملكي في النقوش عبارة «وأعرابهم طود وتهامت» أي «وأعراب الطود وتهامة» فكان أول من حمل ذلك اللقب الملكي الطويل في النقوش من ملوك سبأ. فابتدأ اللقب في سائر تلك العصور بـ «ملك سبأ» يؤكد أن الدولة هي سبأ وأن الأصل في اللقب هو ملك سبأ.

٢ ـ وقد جاء في الموسوعة أن أبا كَرِب أسعد «حكم اليمن في أواخر القرن الرابع الميلادي وأوائل القرن الخامس الميلادي، وربما جاوزت فترة حكمه خمسين عاماً» [ص ١٠٤/ ١] ـ أي أنه كان في القرن الخامس بعد الميلاد.

بينما ذكر علماء المؤرخين العرب الأوائل أن أبا كَرِب أسعد حكم اليمن في القرن السابع قبل الميلاد، أي قبل أكثر من ألف سنة من الزمن الذي جاء في الموسوعة وأقوال بعض المستشرقين، وهو فارق زمني هائل قد يجيز الظن بأن هناك إسقاط شبه متعمد لأكثر من ألف سنة من تأريخ اليمن الحضاري التليد، أو محاولة لإسدال الستار على أهم العصور

الحضارية في تأريخ اليمن والأمة العربية، وبصفة خاصة في حالة تجاهل وإخفاء ما ذكره علماء المؤرخين العرب الأوائل عن زمن أبي كَرِب أسعد والاكتفاء بقول بعض المستشرقين كأنّه حقيقة مفروغ من بحثها والاستدلال عليها بينما هو مجرد افتراض واستنتاج وسط ملابسات أكيدة، فما جاء في الموسوعة من أن أبا كَرِب أسعد حكم اليمن في القرن الخامس الميلادي إنما هو رأي وقول بعض المستشرقين والأكاديميين، وللموسوعة والمناهج أن تذكر ذلك الرأي والقول ولكن من واجبها أيضاً عدم إخفاء ما ذكره العلماء من المؤرخين العرب وما تدل عليه النقوش والآثار: ـ

أ ـ فقد ذكر العلامة المؤرخ الحسن بن أحمد الهمداني في الإكليل أن بخت نصَّر ملك بابل كان في عهد أبي كَرِب أسعد تُبّع وفي أيام حسان بن أسعد [ص١٠١/٨] ـ الإكليل]. وقد دلت الدراسات والنقوش على أن بخت نصَّر وهو (نبوخذ نصّر ملك بابل) اشترك في الحكم مع أبيه (نبو بولاصر عام ٦٢٧ ـ ٦٠٥ق.م.) ثم تولى حكم بابل بعد أبيه عام ٦٠٤ قبل الميلاد» أي أن حكم نبوخذ نصر كان في القرن السابع قبل ميلاد المسيح، وبالتالي فإن عصر أبي كَرِب أسعد وأولاده كان في القرن السابع قبل الميلاد.

ب ـ وقد ذكر العلامة القرطبي في تفسير القرآن الكريم أنه: «كان من اليوم الذي مات فيه تُبّع إلى اليوم الذي بُعث فيه النبي محمد ﷺ ألف سنة» [ص ١٤٦/٣] وبما أن البعثة النبوية كانت سنة (٦١٠ ميلادية) فإن مؤدى ذلك أن أبا كَرِب أسعد تُبّع مات سنة ٣٩٠ قبل ميلاد المسيح، وذلك تأسيساً على ما ذكره أيضاً الهمداني في الإكليل عن بعض الرواة من أنه «عاش أبو كَرِب أسعد تُبّع ثلاثمائة وإحدى وخمسين سنة، وكان مُلكه ثلاثمائة وست وعشرين سنة». [ص ٢٢٠ جـ ٨] ـ بينما الصواب الذي تدل عليه النقوش أنه عاش إحدى وخمسين سنة وليس (ثلاثمائة وإحدى وخمسين سنة) وبالتالي فإن عهده كان قبل البعثة النبوية بألف وثلاثمائة سنة، أي في القرن السابع قبل الميلاد، ويتطابق ذلك مع ما جاء في الإكليل بأن نبوخذ نصر ملك بابل كان في عهد أسعد تُبَّع وأولاده، وأن ذلك في القرن السابع قبل الميلاد.

جـ ـ وتؤكد نقوش المسند أن أبا كَرِب أسعد بن ملكي كَرِب وأولاده من ملوك سبأ التبابعة، وبالتالي فإن نقوشهم مؤرخة بالتقويم السبئي، فنقش عهد الملك أبي كَرِب أسعد المؤرخ بعام ٥٤٣ للتقويم السبئي يوافق عام ٦٧٧ قبل الميلاد، ونقش الملك شرحبيل بن أبي كَرِب أسعد المؤرخ بعام ٥٦٥ للتقويم السبئي يوافق عام ٦٥٥ قبل الميلاد، ويتكامل بذلك النبأ اليقين بأن عصر أبي كَرِب أسعد كان في القرن السابع قبل الميلاد، وهو من ملوك سبأ التبابعة، وربما جاوزت فترة حكمه خمسين سنة.

٣ ـ وقد زعمت الموسوعة أنه «يروى أن أبا كَرِب أسعد مَرَّ بيثرب واقتتل مع أهلها فخرج إليه حبران من اليهود ونهياه عن قتالها لأنها دار هجرة نبيّ يأتي آخر الزمان، فكفّ عن ذلك وأخذهما معه واعتنق اليهودية ويذكر أهل الأخبار أنه مات مُوحّداً بعد أن قتله قومه لأنه أتعبهم بالغزو»(١). ولكن ذلك الذي ذكرته الموسوعة غير صحيح فما كان أبو كَرِب أسعد يهودياً ولا اعتنق اليهودية ولا قتله قومه، وقد ذكر العلّامة الحسن بن أحمد الهمداني تلك الرواية التي نقلتها الموسوعة ثم قال الهمداني ما يلي: «أما الحبران اليهوديان اللذان ذكرهما العلماء فذاك في تُبّع الأصغر عمرو بن حسان فهو صاحب الحبرين»(٢). وذلك بعد عهد أبي كَرِب أسعد بزمن طويل.

أما أبو كَرِب أسعد فكان مؤمناً مسلماً، وقد ذكر العلماء ـ ومنهم القرطبي ونشوان ـ أن أبا كَرِب أسعد هو تُبّع المقصود في قول اللّه تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ حيث قال القرطبي: «..وهو أبو كَرِب أسعد الذي كسا البيت» ثم قال: «وقد اختلف (العلماء) هل كان تُبّع نبياً أو ملكاً، فقال ابن عباس: كان تُبّع نبيّاً. وقال كعب: كان ملكاً مؤمناً»(٣). قال نشوان الحميري: «..ويُقال: إنه كان نبياً مرسلاً.. والدليل على ذلك أن اللّه تعالى ذكره عند ذكر الأنبياء فقال: ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ ولم

---

(١) موسوعة مؤسسة العفيف ـ ص١٠٤ جـ١.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٢١ جـ٨.

(٣) تفسير أحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص١٤٦/ ٣.

يُعلم أنه أرسل إلى قوم تُبّع رسول غير تُبّع، وهو الذي نهى النبيّ عليه الصلاة والسلام عن سبّه..»[١]. قال الحافظ ابن كثير: «وقد ذكرنا في التفسير الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ: «لا تسبُّوا تُبَّعاً فإنه كان قد أسلم» والحديث: «لا تسبوا تُبّعاً فإنه كان مؤمناً»[٢]. وجاء في الفتح الكبير للنبهاني: «قال النبي ﷺ: «لا تسبوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم» الحديث أخرجه أحمد في مسنده عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه»[٣]. ويتبين من تلك النصوص أن أبا كَرِب أسعد تُبّع ملك سبأ لم يكن يهودياً وإنما كان مؤمناً مسلماً، وقال ابن عباس: كان نبياً، وقال نشوان: «..ويُقال: إنه كان نبياً مرسلاً» ـ أي نبياً مرسلاً إلى قومه ـ قال ابن كثير: «وقوم تُبّع هم سبأ».

ويتبين من نقوش عهود ملوك سبأ التبابعة أن العقيدة الدينية قبل عهد أسعد كانت عبادة الإله (إلمقه) ومعه عدد من الآلهة منهم (عثتر) و (هوبس) و (شمس تنوف) و (نسر) و (ذات حميم) و(تالب ريام).. ومن آخر النقوش التي تذكر عبادة (إلمقه) وتعدد الآلهة ثلاثة نقوش من محرم بلقيس بمأرب من عهد «ثاران يُهنعم وابنه ملكي كَرِب يُهامن ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت»[٤]. وتلك النقوش ـ كما ذكر (ركمانز) ـ «هي آخر ما عُرف من نقوش ورد فيها ذكر إلمقه بعل أوام»[٥] ـ أي في ذلك العصر من عصور ملوك سبأ التبابعة الذي كان من آخر ملوكه (ملكي كَرِب بن ثاران يُهنعم) وهو والد أبي كَرِب أسعد، ثُم عُزِل (ملكي كَرِب) عن الحكم وتم تمليك عمه (ياسر ينعم وابنه ثاران أيفع) فانتقل (ملكي كَرِب) من العاصمة مأرب حيث ـ كما ذكر نشوان الحميري ـ «مَالَ ملكي كَرِب إلى (منطقة) همدان وكان ينتاب ناعطاً وضهراً (وهو وادي ضهر بصنعاء) ثم خطب إلى موهبيل بن عبد ريم بن عمرو بن الفائش بن شهاب بن مالك بن دومان بن بكيل صاحب قصر

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص١/٢١٤.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٦/١٦٦.
(٣) الفتح الكبير ـ النبهاني ـ ص٣٢٤/ ٢.
(٤) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٦٦٩ـ ٦٧١.
(٥) تأريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٥٧.

خَمِر ابنته الفارعة بنت موهبيل فزوّجه بها، فأقام معها حولاً ـ أي عاماً ـ فحملت فولدت غلاماً فسمّاه أبا كَرِب أسعد، وسار (ملكي كَرِب) إلى ظفار، ولم يلبث إلا يسيراً حتى توفي (بظفار) وابنه أسعد عند أمّه وخؤولته بخمر»(١). ففي مدينة خَمِر ـ وهي من مدن وقرى بلاد همدان بن زيد التي كانت تابعة لأعمال صنعاء ـ كان مولد أبي كَرِب أسعد بن ملكي كَرِب بن ثاران يُنعم. وفي ذلك قال الشاعر: ـ

مولده في قُرى ظواهر هَمْدَان بتلك التي اسمها خَمِرُ

وكان مولده عام ٤٩٢ للتقويم السبئي (٧٢٦ق.م.) بدليل مجيء اسمه في النقش الذي كتبه أبوه (ملكي كَرِب) في ظفار حين سار إليها وتم تمليكه بها وهو النقش المؤرخ بعام ٤٩٣ للتقويم السبئي (ويوافق عام ٧٢٧ق.م.) حيث ما لبث أن مات (ملكي كَرِب) وابنه أسعد عند أمّه وخؤولته بخَمِر، قال نشوان: «فلما توفي ملكي كَرِب مرج الأمر، فماسكه بكير ـ أي تولى الحكم بكير ـ وهو بكير بن نوفان بن أبتع بن أنوف بن ذي بَتَعْ زوج الملكة بلقيس»(١). واسم بكير «كَرِب إل وتار يُهنعم ابن ـ أو حفيد ـ نوفان بن أبْتَعْ بن أنوف بن القَيْل بَتَعْ والملكة بلقيس» وقد تم العثور على ثلاثة نقوش في محرم بلقيس من عهده بصيغة: «كَرِب إل/ وتار يهنعم/ ملك سبأ/ وذي ريدان/ وحضرموت/ ويمانت»(٢).

وهو «كَرِب إل ملك سبأ» في نقش سنحريب ملك آشور حيث تم العثور في آشور على نقش للملك سنحريب يذكر «وصول هدية وجواهر ثمينة من كَرِب إل ملك سبأ» وقد تولى سنحريب حكم آشور عام ٧٠٥ قبل الميلاد، فأرسل إليه (كَرِب إل ملك سبأ) الهدية المذكورة، وكان الأصل في اللقب الطويل (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) هو (ملك سبأ) ولذلك ذكره سنحريب بلقب (ملك سبأ). وكانت عبادة (إلمقه) والآلهة المتعددة هي السائدة في عهد (كَرِب إل) كما في نقوش عهده

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١١٨.

(٢) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٦٦٦ و ٦٦٧ ـ وفي تأريخ اليمن ـ النقش رقم ١٨ كهالي.

الثلاثة المعثور عليها في مأرب والتي «يشير ـ ثالثها ـ إشارة خاطفة إلى ثورة حدثت في مدينة ظفار ولكنه لا يُقدم تفاصيل عن ذلك»[١]. وتلك الثورة هي التي قادها أبو كَرِب أسعد بن ملكي كَرِب وكان قد سار من خَمِر إلى ظفار حيث كما ذكر نشوان: «كان من شأن أسعد في ظفار دراسة العلوم والنجوم واصطناع المعروف إلى أكابر أهل ظفار وهم لا يعلمون أنه ابن الملك ملكي كَرِب.. إلى أن اشتد ساعده وكثر من الناس مُساعده، فملكوه المُلك ـ بمدينة ظفار ـ وهو ابن خمس وعشرين سنة»[٢]. فتلك هي الثورة التي أشار نقش الملك (كَرِب إل وتار يُهنعم) إلى وقوعها في مدينة ظفار، والتي يمكن القول إنها لم تكن سياسية فقط وإنما كانت دينية أيضاً، فقد دعا أسعد إلى الإيمان بإله واحد هو اللّه ذي السموات سيّد السماء والأرض بدلاً من الآلهة المتعددة، فانتشرت دعوته وثورته السياسية والدينية من ظفار (في محافظة إب حالياً) إلى صنعاء وإلى بلاد همدان (بكيل وحاشد) حيث أعلن جده القَيْل موهبيل ملوكية أسعد، ثم إلى مأرب حيث هرب أو تنازل الملك كَرِب إيل بن نوفان عن الحكم، واستكملت بلاد اليمن وبقية جزيرة العرب طاعة لأبي كَرِب أسعد واستجابة في مطلع القرن السابع ق.م. وساد ربوع اليمن دين التوحيد الحنيف الذي ظهر وساد على يد أبي كَرِب أسعد الذي قال ابن عباس وبعض العلماء أنه: «كان نبياً مرسلاً إلى قومه» وجاء في الحديث النبوي أنه: «كان مؤمناً قد أسلم» وذكر العلماء أنه آمن وبشر بالنبي محمد ﷺ ـ حيث كما قال نشوان ـ «ليس ذلك إلا بوحي من اللّه عز وجل».

وتؤكد نقوش المسند أن أبا كَرِب أسعد كان مؤمناً مسلماً وأن دين التوحيد الحنيف قد ظهر وساد في عصره، وقد تجاهل وأخفى كتاب الموسوعة وبعض المستشرقين تلك الحقيقة، وهي الحقيقة التي تدل عليها النقوش وقد ذكرها د. بيوتروفسكي قائلاً ما يلي نصه: ـ

«لقد ظهرت النصوص الدينية التوحيدية في نقوش تعود إلى عهد

(١) النقش رقم ٦٦٧ جام ـ تأريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٥٥.

(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١١٨.

أسعد، فبدلاً من التوجه إلى الآلهة الوثنية ـ المتعددة ـ نجد توجهاً نحو إله واحد»[(١)].

وقال: «في فترة حكم أسعد حدث التحول نحو ديانة التوحيد واتخاذها ديناً رسمياً»[(١)].

وقال: «لقد أصبح الدين التوحيدي منذ عهد أسعد الديانة الرسمية»[(١)].

فجميع نقوش عهد أبي كَرِب أسعد المعثور عليها في ظفار وصنعاء ووادي ضهر وريدة والجوف ومأرب تنطق بعبادة ذي السموات (ذي س م و ي) سيد السماء (م را/س م ي ن) أو سيد السماء والأرض (م را/ س م ي ن/ وأرضن) كما في نقش ريدة ـ سالف الذكر ـ المؤرخ بعام ٥٤٣ للتقويم السبئي والزمن الصحيح الموافق لذلك هو عام ٦٧٧ق.م. (في القرن السابع قبل الميلاد). وكذلك نقوش عهد (شرحبيل يعفر بن أبي كَرِب أسعد) حيث ينطق نقشه المسند (رقم I.H.540.) في مأرب بعبادة «إل ن/ بعل/ س م ي ن/ وأرضن) ـ أي (الله رب السماء والأرض) ـ وهو مؤرخ بعام ٥٦٥ للتقويم السبئي «ويوافق ذلك عام ٦٥٥ق.م.) ـ وكذلك نقش الملك (شرحبيل يعفر بن أبي كَرِب أسعد) عن قيامه بتشييد (قصر هرجم) وإتمام تحسين وتجديد سد مأرب العرم حيث قال في النقش: إنه أتم إنجاز ذلك:

«بعون/ ورده/ سيّدهم/ الرحمن/ بعل/ السماء/ والأرض»[(٢)].

وذلك في خريف سنة ٥٧٢ للتقويم السبئي ويوافق ذلك سنة ٦٤٨ قبل الميلاد، فكل تلك النقوش تدل على أن دين التوحيد الذي ظهر وساد في عصر أبي كَرِب أسعد هو عبادة ذي السموات سيد السماء اللّٰه الرحمن رب السماء والأرض، ويتطابق ذلك أيضاً مع الأشعار التي ذكر المؤرخون العرب أن أبا كَرِب أسعد قالها، فقد ذكر نشوان أنه قال: ـ

أثني على اللّٰه بآلائه   الواحد المقتدر الفاعل

---

(١) ملحمة أسعد الكامل ـ د. بيوتروفسكي ـ ص٦٨ و ٦٩.

(٢) النقش رقم ٥٧٣ جاربيني.

فـي كـل مـا أولاه مـن آجـل وكـل مـا أعـطـاه مـن عـاجـل

وقال:

الـحـمـد لـلّـه والـبـقـاء لـه كـل إلـى ذي الـجـلال مـفـتـقـرُ

وسار أبو كَرِب أسعد من ظفار في موكب عظيم إلى مدينة صنعاء واستقر في قصر غُمدان بصنعاء وقد ذكر نشوان الحميري أنه قال أسعد: ـ

فأمسيتُ في غُمدان في خير محفد منيعاً، وصنعاً من حذاها المآجلا

وريدان قصري في ظفار ومنزلي بـهـا أسّ جـدي دورنـا والـمـنـاهـلا

وجاء في الإكليل أنه قال أسعد: ـ

ومـأرب قـد نُـطِّـقـت بـالـرخـام وفي سـقـفـهـا الـذهـبُ الأحـمـر

وكانت مدينة مأرب هي العاصمة الرئيسية للدولة وفيها القصر سَلْحِين، ومدينة ظفار هي المدينة الرئيسية الثانية وفيها القصر ريدان ومدينة صنعاء هي المدينة الرئيسية الثالثة وفيها القصر غُمدان، وكذلك كانت مدينة شبوه المدينة الرئيسية لمناطق حضرموت ويُمانت وفيها القصر (شقير)، وكان لأبي كَرِب أسعد سبعة نواب في أقاليم اليمن وبقية الجزيرة، حيث تم العثور على نقش مسند في صنعاء هو النقش (رقم ١٠/ لونديـن) الذي قال بيوتروفسكي أنه: «يذكر أسعد وسبعة مساعدين له في الحكم». ويمكن القول أن المساعدين كانوا نواباً لأسعد في كل من مأرب، وظفار، وصنعاء، وشبوه (حضرموت) ويُمانت (شرق حضرموت إلى عُمان) وفي الطود (نجد واليمامة) وفي مكة وما يليها من تهامة أعالي اليمن والحجاز، وقد سار أبو كَرِب أسعد من صنعاء إلى مكة ونجد والحجاز في أوائل عهده فانضوت تلك الأرجاء تحت حكمه وقام بتطهير وكسوة الكعبة، وولّى ابن الجرهمي على مكة وما يليها، وأضاف إلى اللقب الملكي في النقوش عبارة «وأعراب الطود وتهامت» وذلك ـ كما يذكر بافقيه ـ «دلالة على ضم التهائم والهضاب الممتدة خلفها والضاربة في قلب الحجاز إلى حكم أبي كَرِب أسعد، ومن النقوش التي جاء فيها اللقب حاملاً تلك الإضافة النقش المسند الذي عُثر عليه في موضع متقدم من شمال الجزيرة وهو النقش رقم ٤٠٩ ركمانز الذي نعلم منه أن أبا كَرِب أسعد وابنه حسان

زارا ذلك الموضع»[١]. وكذلك تم العثور على نقشين باسم أبي كَرِب أسعد في ماسل الجمح على بعد ٢٥ كلم من الرياض بمنطقة نجد، وتؤكد النقوش امتداد حكم أبي كَرِب أسعد إلى بلاد بابل وإلى ميديا ببلاد فارس وغيرها، قال نشوان: ـ «وكان أبو كَرِب أسعد أول من كسا البيت. وذلك أنه عند رجوعه من غزاتة تلك مرَّ بالبيت الحرام فكساه الأنطاع المذهبة اليمنية، فرأى في المنام قائلاً يقول: زد في كسوة البيت فكساه المعافري، فرأى في المنام قائلاً يقول: زد في كسوة البيت فكساه الوشي، ونحر أسعد بمكة سبعين ألف بدنة، وطاف وسعى وعمل للبيت باباً ومفتاحاً لم يكونا له قط، ثم رجع أسعد إلى غُمدان». [ص ١٣٤].

ويدل تكرار ذكر صنعاء وغُمدان في أخبار وأشعار أبي كَرِب أسعد بكتب التأريخ التراثية على الأهمية الكبيرة لمدينة صنعاء في عصره، قال الهمداني في الإكليل: «وقال أسعد تُبّع: ـ

وغُمدان قصر لنا مشرفُ   مآجله حوله تُزهر
وكان معسكرنا دائماً   أزال وعسكره عسكر»[٢]

وقد يكون قائل ذلك الشعر وغيره الملك أسعد تُبّع الثاني ابن حسان ملك الدولة الحميرية وليس الملك أبا كَرِب أسعد تُبّع الأول ابن ملكي كَرِب ملك سبأ.

قال الهمداني: «وأوصى أسعد تُبّع بن ملكي كَرِب إلى ولده حسان أن يأتي جبلاً باليمن.. فيُقال إن ذلك الجبل دامغ، ويدل عليه قول الحارث في قصيدته الرائية: ـ

وأما أبو حسّان أسعد تُبّع   فيوصي إلى حسّان علماً ويخبرُ
يقول أدفنوني بعد موتي قائماً   فذلك أمر في الكتاب مقدّر
وسرّ أيمناً من قصر غُمدان قاصداً   إلى دامغ ذي الماء سَلْ فتُخبَرُ..»

ثم قال الهمداني: «ذلك الجبل جبل يَنور أسفل وادي ضهر على

(١) تأريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٥٩.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٦ و ص٢٢٢ جـ٨.

مسافتين من صنعاء»(١). وكان لأسعد كاهنة عالمة تسكن في جبل ينور، قال نشوان: «وجبل ينور: على مسيرة ساعة من صنعاء» ـ أي على مسيرة ساعة من صنعاء مشياً على الأقدام في أسفل وادي ضهر بضواحي صنعاء ـ قال نشوان: «فأرسل أسعد تُبّع ابنه حساناً إلى الكاهنة وقال له: إذا أتيت ينور فاقرع الجبل فإنه سيُفتح لك باب فادخل حتى إذا انتهيت إلى المرأة ـ الكاهنة ـ فاخبرها أني مُثقلٌ بالمرض، فانظر ماذا تقول لك وما تأمرك به، ولا تعصها في شيء.. (وقال له فيما قال: ـ

وافطنْ لكاهنتي فإن كلامها حقٌّ، وإن قبورنا غيمان»(٢)

فسار حسان إلى الكاهنة في جبل ينور، فأخبرها بشدة مرض أبيه، فعلمت الكاهنة أنه مريض مرض الموت، قال الهمداني: «وضربت الكاهنة لحسان أمثلة: أن يجلس على كرسي فيه حيّات وعقارب، وقرّبت له دماً يشربه ولحماً فيه رؤوس يأكلها، وهذه أمثلة ممثلة، فلم يفعل حسان ذلك، فقالت له: أما وقد خالفتني، فقُم أدرك أباك بغيمان فإنه على آخر رمق، وأول من يلقاك في باب مدينة غيمان اقتله فإنه قاتلك، فسار من عندها حسّان فلما وصل غيمان لقيه أخوه في باب المدينة فلم يقتله، فأخبر حسان أباه بما قالت له كاهنة ينور فقال له: ما أراك إلا مخطئاً.. (قال الهمداني: وقد اعتلّ أسعد تُبّع علة الموت بغيمان، ومات فيها وقُبر هناك». وكذلك قال نشوان: «مات أسعد تُبّع بغيمان، وقبره بها». ولكن بعض الأخبار ـ التي ذكرها الهمداني ونشوان أيضاً ـ تشير إلى أنه مات بمدينة ظفار، وأنه قال قبل وفاته: ـ

ولقد علمتُ لئن هلكتُ وأوحشَتْ مني ظفار وعُطلت ريدان

فليُفقدن من الملوك عظيمها ولتَفْقَدَنَ حليفُها التيجانُ

ويقتضي ذلك أن أبا كَرِب أسعد مات في مدينة ظفار وليس في غيمان، ولعل الذي مات في غيمان هو أسعد تُبّع الثاني ملك الدولة الحميرية.

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٦ و ص٢٢٢ جـ٨.

(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٣٧.

لقد تعاقب على حكم دولة سبأ بعد أبي كَرِب أسعد بن ملكي كَرِب عشرات الملوك والمكارب، وتتابعت القرون والعصور إلى أن تفككت وانتهت دولة سبأ في القرن الثاني الميلادي بينما أخذ شأن الدولة الحميرية يتعاظم فقضت على بقية الدويلات وضمّتها تحت لواء الدولة الحميرية بزعامة تُبّع ملشان أريم ذي يزن ـ عام ٢٧٥ م ـ في أواخر القرن الثالث الميلادي فقامت بذلك دولة تبابعة حميّر (الدولة الحميرية) التي كان أسعد تُبّع الثاني بن حسان بن ذي غيمان أعظم ملوكها، وكانت عاصمتها مدينة صنعاء كما سيأتي.

المبحث الثاني

صيرورة صنعاء عاصمة للدولة الحميرية منذ عهد تُبَّع ملشان أريم ذي يزن

في القرن الثالث الميلادي ـ عام ٢٧٥ م ـ قامت دولة حميرية كبرى بزعامة «ملشان أريم ذو يزن ويلغب، كبير أقيال شعوب ضيفتن ومشرقن». وهو أول تبابعة الدولة الحميرية، وقد قام حفيده (معدي كَرِب) بتدوين نقش كبير في وادي عَبَدان حيث كانت مدينة عَبَدان والقصر يزن، وسَجَّل ذلك النقش وقائع قيام الدولة الحميرية بزعامة (ملشان أريم ذي يزن) ومعالم عهده ثم عهد ابنيه (خولى وشرحبيل) ثم حفيده معدي كَرِب الذي قام بتدوين نقش عبدان الكبير في العام المؤرخ به النقش وهو مؤرخ بعام ٤٧٠ للتقويم الحميري ويوافق عام ٣٥٥ ميلادية[(١)]. فالنقش ـ وكما ذكر د. محمد بافقيه ـ «عبارة عن سجل عهود ثلاثة أجيال من الأسرة» ـ أي عهد ملشان أريم وعهد أبنائه وعهد حفيده معدي كَرِب. وقد ذكر النقش «أن ملشان أريم قاد حملات للحميريين ـ شملت حضرموت وأرض مهرة ـ وشملت منطقة تهامة ـ الركب ـ (غرباً) ـ ومنطقة السَرَاة (شمالاً).. وأنه «تولى ملشان أريم ـ كما تولّى أبناؤه معه وبعده ـ قيادة حملات خارج اليمن، خاصة في ما كان يُعرف باليمامة وفي البحرين بمدلولها الواسع القديم. وبلغت حملات ـ ملشان ـ إلى آبار سجا بين أرض نزار وأرض غسان»[(٢)].

---

(١) نقش عبدان الكبير ـ د. محمد بافقيه ـ مجلة ريدان ـ ١٩٨١م ـ ومجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣/ ١٩٨٣م.

(٢) نقش عبدان الكبير ـ د. محمد بافقيه ـ مجلة ريدان ـ ١٩٨١م ـ ومجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣/ ١٩٨٣م.

ويتبين من ذلك أن الدولة الحميرية بزعامة (ملشان أريم ذي يزن) قامت باجتياح بقية الممالك والدويلات التي كانت قد قامت في مناطق من اليمن، وكان منها مملكة حضرموت حيث دلت دراسة البعثة الأثرية الفرنسية على «أن مملكة حضرموت انتهت عام ٢٩٠م على يد الحميريين»[١]. وقد ذكر نقش عبدان الكبير اشتراك قبيلة كندة في حملات الحميريين بقيادة (ملشان أريم) التي (شملت حضرموت وأرض مهرة»[٢]. وكذلك إلى (أرض السَرَاة) وهي أعالي نجران ومنطقة عسير إلى تخوم الحجاز، وبذلك تم إعادة وحدة كل أرجاء اليمن بزعامة ملشان أريم ذي يزن وهو تُبّع الذي مَلَكَ اليمن بعد ربيعة بن نصر والملوك الأذواء حيث قال ابن هشام: «لما هَلَكَ ربيعة بن نصر اجتمع مُلك اليمن كله لتُبّع حسان»[٣]. وهو تُبّع ملشان ذي يزن. وقال ابن خلدون: « . . أصبح مُلك اليمن متفرقاً في الأذواء، وقام بمُلك اليمن منهم ذو يزن، من ولد مالك بن زيد. قال ابن حزم: اسم ذي يزن علس بن زيد بن الحارث بن زيد الجمهور. وقال ابن الكلبي وأبو الفرج الأصفهاني: هو علس بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور»[٤]. وذلك الاسم «علس ذو يزن» هو تصحيف لاسمه الذي جاء في النقش وهو «ملشن/ = ملشان ذو يزن»، ويؤكد النقش أنه «اجتمع له مُلك اليمن كله» ولذلك قيل له: (تُبّع). وقد ذكر ابن خلدون وابن الكلبي أنه «سار تُبّع من اليمن في جيش عظيم إلى اليمامة وقبائل معدّ العدنانية ـ بنجد والحجاز ـ وكان على مقدمته عبد كُلال بن مثوب بن ذي رُعين. . ولما هَمّ تُبّع بالانصراف استعمل على الحجاز وسائر قبائل معدّ حُجر بن عمرو آكل المُرّار الكندي»[٤]. ويتطابق ذلك مع ما جاء في نقش عبدان الكبير بأنه «قاد ملشان أريم ذو يزن حملات مختلفة خارج اليمن،

(١) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية في اليمن ـ البعثة الأثرية الفرنسية ـ ١٩٨٥م.
(٢) نقش عبدان الكبير ـ د. محمد بافقيه ـ مجلة ريدان ـ ١٩٨١م ـ ومجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣/ ١٩٨٣م.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص١٤ جـ١.
(٤) تأريخ ابن خلدون ـ ص٦١ جـ٢.

خاصة في ما كان يُعرف باليمامة وفي البحرين بمدلولها الواسع القديم وأرض نزار إلى آبار سجا بين أرض نزار وأرض غسان» ـ والمقصود بأرض نزار هو نجد والحجاز، وتقع (سجا) بمنطقة تيماء وتبوك بأعالي الحجاز، وتليها أرض غسان وهي أرض الشام، فلما بلغ الملك تُبّع ملشان منطقة (سجا) استعمل على قبائل معدّ النزارية العدنانية الأمير حُجر آكل المرار بن عمرو الكندي، وذلك في أوائل القرن الرابع الميلادي، وعاد الملك تُبّع ملشان ذو يزن إلى صنعاء واتخذها عاصمة للدولة الحميرية.

إن صيرورة صنعاء عاصمة لليمن في عصر الدولة الحميرية وملوكها التبابعة من الأمور المجهولة في التأريخ الاستشراقي الشائع عن اليمن القديم والذي يقتصر على ذكر أن مدينة ظفار كانت عاصمة الدولة الحميرية، ولكن المصادر التأريخية تدل على أن مدينة صنعاء أصبحت هي العاصمة ومقر الملوك التبابعة منذ عهد تُبّع ملشان ذي يزن ـ بأوائل القرن الرابع الميلادي ـ إلى عهد سيف بن ذي يزن ـ بأواخر القرن السادس الميلادي ـ ولذلك قال ابن خلدون: ـ

«صنعاء: قاعدة التبابعة قبل الإسلام»(١).

أي عاصمة ومقر الملوك التبابعة في عصر تبابعة الدولة الحميرية قبل الإسلام، وذلك منذ عهد تُبّع ملشان ذي يزن. وقام تُبّع ملشان ذو يزن بتجديد وتعلية وتفخيم قصر غُمدان بصنعاء، ويدل على ذلك قول أُمية بن أبي الصلّت يمدح سيفاً حفيد وسليل ملشان ذي يزن: ـ

فاشرب هنيئاً عليك التاج مُرتَفَقاً ... في رأس غُمدان داراً منك محلالا
قصرٌ بَناهُ أبوك القَيْلُ ذي يزن ... فهل ترى أحداً نال الذي نالا»(٢)

ويعني بقوله: «أبوك القَيْلُ ذي يزن» ملشان أريم ذي يزن، فكانت صنعاء هي عاصمة اليمن ومقر تبابعة الدولة الحميرية منذ عهد ملشان أريم ـ بأوائل القرن الرابع الميلادي ـ بينما كانت مدينة ظفار هي عاصمة

---

(١) تأريخ ابن خلدون ـ ص٢٢٣ جـ٤.

(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٥٦.

النصف الغربي من اليمن ومقر الأذواء من آل ذي رُعين وكان (عبد كُلال بن مثوب ذي رُعَيْن) زعيم ظفار والنصف الغربي من اليمن في عهد ملشان ذي يزن بينما كانت صنعاء هي عاصمة الدولة ومقر ملشان ذي يزن، وبها توفي ملشان ذو يزن حوالي عام ٤٣٧ للتقويم الحميري الموافق عام ٣٣٢ ميلادية، وتم كشف مقبرته بصنعاء في خلافة مروان بالقرن الأول الهجري «=القرن السابع الميلادي» حيث ذكر أبو الفرج الأصفهاني وابن الكلبي وابن حزم الملك ملشان ذا يزن باسم «علس ذي يزن» وقال الأصفهاني ما يلي نصه: «حفروا حفيراً بصنعاء في زمن مروان، فوقفوا على أزج له باب، فإذا هم برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال عليه خاتم من ذهب وعصبة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه أنا علس ـ ذو يزن وجدن ـ القَيْل لخليلي مني النيل ولعدوي مني الويل، طُلبت فأُدركت وأنا ابن مائة سنة من عمري، وكانت الوحش تأذن لصوتي، وهذا سيفي ذو الكف، ودرعي ذات الفروج، ورمحي الهزبري، وقوسي الفجواء، وقرني ذات الشر فيها ثلاثمائة حشر من صنعة ذي نمر، أعددت ذلك لدفع الموت عني فخانني. فنظروا فوجدوا جميع ذلك عنده»[1]. وقال ابن الكلبي: «كان طول سيف علس ذي يزن اثنا عشر شبراً وعليه كتابة بالمسند»[1].

ولا بد أن التباساً قد وقع في قراءة اللوح الذي كان عند رأس جثمان ملشان ذي يزن وكان محنّطاً، فالكتابة التي في اللوح لا بد أن أولها «ملشن ذو يزن وجدن قَيْل شعبن ضيفتن ومشرقن». ثم عبارة جاء فيها أنه «مات وهو ابن مائة سنة/ بخريف كذا وثلاثين وأربعمائة بصنعاء». وقد وجدوا معه في ضريحه سيفه ودرعه ورمحه وقوسه، وكان عليه عصبة من ذهب وخاتم من ذهب، فأخذوا كل ما وجدوه، ودفنوه. وهو ـ غالباً ـ تُبّع القائل: ـ

منع البقاء تقلّب الشمس	وطلوعها من حيث لا تمسي
اليوم أعلم ما يجيء به	ومَضَى بفصل قضائه أمسي

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص٣٧ جـ٤.

وكانت وفاته في القرن الرابع الميلادي ـ حوالي عام ٣٣٢ م ـ وحكم بعده أولاده (خولى/ وشرحبيل أشوع/) ـ سوياً ـ وكان بظفار عبد كلال ذو رُعين ملكاً نائباً، ثم اختلف أبناء ملشان وتولى حفيده معدي كَرِب الحكم في مدينة عبدان وشرق اليمن وقام بكتابة نقش عبدان الكبير عام ٤٧٠ حميري (٣٥٥ م) وصار عبد كُلال ملكاً للبلاد.

المبحث الثالث

عهد عبد كُلال ذي رُعين ملك حِمْيَر الذي اعتنق المسيحية.. ونبأ دخول المسيحية إلى اليمن وبناء كنيسة صنعاء (قليس صنعاء) في أواسط القرن الرابع الميلادي

تولى زعامة الدولة الحميرية بعد أبناء تُبَّع ملشان ذي يزن الملك عبد كُلال بن مُثَوّب ذو رُعَيْن ملك حِمْير الذي اعتنق الديانة المسيحية، وفيه قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير: ـ

«أم أينَ عبدُ كلال الماضي على دين المسيح الطاهر المسّاح»

ثم قال: «هذا الملك: عبد كُلال بن مُثوب بن ذي حدُث بن الحارث بن مالك بن عبدان بن مالك بن حُجر ذو رُعَيْن»[1]. وقد جاء في الإكليل وتأريخ ابن خلدون أنه «كان عبد كُلال من قادة الملك تُبَع حسان» والمقصود (تُبع ملشان). قال ابن خلدون: «مَلَكَ بعد تُبّع أخوه لأمه عبد كُلال بن مثوّب بن ذي رُعَيْن، وفي أيامه خلع سابور ملك فارس أكتاف العرب ـ بالعراق ـ»[2] ونقل ابن خلدون عن الجرجاني أنه «مَلَكَ عبد كُلال بن مثوب بن ذي رُعَيْن ٩٤ سنة»[2] وتشمل تلك المدة الفترة التي كان فيها عبد كُلال ملكاً نائباً لتُبّع ملشان ذي يزن بمدينة ظفار وغرب اليمن ثم فترة حكم أبناء ملشان (شرحبيل أشوع/ وعمرو خولي) ـ أي منذ بداية دولة تبابعة حمير بزعامة ملشان (عام ٢٧٥ م)

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٤٧.

(٢) تأريخ ابن خلدون ـ ص٥٧ جـ٢.

إلى نهاية حكم عمرو خولي بن ملشان ـ (حوالي عام ٣٥٠ م) ـ ثم فترة ملوكية عبد كُلال بن مثوّب ذي رُعَيْن (إلى حوالي عام ٣٦٩ م) ـ وقد جاء في تأريخ الأمم والملوك ما يلي: «ثم ملك بعد عمرو بن تُبّع عبد كُلال بن مُثَوب، فوُلِّي (الحكم) بسن وتجربة وسياسة حسنة، وكان فيما ذكروا على دين النصرانية الأولى، وكان الذي دعاهُ إليه رجل من غسان قَدِم عليه من الشام»[١].

وتدل تلك القرائن على أن الملك عبد كُلال كان ملك الدولة الحميرية في الفترة ما بين عام ٣٥٠ وعام ٣٦٩م حيث اعتنق الملك عبد كُلال دين المسيحية، وكان الذي دعاهُ إليه رجل راهب من غسان اليمنيين المسيحيين بالشام، جاء إلى عبد كُلال ملك حِمْيَر ودعاه إلى الديانة المسيحية، ويتبين من ربط ذلك بما ذكرته المصادر الرومانية أن ذلك الراهب الغساني كان مبعوثاً من الملك الروماني قسطنسيوس بن قسطنطين الذي حكم في الفترة (٣٣٧ ـ ٣٧٠ م) فقد ذكر (فيلوستروغ) في كتاب (تأريخ الكنائس) ونقل عنه (بيوتروفسكي) أنه «بعث الملك قسطنسيوس الراهب ثيوفيلوس إلى ملك حِمْير، وحمل ثيوفيلوس الهدايا من قسطنسيوس إلى ملك حِمْير. . ونجح ثيوفيلوس في إقناع ملك حِمْير باعتناق المسيحية، وقام ببناء ثلاث كنائس إحداها بمدينة ظفار. .»[٢] وقال د. يوسف محمد عبداللّه ما يلي: «وقد لعبت ظفار دوراً مهمًا في محاولات نقل المسيحية إلى اليمن حيث يفيد مؤلف تأريخ الكنائس اليونانية أنه عُهِدَ إلى الأسقف ثيوفيلوس أن يصل إلى بلاط ـ ملك ـ حمير عام ٣٥٤م بمهمة إنشاء طوائف مسيحية وبناء بعض الكنائس ومن ضمن ذلك تشييد كنيسة في ظفار»[٣] وقد ذكر علماء المؤرخين العرب الأوائل أن ملك حِمْيَر كان عبد كُلال بن مُثَوب ذو رُعَين، فاعتنق الملك عبد كُلال الديانة المسيحية على يد ذلك الراهب الغساني (ثيوفيلوس) عام ٣٥٤م أو عام ٣٥٦م. ولذلك قال نشوان: ـ

أم أينَ عبد كُلال الماضي على ... دين المسيح الطاهر المساح

(١) تأريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص٨٦ جـ٢.
(٢) اليمن قبل الإسلام ـ ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ ص٢٤٢.
(٣) أوراق في تأريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد اللّه ـ ص٧١/ ٢.

وقد قام الملك عبد كُلال والراهب ثيوفيلوس ببناء ثلاث كنائس في المدن العواصم الرئيسية باليمن في ذلك العهد وهي ظفار ـ في النصف الغربي من اليمن ـ ومدينة عَبَدان عاصمة النصف الشرقي إلى حضرموت وعُمان حيث كان بمدينة عبدان القصر يزن، وقد ظن (بيوتروفسكي) أن الكنيسة الثانية في (عدن) والصواب أنها في (عبدان) بمنطقة العوالق في محافظة شبوه حالياً، وكانت عبدان العاصمة الإدارية لمناطق إذوائيات يزن وجدن وحضرموت ومهره إلى سأكلن ـ عُمان ـ، أما الكنيسة الثالثة فقد ظن (بيوتروفسكي) أنها في (ساكلن) لتشابه بعض حروف اسمها في المصدر الروماني باسم (سانا) ولكن الصواب أنها مدينة صنعاء العاصمة الرئيسية لتبابعة الدولة الحميرية في ذلك العصر.

وقد جاء خبر دخول المسيحية إلى صنعاء في رواية الرازي بهيئة خبر عن دخول السيد المسيح إلى صنعاء، حيث قال الرازي ما يلي: ـ «قال أبو محمد: حدثني إسحاق بن إبراهيم قال: حدثني غسان ابن أبي عبيد قال: دخل عيسى بن مريم عليه السلام صنعاء، وصلّى في موضع الكنيسة، فاتخذ النصارى الكنيسة بصنعاء على إثر مصلاه»(١).

ونرى أن أصل ذلك الخبر عن دخول السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إلى صنعاء هو وصول الراهب ثيوفيلوس الغساني إلى صنعاء حين اعتنق عبد كُلال ملك حمير الديانة المسيحية وقام بتشييد كنيسة في ظفار وكنيسة في صنعاء وهي (قليس صنعاء) في أواسط القرن الرابع الميلادي، فيمكن أن يكون الراهب ثيوفيلوس صلّى في موضع الكنيسة (القليس) بصنعاء مع الملك عبد كُلال ملك حمير، ثم أمر الملك ببناء الكنيسة في ذلك المكان وهي (قليس صنعاء). وقد ذكر الحسن الهمداني قول أحمد بن عيسى الرداعي في أبياته عن صنعاء: ـ

«بلاد مُلْكٍ ضلّ مَنْ يقيسُ ... أرضاً بصنعاء لها تأسيسُ
ما لم يُعدَّ الحرمُ الأنيس، ... أرضٌ بها غُمدان والقليسُ
بناهما ذو النجدة الرئيسُ ... تُبّع هلكٍ. وبَنَتْ بلقيسُ»

ثم قال الهمداني: «غُمدان والقليس محفدا صنعاء وقد ذكرنا

(١) تأريخ مدينة صنعاء ـ الرازي ـ ص٣٢.

أخبارهما في كتاب الإكليل»[١] وقال القاضي المؤرخ محمد بن علي الأكوع في الهامش: «يذهب المؤلف ـ أي الهمداني ـ إلى أن الباني للقليس تُبّع أو أحد ملوك حمير، وأن أبرهة صاحب الفيل إنما اتخذه كنيسة لا هو الذي عمرها»[١]. وقال الهمداني في الأنساب بكتاب الإكليل: «أولد شرحبيل بن عمرو: يازل، وأحداق، والقليس، ثلاثة نفر بني شرحبيل بن عمرو ذي غُمدان. فإلى القليس بن شُرحبيل يُنسب قصر القليس بصنعاء، وهو بناء قديم»[٢]. ونرى أن شرحبيل قد يكون شرحبيل أشوع بن ملشان ذي يزن (المذكور في نقش عبدان الكبير) وأن أحد أبناء شرحبيل كان ملكاً نائباً بصنعاء في عهد الملك عبد كُلال الذي اعتنق المسيحية ـ عام ٣٥٦ م ـ فقام الأمير ابن شرحبيل ببناء القليس في صنعاء بأمر الملك عبد كُلال، ولم يكن اسم الأمير (قليس بن شرحبيل) وإنما القليس اسم الكنيسة، وقام الأمير ابن شرحبيل ببناء القليس ككنيسة. وكلمة (قليس) كلمة يونانية الأصل وهي (إكليزيا) ومعناها المجمع، وقد جاء في نقش مسند ذكر كنيسة ظفار بلفظ «قليس ظفار»[٣] فكذلك كان اسم كنيسة صنعاء «قليس صنعاء» منذ دخول المسيحية إلى اليمن وبناء كنيسة ظفار وصنعاء وعبدان في عهد عبد كُلال بن مثوب ذي رُعَيْن ملك حمير بأواسط القرن الرابع الميلادي، وكانت كنيسة صنعاء وكنيسة ظفار موجودة في العهود التي تلت ذلك إلى عهد يوسف أسار الذي جاء ذكر كنيسة ظفار (قليس ظفار) في نقش من عهده مؤرخ بعام ٦٣٣ للتقويم الحميري الموافق عام ٥١٨م ـ في القرن السادس الميلادي ـ[٣] وبالتالي فإن ما قام به أبرهة إنما هو تجديد وتفخيم قليس صنعاء الذي كان موجوداً وكان كنيسة منذ القرن الرابع الميلادي إلى عهد سيف بن ذي يزن في أواخر القرن السادس الميلادي، لأن المسيحية كانت ديانة رئيسية باليمن في تلك العصور. قال الرازي: «وهذه الكنيسة ـ أي قلّيس صنعاء ـ في وقتنا هذا خربة، وهي أسفل زقاق المبيِّضين من صنعاء، وقد بقي من الكنيسة ضبر شبه أسطوان على حرف الطريق إلى سوق العطارين، وإلى درب دمشق، وقد

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص٤٠٨.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٨٧ جـ٢.
(٣) النقش رقم ١٠٢٨ جام.

أدركتُ عقوداً كثيرة كانت باقية إلى سنة تسعين وثلاثمائة هجرية» [ص ٣٣] وقال الأكوع في هامش الإكليل «ولم يبق من القليس إلا حُفير صغير وعليه حائط ويقع أعلى صنعاء في حارة القطيع بقرب مسجد نصير» [ص ٨٧/ ٢].

وقد انتهى عهد الملك عبد كُلال بوفاته ـ حوالي عام ٣٦٩ م ـ قال الهمداني في شرح الدامغة: «ثم مَلَكَ مرثد بن عبد كُلال إحدى وأربعين سنة، ثم ملك وليعة بن مرثد تسعاً وثلاثين سنة وكان منقطع النظير، ثم ملك أبرهة بن الصباح بن شرحبيل.. ثم ملك حسان بن عمرو سبعاً وخمسين سنة»(١).

وقال ابن خلدون: «..مَلَكَ من بعد مرثد بن عبد كُلال ابنه وليعة بن مرثد سبعاً وثلاثين سنة، ثم مَلَكَ من بعده أبرهة بن الصباح. قال الجرجاني: وبعض الناس يزعم أن أبرهة بن الصباح إنما مَلَكَ تهامة فقط. قال: ثم مَلَكَ من بعده حسان بن عمرو سبعاً وخمسين سنة.. وقال ابن سعيد: مَلَكَ مرثد بن عبد كُلال، ثم ابنه وليعة، وكثرت الخوارج عليه، وغلب أبرهة بن الصباح على تهامة اليمن، وكان في ظفار دار التبابعة حسان بن عمرو»(٢).

ويتبين من ذلك الترتيب التالي للملوك بعد عبد كُلال ملك حمير الذي اعتنق الديانة المسيحية: ـ

ـ الملك مرثد بن عبد كُلال (من ٤٨٤ ـ ٥٢٣ للتقويم الحميري/ ٣٦٩ ـ ٤٠٨ م).

ـ وليعة بن مرثد (من ٥٢٣ ـ ٥٦٠ للتقويم الحميري/ = ٤٠٨ ـ ٤٤٥ م) وفي نفس عهده تغلّب القَيْل أبرهة بن الصباح الحميري على مناطق موكل وتهامة، وكذلك «ملك ذو قيفان بن شراحيل بن ذي يزن تسع عشرة سنة»(٣). وكان حسان بن عمرو ذي غيمان من كبار الأذواء الأقيال ثم اجتمع مُلك اليمن لحسان بن عمرو ذي غيمان وهو حسان تُبّع والد أسعد تُبّع الثاني ابن حسان في أواسط القرن الخامس الميلادي حيث بلغت صنعاء شأواً عظيماً في ذلك العصر.

---

(١) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٤٠.
(٢) اليمن في تأريخ ابن خلدون ـ محمد الفرج ـ ص٨٢.
(٣) اليمن في تأريخ ابن خلدون ـ محمد الفرج ـ ص٨٢.

المبحث الرابع

صنعاء عاصمة اليمن
في عصر حسان تُبّع وأسعد تُبَّع بن حسان
أعظم تبابعة الدولة الحميّرية
في القرن الخامس الميلادي

قال علقمةُ بن ذي جَدَنْ: ـ

قد كان حسانُ في ذؤابة غُمْدَانْ	قريراً بعيشِ مَنْ رَغَدَا
يخدُمه مِنْ سَرَاة حِمْيَر ألفانْ	قياماً لن يقعدوا أبدا
إن سَارَ ساروا حواليه صَفَانْ	ولا يبعدون إذا بعدا[1]

وحسان هذا هو الملك حسان تُبّع بن عمرو ذي غيمان بن أخسين بن كَبْرَ إل بن هامن الحميري قال نشوان في قصيدته عن ملوك حمير: ـ

أم أينَ ذو غَيْمانَ أو ذو شَوْذبِ اللاهِي ببيضٍ في النساء مِلاح.

ثم قال: «ذو غيمان ـ الذي يُنسب إليه غيمان ـ ابن أخنس بن كِبْرَ إل بن هامن أصبح بن زيد بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر»[2].

وقال الحسن الهمداني في الإكليل: ـ

«أولد كَبْرَ إلّ بن هامّن: أخْنَسَ وزيداً ابني كَبْرَ إل. فأولد أخنسُ: ذا غَيْمانَ، والفياض، وشُرحبيل، ويُعفر، أربعة نفر بني أخنس.

فأولد ذو غيمان بن أخنس: زُرعة وحسانَ ابني ذي غيمان.

فأولد حسان بن غيمان: يأمَنَ ونحفان وباقر.. وأولد زُرعة بن ذي

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٧/ ٨.

(٢) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٨٢.

غيمان: الحارث بن زُرعة، فأولد الحارث بن زُرعة بن ذي غيمان: هاتك عرشه واسمه الحارث بن الحارث.

..وأولد زيد بن كَبْر إل: عَمراً ذا الكباس بن زيد بن كبر إل، والحارث بن زيد بن كبر إل ..وأولد الأخنس بن الحارث: ذا الصولع قائد أسعد.. وأولد مرثد بن الأخنس: ذا أسال قائد أسعد تُبّع»[١].

ونذكر على ضوء ذلك ما يلي: ـ



ذو غيمان والد حسان وجدّ أسعد بن حسان

لقد ذكرنا في أنباء أبي كَرِب أسعد الأول ملك سبأ أنه «أبو كَرِب أسعد/ بن ملكي كَرِب/ بن ثاران يُهنعم/» وكان من أبنائه الملك (حسان يهامن/ بن أبي كَرِب أسعد)، فأولئك كانوا من ملوك دولة سبأ التبابعة في قرون ما قبل ميلاد المسيح.

أما الملك حسان تُبَّع بن عمرو ذي غيمان، فيلزم تمييزه بأنه حسان الثاني، وهو «حسان بن ذي غيمان بن أخنس [أخسين] بن كَبْرَ إل بن هامن الحميري». وكان والده (ذو غيمان) صاحب وزعيم أذوائية وقصر غَيْمان. وتقع غيمان في ناحية بني بهلول جنوب مدينة صنعاء. قال الحسن الهمداني في الإكليل: «ومنها قصر غيمان واسمه المِقلاب وكان عجيباً، وكان فيه حائط مدوّر فيه خروق أو كوىً على جنبات المشارق والمغارب أي على درج المَيل لتقع الشمس كل يوم في كوةٍ منها، وفيها مقبرة عظماء حِمير الملوك. وقال أسعد تُبّع: ـ

وغيمَان محفوفة بالكروم لها بهجة ولها منظرُ
بها كان يُقبرُ مَنْ قد مضى مِن آبائنا وبها نُقبرُ»[٢]

فذو غيمان هو جد أسعد تُبّع بن حسان، فهما (حسان وأسعد) من

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٣٩/ ٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٦٩/ ٨.

غيمان، وكان ذو غَيْمان من كبار الأذواء الأقيال في عهد الملك عبد كُلال بن ذي رُعين والملك مرثد بن عبد كُلال الذي حكم في الفترة (من ٤٨٤ ـ ٥٢٣ حميرى/ = ٣٦٩ ـ ٤٠٨ م) ثم إلى أوائل عهد وليعة بن مرثد بن عبد كُلال بالربع الأول من القرن الخامس الميلادي، ثم انتقلت زعامة أذوائية غيمان والمناطق التابعة لها إلى حسان بن ذي غيمان الذي ما لبث أن أصبح ملكاً تُبّعاً للدولة الحميرية.

٢

ملوكية حسان تُبّع بن ذي غيمان ومعالم عهده

لقد بدأ عهد «حسان بن عمرو ذي غيمان بن أخسين بن كبر إل» في نفس عهد الملك وليعة بن مرثد بن عبد كُلال الذي حكم في الفترة (٤٠٨ ـ ٤٤٥ م) إذْ أنه ـ كما جاء في تأريخ ابن خلدون ـ «إن الملك وليعة بن مرثد كثرت الخوارج عليه، وتغلب أبرهة بن الصباح بن شرحبيل على تهامة اليمن. . ومَلَكَ أيضاً ذو قيفان بن شراحيل ذي يزن تسع عشرة سنة، ثم مَلَك حسان بن عمرو سبعاً وخمسين سنة». [أهـ].

فكان ذو قيفان بن ذي يزن ـ (وهو من أحفاد ملشان ذي يزن) ـ ملكاً بمناطق أذوائية يزن والنصف الشرقي من اليمن في نفس عهد الملك وليعة بن مرثد، واسم ذي قيفان بريل، وقد تم العثور على نقش مسند باسمه في موقع (شعب ينبق) وجاء اسمه ولقبه في النقش كما يلي ـ

«بريل/ ذو يزن/ ويلغب/ كبير/ أقيال/ رثحم/ وضيفتن/ ومشرقن»(١).

ومات ذو قيفان بريل بن ذي يزن حوالي عام ٤٣٠ م، فتحالف حسان بن ذي غيمان مع بني بريل بن ذي يزن ـ أسرة ملشان ـ وبني كبر إلْ في رئاسة أغلب أرجاء اليمن. ثم شمل حكم حسان منطقة ظفار وما إليها من غرب اليمن وانتهى حكم وليعة بن مرثد بن عبد كُلال هناك

---

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ النقش رقم ٣٨ ينبق.

ـ حوالي عام ٤٤٥ م ـ وسار الملك حسان من غيمان وصنعاء إلى ظفار فاكتملت له رئاسة الدولة الحميرية حيث ـ كما ذكر المسعودي ـ «كان في ظفار دار التبابعة حسان بن عمرو». وذلك حين شمل حكمه ظفار وبقية اليمن.

وقد تم العثور على نقش مسند مؤرخ بعام ٥٦٠ للتقويم الحميري (= ٤٤٥ ميلادي) من عهد حسان وستة أقيال مساعدين له في الحكم، وقد انطمست بعض الحروف والأسماء من النقش، وبقي من حروف الأسماء واللقب أنهم: ـ

«..ن/......وم/ يزيد/ و....../ و.....زيد/ وسفم يهسكر/ وملشن يهنم/ ذوويزن/ ويلغب/ وبنو كبر إل/ وأخسين/ وصدقين/ وذي يصبر/ كبار أقيال ردن [ريدان/ ردمان؟] وضيفتن/ ورثحم/ وصيدهم/ ومعقبيهم».

ويذكر النقش أنهم «شيّدوا مدرجات ومنشآت للريّ صنعوها من أعاليها إلى أسافلها بالجير (GYR) والجص (GSS) من أعالي وادي عماقين إلى وادي حبان. وذلك في خريف عام ستين وخمسمائة ـ بالتقويم الحميري ويوافق عام ٤٤٥ ميلادية[(١)].

وقد جاء في النقش ذكر (بني كبر إل/ وأخسين) وقد ذكرهم الهمداني في الإكليل ومنهم (حسان بن ذي غيمان بن أخنس [أخسين] بن كبر إل/ وزُرعة بن ذي غيمان/ والفياض بن أخنس/ وزيد بن كبر إل». وكذلك ذكر النقش سيف يهسكر [سفم يهسكر] وملشن يهنم، وهما من آل ملشان ذي يزن، واشترك السبعة في رئاسة أرجاء الدولة الحميرية وكان الملك منهم هو حسان بن عمرو ذي غيمان، وهو حسان تُبّع لأن حكمه شمل كل اليمن بمدلوله الواسع القديم وامتد إلى شمال الجزيرة العربية وشرقها. قال ابن خلدون: «كان يخدم ملوك حمير أبناء الأشراف من حمير وغيرهم، وكان ممن يخدم حسان تُبّع: عمرو بن حُجر سيّد كندة لوقته. وأبوه حُجر هو الذي تُسميه العرب آكل المُرّار.. وكان تُبّع لما

---

(١) النقش رقم ٥٠٨٥ روبان. ورقم RY 304.

دوَّخ بلاد العرب وسار في الحجاز وَلّى على معد بن عدنان كلها حُجر بن عمرو آكل المرار فدانوا له، وسار فيهم أحسن سيرة ثم مات، ومَلَكَ من بعده ابنه عمرو المقصور ابن حُجر، وكان عمرو أخا حسان تُبّع لأُمّه..» وقال الهمداني في شرح الدامغة «كانت أم عمرو المقصور ابنة حسان، ورَتّبَه بالمشقر حصن البحرين» ـ والأصوب أنه (كان عمرو المقصور أخا حسان تُبّع لأمّه) وكانت ابنة حسان زوجة عمرو المقصور حيث قال الطبري: «..فولدت بنت حسان لعمرو بن حجر: الحارث بن عمرو» [أهـ] فكان الأمير عمرو المقصور ابن حُجر الكندي ملكاً نائباً على قبائل ومناطق معدّ بن عدنان بالحجاز ونجد وكان مقره حصن المشقر بالبحرين وذلك في عهد حسان تُبّع وفي إطار الدولة الحميرية التي شمل حكمها في عهده كل أرجاء الجزيرة العربية.

وكانت مدينة صنعاء هي عاصمة اليمن والدولة الحميرية ـ بل عاصمة الجزيرة العربية ـ في عهد حسان تُبّع بن ذي غيمان، وكان مقر حكمه قصر غُمدان العظيم بصنعاء، وفي ذلك قال علقمة بن ذي جدن:

قد كان حسان في ذؤابة غُمدانْ قريراً بعيش مَنْ رَغَدا
يخدمه مِن سَرَاةَ حِمْير ألفانْ قياماً لن يقعدوا أبدا
إن سار ساروا حواليه صفانْ ولا يبعدون إذا بعدا

وانتهى عهد حسان تُبّع بوفاته في صنعاء حوالي عام ٥٧٢ للتقويم الحميري الموافق عام ٤٥٧ ميلادية وكان مؤمناً بالديانة التوحيدية المسيحية الأولى التي استمرت ديانة رئيسية باليمن في عصر دولة تبابعة حمير، وتم دفن الملك حسان في صنعاء أو في غيمان (جنوب صنعاء) وقد تم كشف مقبرته بعد الإسلام حيث قال ابن خلدون: «قال أبو المنذر هشام ابن الكلبي في كتاب الأنساب، ونقلته من أصل عتيق بخط القاضي المُحدِّث أبي القاسم ابن عبد الرحمن بن حبيش، قال: ذكر الكلبي عن رجل من ذي الكلاع قال: أقْبَلَ رجلٌ ـ اسمه قيس ـ يحرق موضعاً في اليمن، فأبدى عن أزج فدخل فيه، فوجد سريراً عليه رجل ميت وعليه جباب وشيّ مذهبة وفي رأسه تاج وبين يديه محجن من ذهب وفي رأسه ياقوتة حمراء، وعند رأسه لوح مكتوب فيه: بسم اللّه رب حمير أنا حسان بن

عمرو القَيْل . . »[١] وهو الملك حسان بن عمرو ذي غيمان ملك الدولة الحميرية، وقد توفي بصنعاء حوالي عام ٤٥٧م في أواسط القرن الخامس الميلادي .

٣

صنعاء والقصر غُمدان في عهد أسعد تبَّع بن حسان.. ومعالم عهده

قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي اللَّه عنه : ـ

«وأسعدُ كان الناس تحت سيوفه   حَوَاهُم بِمُلْكٍ شَامخٍ ليس يُقْهَرُ
تَواضَعُ أشراف البرية كُلها   إذا ذُكِرَتْ أشرافُها الصِيدُ حِمْيَرُ»[٢]

وقال حذيفة بن غانم القُرشي في أبيات ذكرها ابن هشام في السيرة النبوية : ـ

«وأسْعَدُ قَادَ النَّاس عشرين حِجَّةً   يُؤيَّدُ في تِلْكَ المواطِنِ بالنصر»[٣]

وقوله : «عشرين حِجَّةً» أي «عشرين عاماً» وهي مدة حكم الملك أسعد تُبَّع بن حسان، وكان حكمه بعد أبيه الملك حسان بن عمرو بن ذي غيمان، فتكون فترة حكمه من عام ٥٧٢ ـ ٥٩٢ للتقويم الحميري ويوافق ذلك عام ٤٥٧ ـ ٤٧٧ ميلادية ـ في القرن الخامس الميلادي ـ.

ويخلط كثير من الإخباريين والدارسين بين الملك أبي كرب أسعد تُبَّع ملك سبأ، وبين الملك أسعد تُبَّع بن حسان ـ هذا ـ ملك الدولة الحميرية، بسبب واحدية إسميهما (أسعد)، واشتهار كليهما ـ شعبياً ـ بلقب (تُبَّع). ونشير هنا إلى أن من نقاط التمييز الرئيسية بينهما : ـ

أ ـ أن أبا كَرِب أسعد من ملوك سبأ التبابعة وهو ـ كما في نقوش المسند ـ «أبو كَرِب أسعد/ بن ملكي كَرِب/ بن ثاران يُهنعم/ بن ذمر علي يُهبر». وهو تُبَّع المقصود في قول اللَّه تعالى : ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ

(١) تأريخ ابن خلدون ـ ص٤٨ جـ٢.
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٠٠.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص١٩١ جـ١.

تُبّعٍ﴾. حيث قال ابن كثير في تفسير الآية: «قوم تُبّع هُم سبأ». وقال القرطبي: « . . وهو أبو كَرِب أسعد تُبّع . . وكان بين اليوم الذي مات فيه أسعد تُبّع وبين اليوم الذي بُعث فيه النبي محمد ﷺ ألف سنة»[١]. وذكر الحسن الهمداني في الإكليل أنه: « . . في أيام بُخت نصَّر ـ ملك بابل ـ. كان عهد أسعد تُبّع وأيام حسان بن أسعد»[٢]. وقد كان بُخت نصّر (نبوخذ نصّر) ملك بابل في القرن السابع قبل الميلاد، ويتطابق ذلك مع نقوش المسند بأن أبا كَرِب أسعد من ملوك سبأ التبابعة وأن نقوش عهده وعهود أبنائه مؤرخة بالتقويم السبئي، ومنها نقش «ملكي كَرِب/ وابنه/ أبي كَرِب أسعد» المؤرخ بعام ٤٩٣ للتقويم السبئي ويوافق عام ٧٢٧ قبل الميلاد، ونقش عهد «أبي كَرِب أسعد» في موقع ريده المؤرخ بعام ٥٤٣ للتقويم السبئي (ويوافق عام ٦٧٧ق.م.) ونقش الملك «شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد» في مأرب المؤرخ بعام ٥٦٥ للتقويم السبئي (ويوافق عام ٦٥٥ق. م.) إلى نقش الملك «معدي كَرِب يعفر/ أخو ذرا أمر (عمرو) بن حسان يُهأمن/ بن أبي كَرِب أسعد» المؤرخ بعام ٦٣١ للتقويم السبئي (ويوافق ٥٨٩ق.م.) فذلك القرن السابع إلى القرن السادس قبل الميلاد هو عصر أبي كَرِب أسعد بن ملكي كَرِب وأبنائه، وهُم من ملوك دولة سبأ التبابعة. ويتطابق ذلك مع ما ذكره الهمداني بأن بُخت نصّر ملك دولة بابل كان في عصر أبي كَرِب أسعد وأبنائه، وذلك في القرن السابع قبل الميلاد.

ب ـ بينما أسعد تُبّع الثاني هو من ملوك الدولة الحميرية في القرن الخامس الميلادي وهو نجل الملك حسان الذي هو «حسان بن عمرو ذي غيمان بن أخنس بن كَبْرَ إل بن هامن الحميري» ومن عهده نقش موقع وادي حبان المؤرخ بعام ٥٦٠ للتقويم الحميري (ويوافق عام ٤٤٥ م) في القرن الخامس الميلادي ثم حكم بعده أسعد تُبّع بن حسان. قال ابن خلدون: « . . مَلَكَ تُبّع بن حسان على حِمْيَر وهابته العرب. وبعث بابن أخته الحارث بن عمرو الكندي في جيش عظيم إلى بلاد

(١) تفسير أحكام القرآن ـ القرطبي ـ سورة الدخان.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠١ جـ٨.

معدّ والحيرة وما والاها.. وذلك في أيام قباذ ملك فارس»[١]. وكان عهد قباذ ملك فارس في الفترة ما بين ٤٦٤ ـ ٥١٧م في القرن الخامس الميلادي، وذلك هو زمن أسعد تُبّع بن حسان حيث حكم عشرين سنة (من ٤٥٧ ـ ٤٧٧ م) ثم حكم بعده (لحيعة يرخم ذو جدن) ثم «شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم» وله نقش مؤرخ بعام ٥٩٥ للتقويم الحميري ويوافق عام ٤٨٠ ميلادية[٢]. ويتطابق ذلك مع معاصرة أسعد تُبَّع بن حسان ونائبه الحارث بن عمرو الكندي لكسرى قباذ ملك فارس في القرن الخامس الميلادي.

لقد وُلِد أسعد في غيمان ـ جنوب مدينة صنعاء ـ لأن أباه هو «حسان بن ذي غيمان بن أخنس بن كَبْرَ إل» ـ ولذلك جاء ذكر (غيمان) في أخبار وأشعار أسعد تُبَّع كقوله في أبيات بالإكليل: ـ

وغيمان محفوفة بالكروم ... لها بهجة ولها منظرُ

وترعرع ونشأ أسعد تُبّع في صنعاء والقصر غُمدان لأن غُمدان كان مقرُّ أبيه الملك حسان، وقال علقمة بن ذي جدن في ذلك: ـ

قد كان حسان في ذؤابة غُمدان ... قريراً بعيش مَنْ رَغَدا

ولما توفي الملك حسان تَسَنّم أسعد تُبّع عرش تبابعة الدولة الحميرية في قصر غُمدان بمدينة صنعْاء ـ (عام ٤٥٧ م) ـ فكانت صنعاء هي عاصمة اليمن والدولة الحميرية في عهد أسعد تُبّع الذي دام عشرين سنة (٤٥٧ ـ ٤٧٧ م) وهو زمن كان الشعر قد شاع فيه لأنه قبل مولد النبي محمد ﷺ بمائة سنة فقط، وذلك الزمن يُعزز ما ذكره نشوان والهمداني وغيرهما بأنه: «كان أسعد تُبّع ملكاً عظيماً، شاعراً فصيحاً». فكان لمدينة صنعاء حظها من شعر أسعد تُبّع ـ أو الشعر المنسوب إليه ـ حيث قال الحسن الهمداني في الإكليل: «قال تُبَّع يصف صنعاء وما حولها»: ـ وكذلك قال الرازي: «قال تُبّع يصف صنعاء وغُمدان وما حولها: ـ

دَارُنا الدَّارُ ما تُرَام اهتِضَاما ... مِنْ عَدُوٍ ودارُنا خَيْرُ دَارِ

---

(١) تأريخ ابن خلدون ـ ص٥٦ جـ٢.

(٢) النقش رقم ٤٠٦٩ ريمي.

إِنَّ قَحْطَانَ إذْ بَنَاهَا، بَنَاهَا بَيْنَ بَرِّيَّة وبَيْنَ (بَحَارِ)
نُطِّقت بالكُروم والنَخْلِ والزَّر ع وأصناف طيِّب الأَشْجَارِ
وتسيحُ العُيُونُ فيها فما إنْ تَسْمَعُ إلَّا تَسَلْسُلَ الأَنْهارِ
ليسَ يُؤْذِيهم بها وَهَجُ الحرّ ولا القَرّ في زَمَانِ إقْترارِ
طَابَ فيها الطعام والماء والنو م ولَيْلُ مُطَيَّبُ كالنَّهارِ
إن آثَارَنا تَدُلُّ عَلَيْنا فانْظُروا بَعْدَنا إلى الآثارِ»[١]

ومن مدينة صنعاء انطلق الملك أسعد تُبّع لمنازلة «عمرو ذي الكباس بن زيد بن كَبْرَ إل»، وقد جاء ذكر «زيد بن كَبْرَ إل» كواحد من كبار الأذواء في نقش عهد حسان بن ذي غيمان بن أخنس بن كبر إل ـ المؤرخ بعام ٥٦٠ للتقويم الحميري (= ٤٤٥ م). قال الهمداني في الإكليل «وأولد زيد بن كبر إل: عمراً ذا الكباس بن زيد بن كبر إل»[٢]. فكان عمرو ذو الكباس يتزعم مناطق من اليمن ـ ما بين منطقة شرعة ومنطقة ظفار وغيرها ـ وكان عمرو ذو الكباس بمثابة (ملك) هناك في أوائل عهد أسعد تُبّع بن حسان، فاندلع بينهما صراع على رئاسة الدولة الحميرية، فسار أسعد بجيشه من صنعاء، وسار إليه عمرو ذو الكباس بجيشه من مناطق ظفار وما إليها، فالتقيا في حقل شرعة ـ الذي يقع في منطقة عنس بمحافظة ذمار حالياً ـ. قال الهمداني في شرح الدامغة: «لما صار أسعد تُبّع بحقل شرعة، ناصبه ذو الكباس الحرب، وأخذت حِمْيَرُ مصاف الحرب بينهما، فقال له أسعد: لا يحسن أن نُصادم بين حِمْيَر ولا نولغ أسيافها بدمائها ولكن إبرُزْ لي فإن ظفرتَ بي كنتَ أمْلَكَ بهم وإن ظفرتُ بك احتويتُ عليهم، ولم نهرق بينهم محجم دم. فبرز له ذو الكباس فقتله أسعد في أول جولة واستولى على أمره. وفي ذلك قال علقمة بن ذي جدن: ـ

ومِنّا الذي وافَى لشِرعة مُعْلماً مُظَاهِرُ سربال الحديد ظهارا»[٣]

(١) تأريخ مدينة صنعاء ـ الرازي ـ ص ٢٣ـ والإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٧ جـ٨.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٣ جـ٢.
(٣) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٩٥.

ـ يعني أسعد تُبَّع بن حسان ـ واستقر أسعد في قصر ريدان بمدينة ظفار، وانضوى تحت سلطانه كل أذواء وأقيال حِمْيَر وسائر أرجاء اليمن إلى حضرموت ومفاوز عُمان شرقاً والبحر الأحمر غرباً وعدن جنوباً ونجران إلى تخوم الحجاز واليمامة شمالاً، وقال أسعد تُبَّع في قصيدة ذكرها الهمداني في الإكليل: ـ

ظفرنا بمنزلنا من ظفار وما زال ساكنُها يظفرُ
وما هَكِرُ من ديار الملوك بدار هَوان ولا الأهجرُ
وبينون مبهومة بالحديد ملازبها الساجُ والعَرْعرُ
. . وغُمدان قصرٌ لنا مُشرفٌ مآجله حوله تزفرُ[١]

وعاد أسعد من ظفار إلى قصر غُمدان بصنعاء، وكان من قادة وأقيال ونواب أسعد تُبَّع بن حسان: عبد كُلال الثاني بن عَريب بن فهد بن ذي رُعَيْن، في ظفار وما إليها من مناطق حِمْيَر وغرب اليمن، والقائد يزيد ذو الكُلاع بن يُعفر بن زيد الكلاعي الحميري، قال الهمداني: « . .أولد يعفر بن زيد: يزيدَ ذا الكلاع، وهو أحد قوّاد أسعد تُبَّع، وفيه يقول تُبَّع: ـ

وجعلنا على المجنَّبة اليُمنى أخا الحرب ذا الكُلاع يزيدا»[١]

والقائد القَيْل عامر بن سيفم ذي يزن، قال الهمداني في الإكليل: «عامر ذو يزن أحد أقيال حِمْيَر العظماء. . فأولد عامر ذو يزن: سيف بن عامر. قال أبو نصر اليهري: سيف بن عامر ذي يزن صهر أسعد تُبَّع في زمانه كان»[١]. وقد جاء في نقش عهد حسان المؤرخ بعام ٥٦٠ للتقويم الحميري (٤٤٥ م) إسم «سيفم يهسكر ذي يزن»[٢] وكان سيفم يهسكر ذو يزن من كبار أذواء عهد حسان تُبَّع، وكذلك كان (عامر ذو يزن) في عهد أسعد تُبَّع بن حسان من كبار الأذواء، وكان أميراً نائباً لأسعد في مناطق أذوائية يزن ومناطق عدن وأبين وشبوه إلى حضرموت والمهرة ومفاوز عُمان. قال الهمداني: «قال ابن الصرحي اليعفري:

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٩١ وص٢٦٤ وص٢٥٦ جـ٢.
(٢) النقش رقم ٥٠٨٥ روبان.

إن عامراً ذا يزن تزوج ابنة أسعد تُبَّع، وكان عنده مكيناً، فمرّت به يوماً في مجلسه من بعض قصوره، بُنيَّة لذي يزن من بنته، فقرّبها أسعد تُبَّع ثم قال: ـ

«يا ابْنَة القَيْل ذي يَزَنْ جَدّك اليوم خَيْرُ مَنْ
حلّ في ذروة اليمن بين صنعاء إلى عدن»[١]

وهذا أقدمُ شعر جاء فيه ذكر عدن، وكان أسعد في قصر غُمدان بصنعاء وهو المقصود بذروة اليمن. وكذلك كان من الأمراء النواب في عهد أسعد: القَيْل جَعّال بن عبد بن ربيعة بن نهم البكيلي الهمداني رئيس قبائل بكيل وغيرها إلى وائلة وأطراف نجران. قال الحسن الهمداني: «وكان جَعَّال مكيناً عند أسعد تُبَّع، ومَلّكه أسعد على بكيل، وله معه أخبار عجيبة يطول ذكرها، وهو القائل:

بَنَى لنا أوّلونا فوق عالية مجداً دعائمه من تحته زلقُ
حتى استوينا على أشراف رابية عند الثريا بها الأرواح تختفقُ»[٢]

وكان من الأمراء الأقيال النواب أيضاً في عهد أسعد تُبَّع بن حسان: القَيْل الديان بن قَطَن الحارثي المذحجي زعيم نجران ومخاليفها إلى تخوم الحجاز واليمامة. وفيه قال الشاعر:

يقود بها ديَّانُها غير عاجزٍ ثمانين ألفاً قادها من براقش

وكانت أخت الديان بن قَطَن زعيم نجران زوجة أسعد تُبَّع بن حسان وكان حكم أسعد تُبَّع يشمل كل أرجاء اليمن بمدلوله الواسع القديم. وكان حُجّابُ الملوك التبابعة بأطراف مناطق اليمن حيث كما جاء في الإكليل: «إن الملوك التبابعة كان حُجّابهم من جهة الجنوب بعدن، وفي الشرق بِعُمان، وفي الغرب بغلافقة [وهي في ساحل البحر الأحمر]، وفي جهة الحجاز بطلحة الملك»[٣].

وامتد حكم أسعد تُبَّع بن حسان إلى الحجاز ونجد واليمامة

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٦ جـ٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٩٧ـ الجزء العاشر.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٦ جـ٢.

والبحرين، قال ابن خلدون: «لما مَلَكَ تُبّع بن حسان على حِمْيَر وهابته العرب، بعث ابن أخته الحارث بن عمرو المقصور ابن حُجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معدّ والحيرة وما والاها»[١]. وكان مسير الحارث بن عمرو مع الملك أسعد تُبّع بن حسان من اليمن إلى بلاد معدّ في نجد والحجاز وإلى البحرين بمدلولها الواسع القديم، حيث ـ كما ذكر الهمداني ـ «خرج تُبّع بن حسان في بعض غزواته فلما قَفَلَ رتّبَ ابن أخته الحارث بن عمرو الكندي في حصن المُشقر ـ بالبحرين ـ»[٢]. وقال الهمداني في الصفة: «نهر مُحَلِّم بهجر البحرين، ومُحَلِّم نهر عظيم، يُقال: إن تُبّعاً نزل عليه فهالَهُ»[٣] وفي ذلك المسير لتُبّع أسعد بن حسان إلى البحرين واليمامة ونجد استخلف وولّى الحارث بن عمرو الكندي على البحرين وقبائل معدّ العدنانية بمناطق نجد والحجاز إلى تخوم بلاد الحيرة بالعراق وبادية الشام، ثم عاد من تلك الجهات إلى قصر غُمدان بصنعاء، وقال في أبيات ذكرها نشوان الحميري: ـ

«فلما قضيتُ الأمر في كل بلدة توجهت أرضي أعمد الدار قافلا
فأمسيتُ في غُمدان في خير محفد منيعاً وصنعا من حذاها المآجلا»

فكانت مدينة صنعاء هي عاصمة اليمن وكل الجزيرة العربية في عهد أسعد تُبّع بن حسان لأن مقرّه كان قصر غُمدان بصنعاء، وقام أسعد بالزيادة في بنيان قصر غُمدان وتفخيمه حتى صار كما قال ربيع بن ضبع الفزاري: ـ

وغُمدان إذْ غُمدان لا قصر مثله زهاء وتشييداً يُحاذي الكواكبا

قال ابن المجاور: «كان التبابعة من ملوك اليمن لهم رغبة نفيسة وهمّة عالية في عمارة غُمدان، وكل ملك تولى منهم كان يُعلّي قصراً على قصر حتى ارتفعت تلك القصور اثنين وسبعين سقفاً، وآخر من بنى به أسعد الكامل، بنى قصراً من زجاج وهو الخاتمة»[٤]. والمقصود بأسعد

(١) تأريخ ابن خلدون ـ ص٥٦ جـ٢.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص١٢٦.
(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٠٦.
(٤) تأريخ المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص١٠٨.

الكامل هنا هو أسعد تُبّع بن حسان، وكان غُمدان عدة قصور يجمعها فناء واحد، وكان القصر الرئيسي عشرين طابقاً أو سبعة وعشرين طابقاً، وقام أسعد تُبّع بن حسان ببناء عدة طوابق من الياجور وغرفة زجاجية في قمة قصر غُمدان. ولم يزل أسعد في قصر غُمدان إلى آخر عهده، وقد ذكر نشوان الحميري أنه في آخر عهده (قال أسعد تُبّع قصيدة منها الأبيات التالية: ـ

حُمّيك يا غُمْدان مِنْ بعدنا ... ولست للتعطيل مستاهل

نحنُ رفعنا علو آجرِّه ... بألف ألفٍ عدّها القائل

ومِن زجاج فوقه خلوة ... خضراء مثل القضبة الباقل

أبصارها للناس عليَّة ... لا شارب فيها ولا آكل

حُمّيك يا غُمدان مِنْ بعدنا ... حمّيك يا غيمان والماجل

فيه ثمانون مِنْ أموالنا ... كيلاً وألفا ذهب حاصل

ألف لجام فيه من فضة ... لألف مهر أدهم صاهل

ألفيّ لجام فيه من عسجدٍ ... أيضاً لألفيّ مهرة حامل

إذن تركناه لأولادنا ... لكن خشينا الوارث العائل

فربما قد يلد المجتبي ... نكساً ذليلاً عرضه باذل

وربما قد يلد المجتبي ... ليثاً هُماماً ضيغماً باسل

. . . وقال أسعد: ـ

ولقد علمتُ لئن هلكتُ وأوحَشَتْ ... مني ظفار وعُطِّلَتْ غُمدانُ

فَلَيُفْقَدنّ من الملوك عظيمُها ... ولتَفْقَدَن حليفها التيجانُ»[١]

وكان أسعد تُبّع بن حسان مؤمناً بالديانة المسيحية الأولى التي ليس فيها تأليه المسيح، وهي المذهب المسيحي النسطوري، ومما يشير إلى ذلك ما ذكره بيوتروفسكي قائلاً: «إن النسطوريين في نجران أيّدوا إجراءات الملك أسعد الحميري»[٢] وكانت كنيسة صنعاء (قليس صنعاء)

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٣١.

(٢) اليمن قبل الإسلام ـ ملحمة أسعد ـ ص٢٤٢.

وكنيسة ظفار (قليس ظفار) موجودة في عهد أسعد تُبّع بن حسان، وكانت المسيحية منتشرة في عدة مناطق من اليمن. وقال بيوتروفسكي: «إن من الدلائل النقوشية بصدد الديانة المسيحية في اليمن: خدوش منقورة ورسوم صلبان ونقوش في ضواحي نجران وحضرموت.. ونقش باسم برق بن مالك بن عبد المسيح في القرن الخامس الميلادي»(١). وكما بشر الملك أبو كَرِب أسعد الأول ملك سبأ والسيد المسيح عليه السلام بالنبي محمد ﷺ فقد بشر به أيضاً الملك أسعد تُبّع الثاني بن حسان في القرن الخامس الميلادي وهو ـ غالباً ـ أسعد تُبّع الذي ذكرت كتب التأريخ التراثية أنه «قال أسعد تُبّع: ـ

شهدتُ على أحمدٍ أنّه رسولٌ من اللّه باري النسم
نبيٌّ وجدناه في كُتْبِنا به يُهتدى وبه يُعتصم
فلو مدّ عمري إلى عُمره لكنتُ وزيراً له وابن عمّ
وألزمت طاعته كل مَنْ على الأرض من عربٍ وعجم»

قال ابن كثير: «ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم، وكان عند أبي أيوب الأنصاري رضي اللّه عنه»(٢). وقد انتهى عهد أسعد تُبّع بن حسان بوفاته في صنعاء أو في غيمان، وتم دفنه في غيمان جنوب صنعاء حيث ما تزال بعض مآثر أسعد ومنها أطلال قصر أسعد باقية حتى اليوم، وكان من اليوم الذي مات فيه أسعد تُبّع بن حسان ـ (عام ٤٧٧ ميلادي) ـ واليوم الذي بشّر فيه سيف بن ذي يزن بالنبي محمد ﷺ ـ (عام ٥٧٢ م) ـ نحو خمس وتسعين سنة تعاقب فيها على حكم اليمن عدد من الملوك ثم احتل الأحباش صنعاء ومناطق من اليمن عام ٥٣٣م وقضى عليهم سيف بن ذي يزن عام ٥٧٢م.

---

(١) اليمن قبل الإسلام ـ ملحمة أسعد ـ ص٢٤٢.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦٦ جـ٢.

عهد سيف بن ذي يزن
وتبشيره بالنبي محمد ﷺ في صنعاء

قال الشاعر الجاهلي أميّة بن أبي الصَّلت الثقفي يهنىء الملك سيف بن ذي يزن في قصر غُمدان بمدينة صنعاء: ـ

لا يطلبُ الثأر إلا كابن ذي يَزَنٍ ... في الحرب ريّم للأعداء أهوالا

أرْسَلْتَ أُسْداً على سُودِ الكِلاب فقد ... أمْسَى شَريدُهُمُ في الأرض فُلّالا

فاشربْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً ... في رأس غُمْدانَ داراً مِنْكَ مِحْلالا

قصرٌ بناهُ أبوكَ القَيْلُ ذو يَزَنٍ ... فهل ترى أحداً نال الذي نالا

مُنَطَّقاً بالرُخام المستزادِ له ... ترى على كل ركن منه تمثالا

واشرب هَنِيئاً فقد شَالَتْ نَعَامَتُهُم ... وأسْبِل اليَوْمَ في بُرْدَيْكَ إِسْبَالا[1]

تِلكْ المكارِمُ لا قَعْبَان مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بِمَاءٍ فعادا بعد أبوالا[2]

وغني عن البيان أن صنعاء وبعض مناطق اليمن كانت قد وقعت تحت الغزو والاحتلال الأكسومي الحبشي المسنود من الرومان عام ٥٣٣ م، وكان الملك معدي كَرِب يعفر بن سميفع ذي يزن قد تصدّى للأحباش حيث قال نشوان الحميري: «جمع النعمان بن عفير والد سيف بن ذي يزن جموعاً من أهل اليمن، وقَاتَل الحبشة في السحول فهزموه إلى حقل شِرعة فيمن تبعه من أهل اليمن، ولحقهم الحبشة فقاتلوهم، فلم يكن بهم طاقة»[3]. واسم النعمان معدي كَرِب يعفر بن سميفع ذي يزن، وكان ملكاً في النصف الشرقي من اليمن ومنطقة سرو حمير، بينما خضعت صنعاء وبعض المناطق لحكم أبرهة الأكسومي والأحباش، وهَلَكَ أبرهة في عام

---

(١) شالت نعامتهم: أي هلكوا، يعني الأحباش. والبُرد: ـ ثوب ملوك وأقيال اليمن وجمعها برود.

(٢) قعبان: تثنية قعب وهو قدح يُحلب فيه. وشيبا: خُلطا ومُزجا.

(٣) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٤٩.

الفيل ـ عام ٥٧٠ م ـ فحكم بعده ابنه مسروق بن أبرهة بينما تولى الحكم في سرو حمير والنصف الشرقي من اليمن سيف بن ذي يزن عام ٥٧١م فجمع مائة ألف مقاتل من فرسان اليمن وأمدّه كسرى أنوشروان بستمائة رجل من الفرس، فزحف سيف إلى صنعاء وهزم الأحباش وملكهم مسروق بن أبرهة في موقعة غيمان ـ جنوب صنعاء ـ ودخل سيف وأقيال وفرسان اليمن مدينة صنعاء فاستقر سيف في عرش آبائه وأجداده بقصر غُمدان في صنعاء عاصمة الدولة الحميرية. قال ابن دريد: ـ

وسيفٌ استعلت به همّته حتى رمى أبعد شأو المُرتمى
فجرّع الأحبوش سُمًّا ناقعاً واحتلّ من غُمدان محراب الدُمى

قال الحافظ ابن كثير: «لما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبشة وذلك بعد مولد رسول اللّه ﷺ بسنتين، أتته وفود العرب وشعراؤها تُهنئه وتمدحه وتذكر حسن بلائه، وأتاه فيمن أتاه وفد قريش، فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأُمية بن عبد شمس، وعبد اللّه بن جدعان، وخويلد بن أسد، في أُناس من وجوه قريش، فقَدِموا عليه صنعاء فإذا هو في رأس غُمدان الذي ذكره أُمية بن أبي الصّلت بقوله:

واشربْ هَنِيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غُمدانَ داراً مِنك محلالا

فدخل عليه الآذن، فأخبره بمكانهم، فأذن لهم»[١].

وقال ابن خلدون: «لما استقل سيف بن ذي يزن بِمُلك اليمن وفَدَت العرب لتهنئته بالمُلك ولِمَا أرجع من سلطان قومه وأباد من عدوهم..»[٢]. وقال نشوان الحميري: «وَفَدَ إلى سيف بن ذي يزن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد رسول اللّه ﷺ في وجوه قريش يهنئونه بالظفر على الحبشة وما أيّده اللّه به، فاستأذنوا بالدخول عليه، فأذن لهم سيف بن ذي يزن ـ فدخلوا إليه ـ وعن يمينه ويساره المَقاولُ وأبناء المَقَاول ـ أي الأقيال ـ وهو ينفح بالمسك والعنبر، وعليه حُلل القزّ والحرير»[٣]. ـ وكان ذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنتين ـ أي في عام ٥٧٢ ميلادية.

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٢٩ جـ٢.
(٢) اليمن في تأريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٩٦.
(٣) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٥٢.

قال ابن كثير: «فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام، فقال له سيف بن ذي يزن: قد أذنّا لك، فقال له عبد المطلب: إن اللّه قد أحَلّك أيها الملك محلّاً رفيعاً، صعباً منيعاً، شامخاً باذخاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته، وعذبت جرثومته، وثَبَت أصله، وبَسَقَ فرعه، في أكرم موطن وأطيب معدن، فأنتَ ـ أبيتَ اللعن ـ ملك العرب وربيعها الذي تخصب به البلاد، ورأس العرب الذي إليه تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد، سَلَفُك خير سَلَف وأنت لنا منهم خير خلف، ونحن ـ أيها الملك ـ أهل حرم اللّه وسدنة بيته، أشْخَصَنا إليك الذي أبهجك من كشف الكَرب الذي فَدَحَنَا، وفد التهنئة لا وفد المرزئة. فقال سيف: وأيّهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، فقال سيف: ابن أختنا؟ قال: نعم، قال: ادن، فأدناه»[(١)]. وكذلك ذكر نشوان الحميري كلمة عبد المطلب إلى أن قال له سيف: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فقال سيف: ابن أختنا سلمى؟ قال: نعم. قال: ادن يا عبد المطلب»[(٢)]. وكانت والدة عبد المطلب يمنية وهي «سلمى بنت عمرو بن زيد بن لَبيد الخزرجي الأزدي»[(٣)].

وتكلم أيضاً بين يدي الملكِ سيف بن ذي يزن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف وهو جد بني أُميَّة، وقد ذكر الحافظ ابن كثير ونشوان الحميري أنه «قال أميَّة بن عبد شمس: ـ

جَلَبْنا المدحَ تحقُبه المطايا	على أكوارِ أجمالٍ ونُوقِ
مُغَلْغلةً مرابِقُها تُعالِي	إلى صنعاء من فجٍّ عميقِ
تَؤمّ بنا ابن ذِي يزنٍ وتفري	ذوات بطونها أمّ الطريق
وترعى من مخائله بروقاً	مَواصَلة الوميض إلى بروق
فلما وافقَتْ صنعاء صارت	إلى ذي المُلك والحسب العريق»[(٤)]

قال نشوان وابن كثير: «ثم قال سيف بن ذي يزن لعبد المطلب وبقية وفد قريش: مرحباً وأهلاً، ومستناخاً سهلاً، وملكاً ربحلاً يعطي عطاءً

(١) البداية والنهاية ـ بن كثير ـ ص١٨٧ جـ٢. (٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٥٣.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص١١٩ جـ١.
(٤) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٣٠ جـ ٢ـ والسيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٥٥.

جزلاً . . فأنتم أهل الليل والنهار، لكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم، ثم نهضوا إلى دار الكرامة والوفود»(١).

ومن المفيد أن نذكر هنا أن آل ذي يزن كانوا يدينون بالديانة المسيحية التوحيدية التي كان يدين بها أسعد تُبّع بن حسان وغيره من ملوك حمير التبابعة منذ عهد الملك عبد كُلال بن مثوب ذي رُعين، ومما يؤكد ذلك: ـ

أ ـ نقش شرحئيل ذي يزن في عهد الملك يوسف أسار بن أسعد بن حسان، وكان شرحئيل ذو يزن من كبار أقيال عهده، وقد جاء في نقشه المسند ما يلي نصه: ـ

«ليُبَاركن إلٰهنا (ا ل ل ن) ذي له السماء والأرض يوسف أسار يثأر ملك كل الشعوب، ولْيُبَاركن الأقيال لحيعث يرخم وسميفع أشوع وشرحئيل أشوع وشرحبيل أسعد بني شرحبيل يكمل ذوو يزن وجدن». وجاء في فقرة أخرى من النقش ما يلي: «وليباركن الرحمن أبناءهم: شرحبيل يكمل، وهعن أسار، ولحيعث يرخم بن سميفع، ومرثد إلن يمجد بن شرحئيل، ذوو يزن» ـ ثم اختتم شرحئيل بن ذي يزن النقش بالنص التالي: «أرخه ذي مذرأن بخريف ثلاثة وثلاثين وستمائة. ووضع هذا المسند في حماية وولاء وقوة الجند من كل خسيس ومخادع، ويستعيذ بالرحمن العليّ من كل مخادع يحاول مسحه. صيغ وسُطر وقُدِم باسم الرحمن»(٢).

فذلك النقش اليزني المسند ينطق بعبادة اللّٰه الرحمن العليّ رب السماء والأرض، وهو مؤرخ بعام ٦٣٣ للتقويم الحميري ويوافق عام ٥١٨ ميلادية.

ب ـ النقش الثاني من عهد الملك (سُميفع بن شرحبيل ذي يزن) وقد جاء في نقشه المسند عبارة: « . . الرحمن وابنه المسيح ـ كريشت ـ الغالب ونفس قُدس»(٣) وكان سُميفع هذا ملك الدولة الحميرية إلى عام ٦٤٨ للتقويم الحميري الموافق عام ٥٣٣ م. فالنقشان يدلّان على أن آل ذي يزن كانوا يدينون بالديانة المسيحية التوحيدية فلم يكونوا يهوداً ولا

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٣٠ جـ ٢ـ والسيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٥٥.

(٢) نقش شرحئيل بن ذي يزن ـ رقم ١٠٢٨ جام.

(٣) نقش سميفع ـ رقم (7608.bis) بمتحف استنبول + في العربية السعيدة ـ بافقيه ـ ص١٨٨/ ٢.

كانوا من المشركين، ويتيح ذلك إدراك أن الملك سيف بن ذي يزن ـ (وهو سيف بن معدي كَرِب يعفر بن سميفع) ـ كان يدين بتلك الديانة المسيحية التي ينطق بها نقش جده الملك سُميفع ونقش شرحئيل بن ذي يزن في ذلك القرن السادس الميلادي، وكان من معارف تلك الديانة التوحيدية التبشير بنبيّ سيأتي اسمه أحمد يكون خاتم الأنبياء.

فلما وفد عبد المطلب بن هاشم ووفد قريش إلى الملك سيف بن ذي يزن بصنعاء ـ عام ٥٧٢ ميلادية ـ ونزلوا في دار الكرامة والوفود بصنعاء أقاموا شهراً كاملاً. قال ابن كثير: «ثم انتبه سيف بن ذي يزن انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه، ثم قال: يا عبد المطلب إنّي مُفض إليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه فليكُن عندك مطوياً حتى يأذن اللّه فيه فإن اللّه بالغ أمره، إنّي أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجزناه دون غيرنا خبراً عظيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولك خاصة، فقال عبد المطلب: أيها الملك مثلك سَرّ وبرّ فما هو فداؤك أهل الوبر زُمراً بعد زُمر؟ قال سيف: إذا وُلد بتهامة غلامٌ به علامة بين كتفيه شامة كانت له الإمامة.. وهذا حينه الذي يولد فيه، أو قد وُلد، واسمه محمد، يموتُ أبوه ويكفله جده وعمه، ولدناه مراراً واللّه باعثه جهاراً وجاعلُ له منّا أنصاراً يعزّ بهم أولياءه ويُذل بهم أعداءه، ويستفتح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان ويُخمد النيران ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان، قوله فَصلٌ وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويُبطله. فقال عبد المطلب: هل الملك سارّ لي بإفصاح فقد أوضح لي بعض الإيضاح. فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب، فخرّ عبد المطلب ساجداً. فقال سيف بن ذي يزن: ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئاً مما ذكرتُ لك؟ فقال: أيها الملك كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً فزوّجته كريمة من كرائم قومه آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام سميته محمداً فمات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه. قال سيف بن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل اللّه لهم عليه سبيلاً، واطوِ ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فإني لست آمن من أن تدخل لهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبائل فهم فاعلون أو أبناؤهم، ولولا

أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجالي حتى أصير بيثرب دار مملكته فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن بيثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره، ولولا أني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره ولأوطأت أسنان العرب عقبه، ولكني صارف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك»[١].

قال ابن كثير: «وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل من طريق عمرو بن بكير بن بكار القعنبي، ثم قال أبو نعيم: أُخبرت عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد ربه بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن عبد العزيز بن السفر بن عفير بن زُرعة بن سيف بن ذي يزن (وقال) حدثني أبو يزن إبراهيم حدثنا عمي أحمد بن محمد أبو رجاء به، حدثنا عمي محمد بن عبد العزيز (قال) حدثني عبد العزيز بن عفير عن أبيه عن زُرعة بن سيف بن ذي يزن الحميري قال: لما ظهر جدي سيف بن ذي يزن على الحبشة. وذكره بطوله»[١].

وقال ابن خلدون: «كان فيمن وَفَدَ على سيف بن ذي يزن مشيخة قريش. . وَفَدوا في عشرة من رؤسائهم فيهم عبد المطلب، فأعظمهم سيف، وأجلّهم، وأوجب لهم حقهم، ووفر من ذلك قسم عبد المطلب من بينهم، وذكر له شأن النبي محمد ﷺ. . فأوصاه به وحضّه على الإبلاغ في القيام عليه والتحفظ عليه من اليهود وغيرهم، وأسرَّ إليه البشرى بنبوءته. . وأسنى ـ سيف ـ جوائز هذا الوفد بما يدل على شرف الدولة وعظمتها، لبُعدِ غايتها في الهمة وعلو نظرها في كرامة الوفد، وبقاء آثار الترف في الصبابة شاهد لشرافة الحال في الأول، فقد ذكر صاحب الأعلام وغيره أن سيفاً أجاز سائر الوفد بمائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر وصائف وعشرة أرطال من الورِق والذهب وكرش مليء من العنبر، وبأضعاف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب» [ص ٩٦].

وكذلك ذكر نشوان الحميزي أنه ـ بعد اللقاء الخاص الذي بشّر فيه سيفُ بن ذي يزن عبدَ المطلبَ بن هاشم بالنبي محمد ﷺ، استدعى سيف بقية وفد قريش من دار الكرامة والوفود ـ (ثم أمر لكل واحد منهم بمائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر إماء، وعشرة أرطال من التبر، وعشرة أرطال من الفضة، وكرش مملوء من عنبر. وأمر لعبد المطلب

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٢٩ـ ٣٣٠ جـ٣.

بعشرة أضعاف ذلك». [ص ١٥٤].

وقال ابن كثير: «أمر سيف بن ذي يزن لكل رجل منهم بعشرة أعبد، وعشر إماء، وبمائتين من الإبل، وحلتين من البرود، وبخمسة أرطال من الذهب، وعشرة أرطال فضة، وكرش مملوء عنبراً. وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك. وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فإنه إلى نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي من بعدي ذكره وفخره وشرفه، فإذا قيل له: ما ذاك؟ قال: سيُعلم ولو بعد حين». [ص ٦٤/ ٢].

وقد شاع في الروايات القول بأن سيف بن ذي يزن مات قبل أن يحُول الحول ـ أي سنة ٥٧٣ م ـ وهو التباس وخطأ، فقد ذكر الحسن الهمداني أنه «مَلَكَ سيف بن ذي يزن عشرين سنة»[(١)] فيكون الصواب أنه مات سنة ٥٩٠ م. وقد حكم بعده معدي كرب بن سيف بن ذي يزن أربع سنين ومات مقتولاً في رحبة صنعاء، فظن الرواة أنه سيف بن ذي يزن فوقع الالتباس، وإنما هو معدي كَرِب بن سيف بن ذي يزن، قال المسعودي: «أقام معدي كَرِب بن سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن، واصطنع عبيداً من الحبشة حرابة يمشون بين يديه بالحراب. فركب في بعض الأيام من قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء فلما صار إلى رحبتها عطفت عليه الحرابة فقتلوه بحرابهم، وكان مُلكه أربع سنين»[(٢)] فتكون نهاية حكمه سنة ٥٩٣م ـ قبل البعثة النبوية بسبعة عشر عاماً ـ وكان معدي كَرِب بن سيف بن ذي يزن آخر ملوك الدولة الحميرية، فبعد مقتله حكم الأبناء صنعاء واستقل الأذواء والأقيال بحكم أغلب مناطق اليمن، وقد جاء في كتاب الموسوعة أنه: «بمقتل ابن ذي يزن لم يُملك اليمنيون واحداً على أنفسهم، غير أن كل ناحية مَلكوا عليهم رجلاً من حمير، وكانوا كمثل ملوك الطوائف حتى أتى اللّه بالإسلام». وبذلك ننتهي من تأريخ صنعاء الحضاري التليد، ثم انضوت صنعاء وكل اليمن في الإسلام، وتأريخها في الإسلام معروف، واللّه الموفق.

محمد حسين الفرح
صنعاء/ ٥ ديسمبر ٢٠٠٣ م.

---

(١) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص٥٤١.
(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٧ جـ٢.

نُبذة عن مؤلف الكتاب

محمد حسين الفرح ـ من آل الفرح بقرية الأجلب منطقة عَمَار بمحافظة إب.

ـ وُلد في ٢٣/ ٧/ ١٩٥٤م، وأنهى دراسته الثانوية بصنعاء عام ١٩٧٦م، وتخرّج من جامعة صنعاء كلية الشريعة والقانون بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف في مايو ١٩٨١م.

تولّى منصب مدير عام التعاونيات والجمعيات بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل من عام ١٩٧٧ ـ ١٩٨٦م ثم مدير عام الوحدات الإدارية والعمل الشعبي برئاسة الوزراء إلى عام ١٩٩٣م، ورئاسة الفريق الفني باللجنة العليا للانتخابات عام ٩٢ ـ ٩٣م وعام ١٩٩٧م ثم عُين (مستشاراً للجنة العليا للانتخابات بدرجة وزير) بموجب القرار الجمهوري رقم ٢٨٣ في ٨/ ٨/ ١٩٩٩م.

حصل على «وسام التعاون» من الرئيس علي عبد اللّٰه صالح رئيس الجمهورية في ٢٥/ ١/ ١٩٧٩م.

ـ وحصل على «وسام المؤرخ العربي» من «إتحاد المؤرخين العرب» في ٢٣ فبراير ١٩٨٧م.

قام بنشر الكثير من المقالات والدراسات الأدبية والتأريخية في الصحف والمجلات اليمنية والعربية منذ عام ١٩٨١م.

ـ وقام بتأليف الكتب التالية:

١ ـ كتاب «الثائر علي بن الفضل الحميري»، ـ تم نشره بمجلة دراسات يمنية التي تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء في الأعداد ١٣ و١٤ و١٥ و١٦ سبتمبر ٨٣ ـ يونيو ١٩٨٤م.

٢ ـ كتاب «الانتخابات النيابية متعددة الأحزاب في اليمن عام ٩٧ مقارنة

بعام ١٩٩٣م» ـ صدر عن «مركز دراسات المستقبل» ـ في ديسمبر ١٩٩٨م. ويقع الكتاب في ٣٢٦ صفحة.

٣ ـ كتاب «اليمن في تأريخ ابن خلدون» ـ صدر عن «الهيئة العامة للكتاب ـ وزارة الثقافة» عام ٢٠٠١م ويقع الكتاب في ٦٨٠ صفحة.

٤ ـ كتاب «تبابعة اليمن السبعين» ـ صدر عن «دار الثقافة العربية ـ في الشارقة ـ الإمارات العربية المتحدة» عام ٢٠٠٢م، ويقع الكتاب في ٨٠٧ صفحات.

٥ ـ كتاب «معالم عهود رؤساء الجمهورية في اليمن ١٩٦٢ ـ ١٩٩٩م» ـ صدر عن «مركز البحوث والمعلومات بوكالة سبأ للأنباء ـ وزارة الإعلام» في سبتمبر ٢٠٠٢م، ويقع الكتاب في ٤١٤ صفحة.

٦ ـ كتاب «يمنيون في موكب الرسول ـ عظماء الصحابة والفاتحين اليمنيين في فجر الإسلام» ـ صدر عن «الهيئة العامة للكتاب» عام ٢٠٠٣م، ويقع الكتاب في ٩٦٠ صفحة.

٧ ـ كتاب «تأريخ صنعاء الحضاري القديم» إصدار الهيئة للكتاب ـ وزارة الثقافة ـ ٢٠٠٤م.

٨ ـ كتاب «الجديد في تأريخ دولة وحضارة سبأ وحمير». وهو تحت الطبع، وتُصدره الهيئة العامة للكتاب.

٩ ـ كتاب «يمنيون في موكب الرسول» ـ الجزء الثاني ـ. ويقع في (١٠٢٠ صفحة).

١٠ ـ كتاب «الدور العربي في عصر الخلافة العباسية» ـ. ويقع في (٥٥٠ صفحة).

١١ ـ كتاب «عروبة البربر = وقائع ودلائل انتقال البربر من اليمن إلى بلاد المغرب العربي، والجذور العربية اليمنية لقبائل البربر». ويقع في مائة وخمسين صفحة.

★ ـ وللمؤلف سبعة أولاد: بشرى، وعمار، ونشوان، وزيد، وأسعد، وعبد الناصر، وثاران.

فهرس المحتويات





الجمهورية اليمنية
وزارة الثقافة والسياحة
صنعاء - الحصبة - ص.ب: (٣٦)-(٢٣٧)
هاتف: ٢٣٥١١٤ - فاكس: ٢٣٥١١٣
بريد الكتروني moc@y.net.ye